

الكتور عزيز أحمد

تأليف

صقلية للإسلامية

نقله إلى العربية وقدم له
مع إضافة حواش وتعليقات مناسبة

الكتور أمين يوسف الطيبي

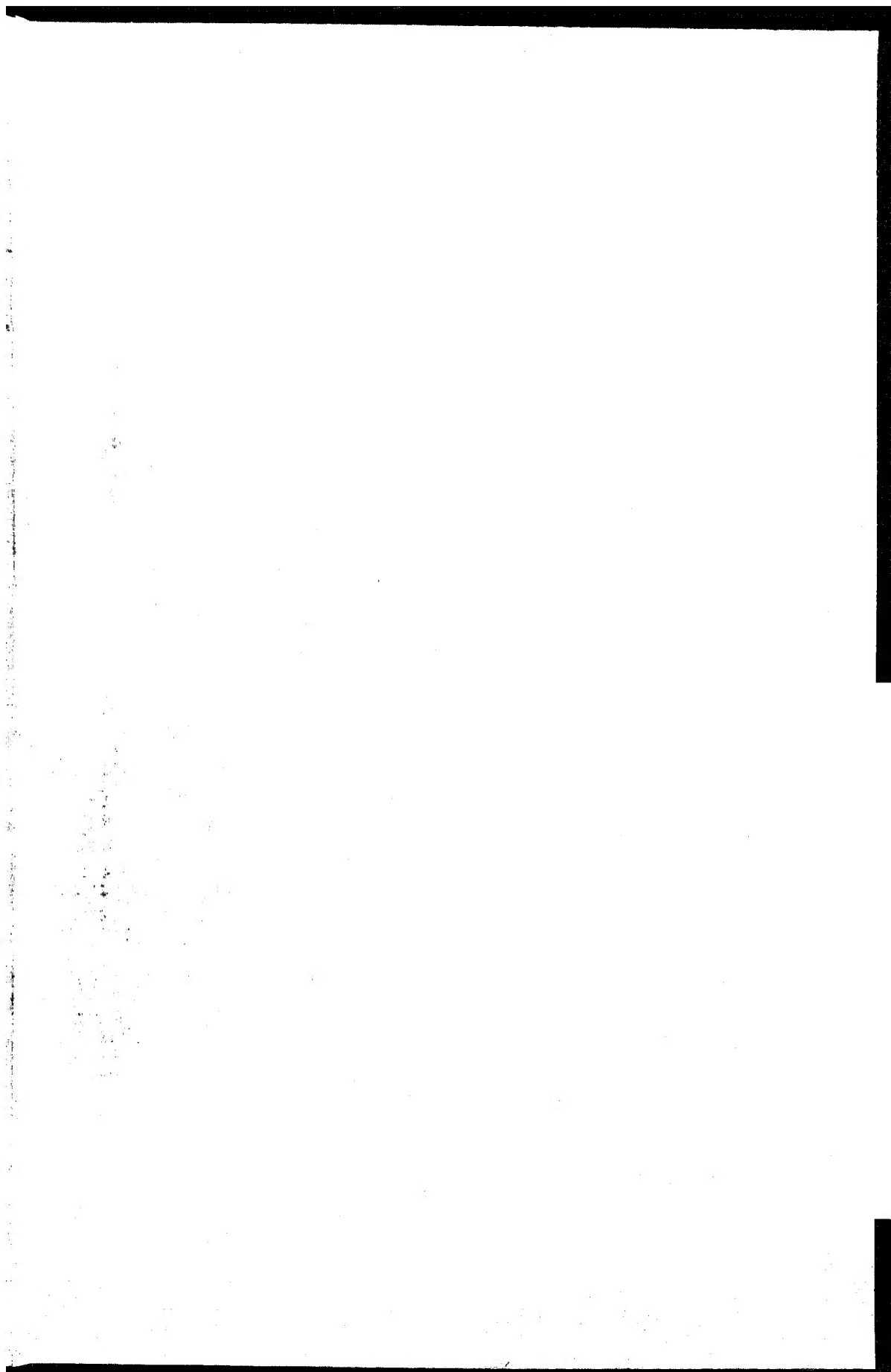
الدار العربية للكتاب

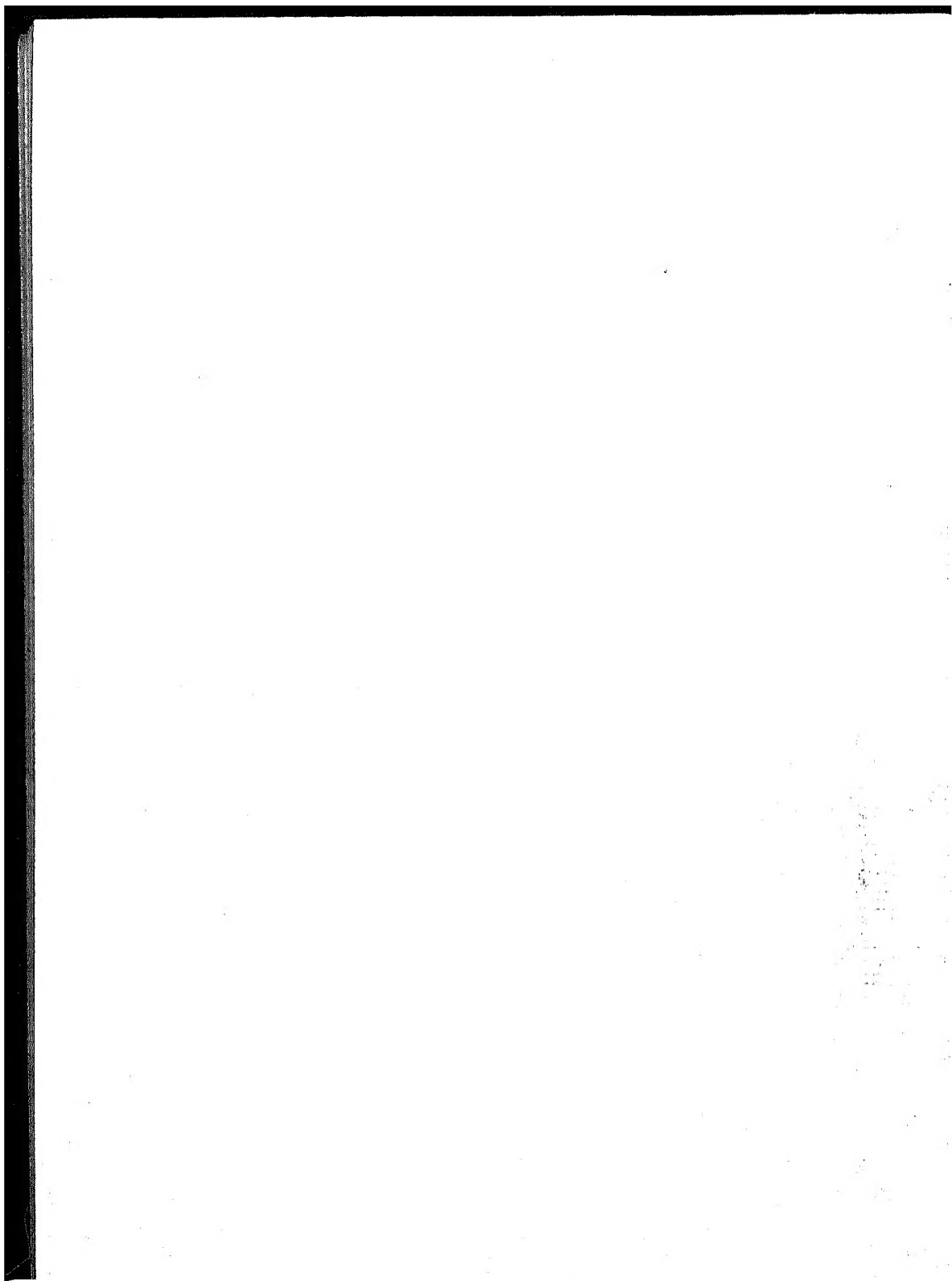


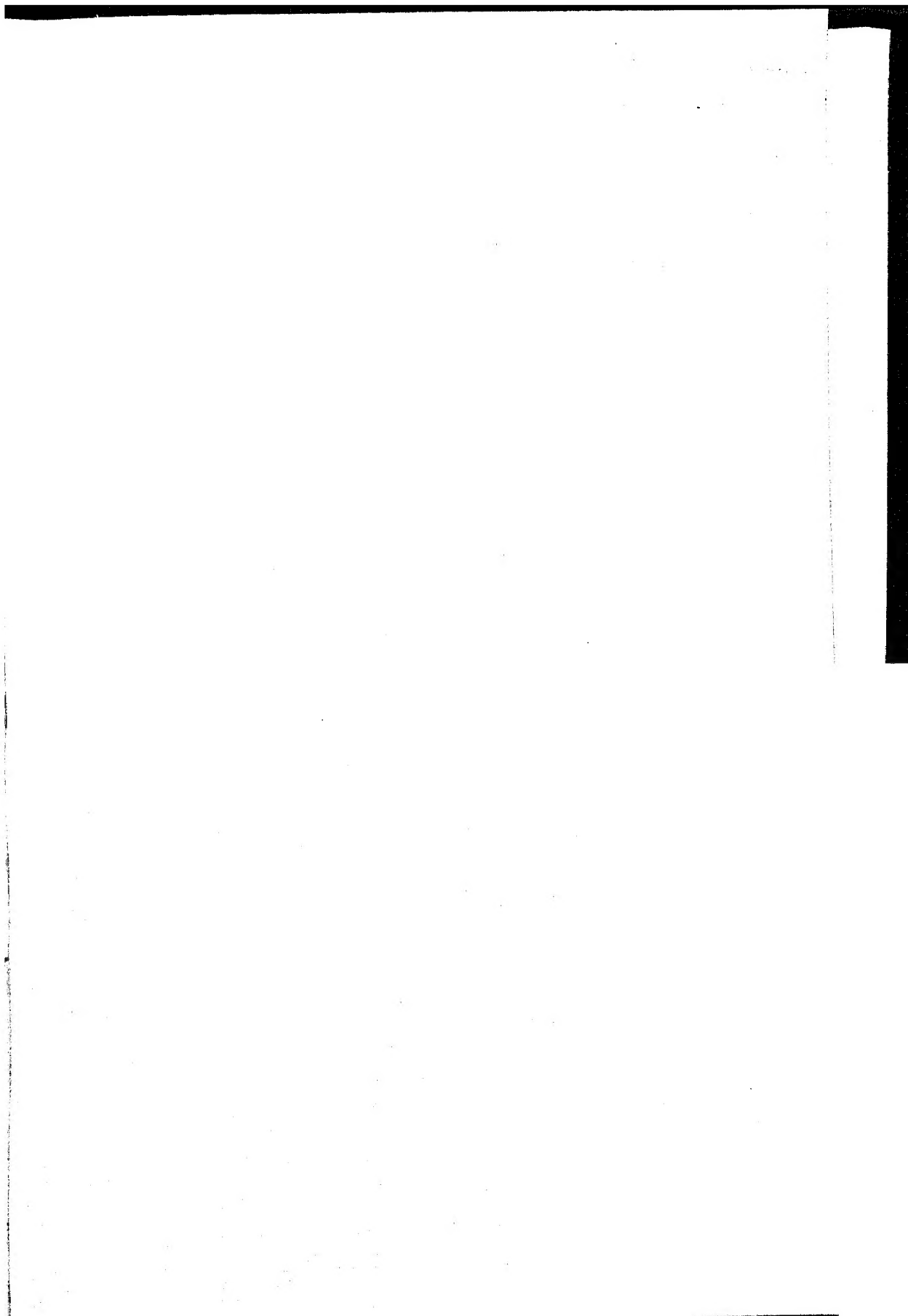
Bibliotheca Alexandrina



0134621







785

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية
رقم التصنيف: ٥١٨.٨
رقم التسجيل: ٥١٨.٨

الدكتور عزيز أحمد

٥١٨.٨
٥١٨.٨
٥١٨.٨

تأليف

صقلية لاسلامية

نقله إلى العربية وقدم له
مع إضافة حواشٍ وتعليقات مناسبة

الدكتور أمين توفيق الطيبي

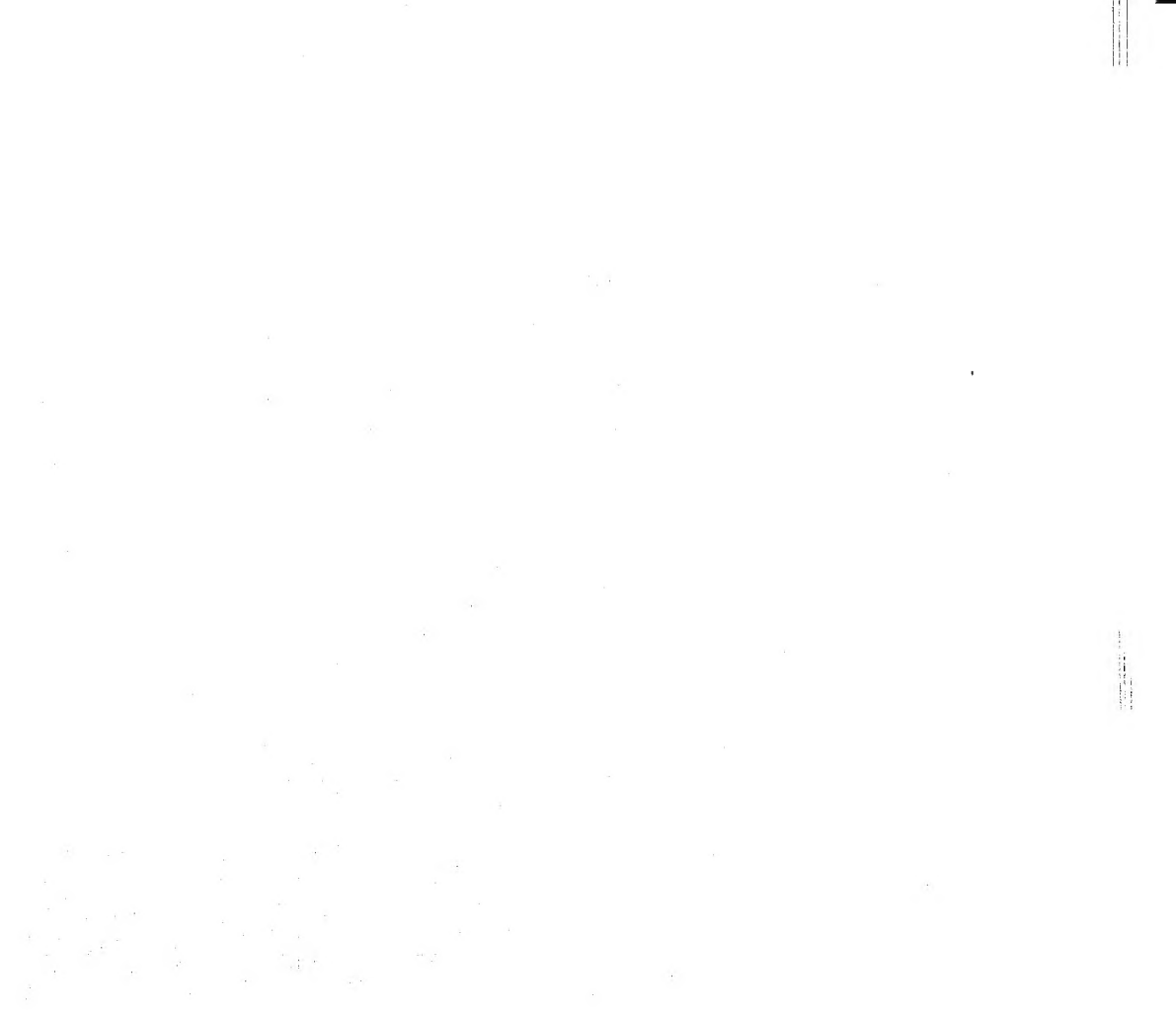
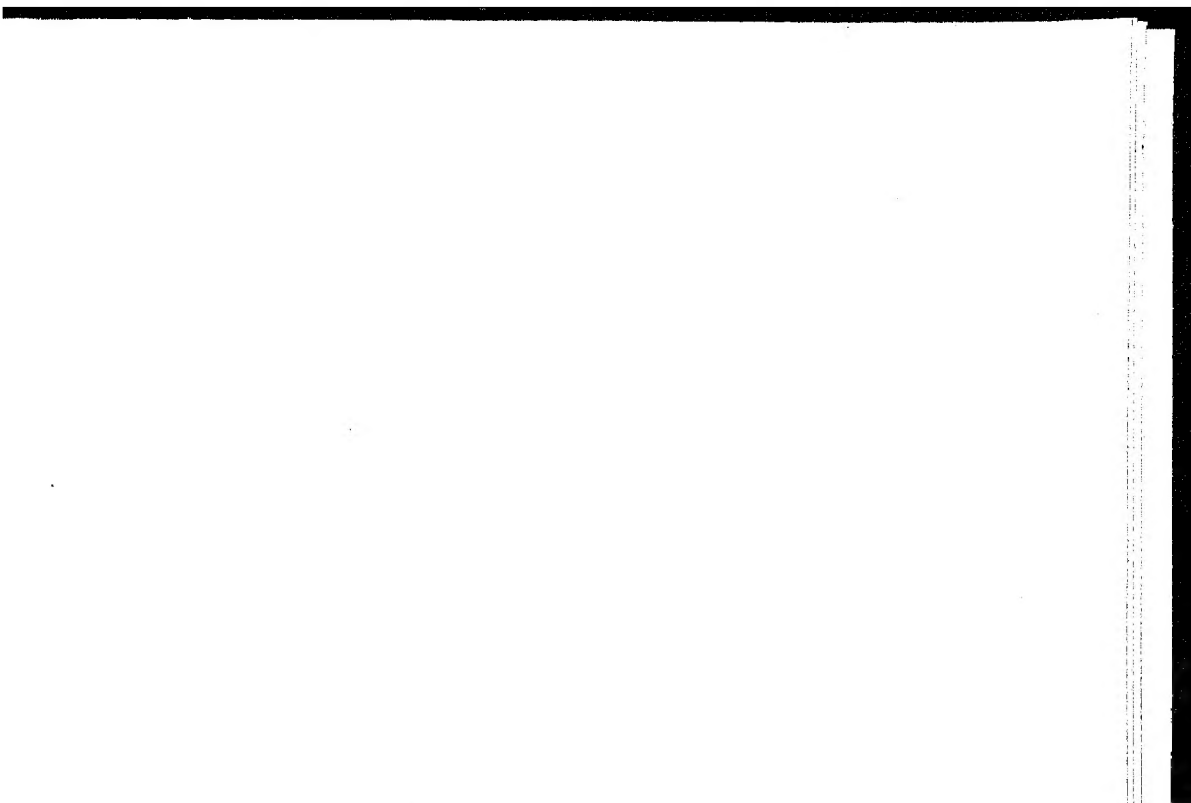
جميع الحقوق محفوظة للدار العربية للكتاب

١٣٨٩ و. ر. ١٩٨٠ م

محتويات الكتاب

صفحة

٣	تقديم المعرب
٧	خريطة لصقلية وجنوب إيطاليا
٨	١٠١ الغزوات العربية الأولى
١٣	١٠٢ افتتاح العرب لصقلية وحكم الأغالبة
٣٢	١٠٣ صقلية في عهد الفاطميين الأوائل
٣٧	١٠٤ ولاية بني الحسين الكلبيين
٤٩	١٠٥ النشاط الفكري أثناء الفترة الإسلامية
٥٧	١٠٦ النورمان في صقلية
٧٣	١٠٧ النظم العربية في بلاط النورمان وإدارتهم
٧٨	١٠٨ المسلمون تحت حكم النورمان
٨٧	١٠٩ النشاط الفكري العربي أثناء الفترة النورمانية
٩٤	١١٠ فردريك الثاني والمسلمون
١٠١	١١١ انتقال التراث الفكري العربي عن طريق صقلية وإيطاليا
١١٢	١١٢ الفنون الجميلة
١٢١	فصل ختامي لوشيرة
١٢٣	حواشي وتعليقات
١٤٩	مختصرات أسماء بعض المراجع
١٥٠	ثبت بالمصادر والمراجع العربية والاجنبية
١٦٣	كشاف عام



تقديم العرب

صدر كتاب تاريخ صقلية^(١) الإسلامية (A History of Islamic Sicily) عام ١٩٧٥ م ضمن سلسلة الدراسات الإسلامية (Islamic Surveys) التي يُشرف عليها الدكتور مونتجومري واط (Montgomery Watt) ، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة إدنبره ببريطانيا . والسلسلة ، كما يقول الأستاذ واط تهدف « إلى تزويد القارئ المثقف بمعلومات أكثر مما يجده في كتب المطالعة العامة المعتادة » . وقد ألحق بكل كتاب في السلسلة ثبوتٌ وافٍ بالمصادر والمراجع ، لكي يتسنى للراغبين من القراء التعمق في دراسة الجوانب التي يتوخونها .

ويقول الأستاذ واط في تقديمه لكتاب (تاريخ صقلية الإسلامية) : إنه جدير بالنشر « إذ يبدو أن الكتاب الممتاز الذي ألفه ميشيل أماري عن تاريخ مسلمي صقلية جعل الكتاب الآخرين يُحجمون ، تهيئاً ، عن الخوض في هذا الموضوع ، ولذلك فإننا لا نجد كتاباً شاملاً يتناول تاريخ صقلية الإسلامية باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية » — ونحن نضيف من جانبنا اللغة العربية أيضاً .

أما مؤلف الكتاب فهو الدكتور عزيز أحمد ، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة تورنتو بكندا ، وله في نفس السلسلة كتاب عن (التاريخ الفكري للإسلام في الهند) . كما ساهم الأستاذ عزيز أحمد — وهو هندي مسلم — بالعديد من البحوث عن الإسلام والمسلمين في شبه القارة الهندية ، وله فصل عن تاريخ الهند والباكستان ، منذ الحرب العالمية الأولى ، في تاريخ كمبردج الإسلامي (Cambridge History of Islam) الذي صدر عام ١٩٧٠ م .

إن كتاب (تاريخ صقلية الإسلامية) يستعرض التاريخ السياسي والحضاري

(١) «صِقلِيَّة» بثلاث كسرات وتشديد اللام، والياء أيضاً مشددة، وأكثر أهل صِقلِيَّة يفتحون الصاد واللام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، تُنظر ص ١١٤ من المكتبة العربية الصِقلِيَّة.

والفنى للفترة التي حكم فيها العرب جزيرة صقلية ، وهى فترة ليست بالقصيرة ، إذ تقارب قرنين ونصف القرن من الزمن — من أوائل القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى إلى أواخر القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى . ولما استولى النورمان على صقلية وحكموها قرناً من الزمن (١٠٩١ - ١١٩٤ م) ، ظلَّ للمسلمين تأثير كبير على نظم البلاط النورمانى والإدارة والحياة العامة ، كما يشهد بذلك الرحالة الأندلسي ابن جبير الذى زار الجزيرة في أواخر أيام حكم النورمان لها . ثم لما خلفت أسرة هوهنشتاوفن الألمانية الملوك النورمان في حكم صقلية ، كان من ضمن الأهداف الرئيسية للملك هذه الأسرة ، وخصوصاً فردريك الثاني ، إيجاد تعايش سلمى مع رعاياهم العرب في الجزيرة . وعلى ذلك ، فإن تأثير المسلمين استمر مدة طويلة تقرب من قرنين من الزمن بعد نهاية سيادتهم على الجزيرة . ومن صقلية ، عن طريق إيطاليا ، انتقل التراث الفكرى العربى إلى أوروبا . ويتناول الكتاب تحليل هذا التراث بجميع أشكاله ، وخصوصاً في ميادين الطب والفلسفة والمعمار .

ويضم الكتاب اثني عشر فصلاً ، وفصلاً ختامياً هى : الغزوات العربية الأولى على الجزيرة ، وافتتاح العرب لصقلية ، وإمارة بنى الأغلب ، وصقلية في عهد الخلفاء الفاطميين الأوائل ، ثم في أيام الولاة الكلبين ، والنشاط الفكرى في فترة حكم العرب للجزيرة . يلى ذلك فصل عن قدوم النورمان وانتزاعهم السيادة على صقلية من أيدي العرب ، والنظم العربية في بلاط النورمان وإدارتهم ، وأحوال المسلمين تحت حكم النورمان ، والنشاط الفكرى العربى أثناء الفترة النورمانية . وبعد النورمان تولى حكم الجزيرة ملوك أسرة هوهنشتاوفن الألمانية ، وقد أفرد فصل لفردريك الثاني والمسلمين ، وفصل عن انتقال التراث الفكرى العربى عن طريق صقلية وإيطاليا إلى بقية أوروبا ، وفصل عن المعمار والفنون الجميلة . ويختتم الكتاب بفصل قصير عن مستوطنة لوشيرة (Lucera) الإسلامية في جنوب إيطاليا .

ويشتمل الكتاب كذلك على خريطة لجزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ، كما يشتمل على ثبوت وافٍ بالمصادر والمراجع العربية والأجنبية .

لقد قُمتُ بنقل الكتاب وحواشيه بكل أمانة إلى اللغة العربية ، متقيدين بالأصل ما أمكن ، ومتوخين في الوقت ذاته وضوح العبارة وسلامتها ، وسلاسة الأسلوب . ولما كان المؤلف أغفل ذكر السنوات الهجرية ، فقد أثبتناها مع السنوات الميلادية

بالنسبة لبعض الأحداث الهامة . ورجعنا دوماً إلى المصادر العربية الأصلية وأثبتنا عباراتها ما أمكن ، كما اقتبسنا المزيد من نصوصها في بعض المواضع إمعاناً في الفائدة ، وعلى وجه الخصوص ما ورد في كتب ابن حوقل وابن جبير وابن الأثير وعدد من المصادر الأدبية .

وقد أضفنا عدداً لا بأس به من الحواشي التاريخية والتراجم التوضيحية ، وأشرنا إلى ذلك في موضعه باستعمال الأقواس المربعة [] .

كما قمنا بتصحيح بعض الأخطاء التي وقعت في بعض الأسماء والأحداث والسنوات ، وأوردنا الأسماء كاملة في بعض الحالات ، وعرفنا بإيجاز أصحابها ، وأشرنا إلى كل ذلك في موضعه باستعمال الأقواس المربعة .

أما بالنسبة لأسماء المدن والمعاقل — وأسماء الكثير منها مشتقة من أصول عربية — فقد اعتمدنا كتاب (نزهة المشتاق) للشريف الأدريسي في المقام الأول ، فهو العُمدة في ذلك ، إذ عاش في الجزيرة ووصف معالمها في مصنفه الشهير . وقد أثبتنا الاسم العربي متبوعاً بالاسم الأوروي بين قوسين للتعريف وتيسيراً للفظ .

وبالنسبة للمراجع الأجنبية التي أوردها المؤلف في الحواشي ، فإننا ، للإيجاز والتسهيل ، اكتفينا بذكر أسماء أصحابها بالعربية والأجنبية وذكر المرجع بالعربية ، دون اللغة الأجنبية ، مع إحالة القارئ إلى التفاصيل في ثبت المراجع الأجنبية تحت اسم الكاتب .

وقد رأينا أن نستخرج من ثبت المراجع الذي أعده المؤلف المراجع العربية ، نصاً وتأليفاً ، وأفردنا لها قائمة بذاتها مرتبة حسب حروف المعجم ، وأما بقية المراجع ، فقد أثبتناها في قائمة أخرى منفصلة .

ويجد القارئ خريطة لصقلية وجنوب إيطاليا في أول الكتاب ، وفيها أوردنا أسماء المدن والأماكن كما رسمها الشريف الأدريسي . وأوردنا في نهاية الكتاب ، وقبل ثبت المراجع ، قائمة تعرف بسبعة من المراجع المهمة التي تكرر ورودها في الحواشي موجزة ، فثلاً عند ذكر (أمارى) في الحواشي ، يُقصد بذلك كتابه المعروف عن تاريخ مسلمى صقلية ، وعند ذكر (المكتبة) يُقصد (المكتبة العربية الصقلية) التي تحتوى على نصوص عن صقلية الإسلامية استخرجها أمارى من المصادر العربية . وكما تقدّم ، فإن كتاب (تاريخ صقلية الإسلامية) كتاب شامل لتاريخ المسلمين

في الجزيرة ، وتراثهم الفكرى والأدبي والفنى ، ابتداءً من افتتاح العرب لصقلية في سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧ م ، حتى نهاية الوجود الإسلامى في الجزيرة وجنوب إيطاليا في سنة ٦٩٩هـ / ١٣٠٠ م . والكتاب ، في نظرنا ، يلبى حاجة ماسة بالنسبة للباحثين العرب في الموضوع ، والمهتمين منهم بالعلاقات العربية الأوروبية في القرون الوسطى وبدور العرب الحضارى المرموق ، وانتقال التراث الفكرى العربى عن طريق صقلية والأندلس إلى أوروبا ، مما ساهم وعجل في بزوغ عصر النهضة فيها في أواخر القرون الوسطى . إن الهدف الذى نتوخاه من إصدار الكتاب باللغة العربية هو خدمة أساتذة وطلبة التاريخ والدراسات العربية والإسلامية في الجامعات والكليات والمعاهد العلمية على وجه الخصوص ، والمتقنين العرب عامة وبخاصة أولئك الذين لا يلمون بلغات أجنبية . وإذ نرجو أن يحقق الكتاب الفائدة المرجوة ، نأمل في أن يكون حافظاً للباحثين العرب على توجيه المزيد من الاهتمام والعناية إلى هذا الميدان الثرى من التراث العربى الإسلامى ، الذى لم يلقَ حتى الآن ما هو جدير به من بحث ودراسة وتنقيب .

ونحن ، نودُّ أن نتقدم بجزيل الشكر والامتنان للأستاذ عزيز أحمد لموافقته مشكوراً على نقل كتابه إلى اللغة العربية ، وللدار العربية للكتاب لما لا تنفك توليه من عناية واهتمام في التنويه بالتراث وإحيائه ، والله ولىُّ التوفيق .

أمين توفيق الطيبي

طرابلس الغرب

في ١٨ رجب ١٣٩٩هـ

الموافق ٢٠ يونيو ١٩٧٩ م .

الفصل الأول

الغزوات العربية الأولى

يفصل جزيرة صقلية عن إيطاليا مضيقُ مسينة الضيقُ ، ولذلك فإن الجزيرة امتداد جغرافي لشبه الجزيرة الإيطالية . كما تقع الجزيرة من الناحية الأخرى على مسافة يسهل عبورها بجزراً من الشمال الأفريقي حيث توطد الإسلام ديناً ودولة منذ القرن السابع الميلادي .

ويمكن تقسيم صقلية إلى ثلاثة أقاليم جغرافية هي إقليم مازر (Val di Mazara) وإقليم نوطس (Val di Noto) وإقليم دمنش (Val Demone) . وكان هذا التقسيم ذا أهمية بالغة أثناء احتلال المسلمين للجزيرة . فقد كان الإسلام لوقتٍ ما الديانة الرئيسية في إقليم مازر ، إلا أن عدد المسلمين كان دون ذلك في إقليم نوطس ، وأما إقليم دمنش فقد ظلَّ معظم سكانه من النصارى .

لما اتسعت الدولة الإسلامية وأصبحت امبراطورية في خلافة عمر بن الخطاب (٦٣٤ - ٦٤٤ م) ، كانت صقلية وجزء من جنوب إيطاليا ولايتين بيزنطيتين . وكان الخليفة عمر بن الخطاب يعارض القيام بمخاطرات عسكرية عبر البحار أو حتى عبر الأنهار الكبيرة ، إلا أن هذه السياسة أُعيد النظر فيها ، إن لم تُعكسْ ، في عهد خلفه عثمان بن عفان (٧٤٤ - ٦٥٦ م) . فلحماية المدن الساحلية التي احتلها المسلمون حديثاً على ساحل الشام ومصر من خطر غارات البيزنطيين الذين كانوا يمتلكون أسطولا قويا ، أنشئت قوات بحرية من قِبَل معاوية بن أبي سفيان الوالي على بلاد الشام آنذاك ، وعبد الله بن سعد الوالي على مصر . ولم تلبث هذه القوات البحرية أن لعبت دورا هجوميا ودفاعيا ضد البيزنطيين في شرقي البحر المتوسط .

وحتى قبل ذلك التاريخ ، كانت صقلية قد تأثرت بصورة غير مباشرة بالفتوحات الإسلامية ، إذ كان قد لجأ إلى صقلية في سنة ٢ - ٦٤٣ م بعضُ النازحين من مدينة طرابلس الغرب فراراً من قوات عمرو بن العاص التي احتلت المدينة ^(١) . وكانت أول غزوة عربية للجزيرة في سنة ٦٥٢ م ، حينما أرسل معاوية بن أبي سفيان

سميَّ معاوية بن حُديج لغزو صقلية^(٢). ولما كان أسطول الشام العربي ما زال في بدايته ، فقد كانت تلك الغزوة نائية وجريئة . وقد وصلت مراكب معاوية بن حُديج إلى صقلية ، إلا أنها لم تتمكَّن من التغلب على وسائل الدفاع البيزنطية . وكانت صقلية آنذاك تتبع أولمبيوس الوالى البيزنطى المقيم في رافنا . وتفشَّى وباء في جيش أولمبيوس هلك هو فيه ، ولكن العرب لم يتمكنوا من إحراز نجاح كبير في صقلية ، وعاد ابن حُديج إلى بلاد الشام بعد أن ظفر ببعض الغنائم والأسرى^(٣). كما أن الغزوة العربية الثانية على صقلية في سنة ٦٦٧ م كانت كذلك غزوة شارك فيها معاويتان . فمعاوية بن أبي سفيان كان قد توطَّد مركزه في الخلافة دون منازع ، وأصبح مؤسساً للدولة الأموية . وكان معاوية بن حُديج واليَّه على مصر ، فجهَّز حملة بحرية ضد صقلية بقيادة عبد الله بن قيس الذى ظفر بغنائم وفيرة من بينها إيقونات من الذهب والفضة مرصَّعة باللآلئ فحُمِلَتْ هذه إلى الخليفة الأموى الذى أرسلها ، كما تفيد الرواية ، إلى الهند عن طريق البصرة لبيعها بثمنٍ عالٍ^(٤).

ولما افتتح العرب شمال إفريقيا بارح قُسطنس الثاني القسطنطينية في سنة ٦٦٢ م لتركيز اهتمامه على الولايات البيزنطية القريبة في جنوب إيطاليا وصقلية حيث بقي حتى وفاته في سنة ٦٦٨ م . وكان القصد من وراء هذه الخطوة الحيلولة دون تطويق العرب للبر اليوناني ، وهذا ما كان سيحدث في حالة سيطرة العرب على هذه الولايات الغربية . وقد واجه قُسطنس صعوبات في تنفيذ هذه السياسة بسبب مقاومة اللمبارد في جنوب إيطاليا ولحاجته للمال^(٥). ولعلَّ عبد الله بن قيس قام بغزاته في سنة ٦٦٨ م أو ٦٦٩ م مستغلاً الفوضى التي تلت اغتيال قُسطنس الثاني في سرقوسة سنة ٦٦٨ م^(٦).

وأتَّخذتْ صقلية قاعدةً لشن هجوم على العرب في برقة في سنة ٦٨٢-١ م . وفي خلافة عبد الملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥ م) ، استولى حسان بن النعمان الغساني الوالى على شمال إفريقيا على قرطاجنة في سنة ٦٩٤-٣ م وفرَّ لاجئون من الروم والبربر منها إلى صقلية ، التي أصبحت ثانية قاعدة بيزنطية لشن حملة ضد قرطاجنة في سنة ٦٩٧ م^(٧).

وفي أوائل القرن الثامن الميلادي ، غزا العرب جزيرة صقلية أكثر من مرة ، إلا أن النجاح لم يكن دائماً حليف هذه الغزوات^(٨). وبعد أن ولى إفريقية موسى بن

نصير الذى تمّ في ولايته افتتاحُ العرب للأندلس ، تكررت الغزوات العربية على صقلية . ففي سنة ٧٠٤ م بعث موسى بن نصير أسطولاً صغيراً بقيادة ابنه عبد الله لغزو جزر البليار وصقلية وسردانية . وفي صقلية ، أدّت هذه الغزوات إلى الاستيلاء مؤقتاً على إحدى المدن ، وإلى الظفر بغنائم وفيرة ، إذ تذكر الروايات العربية أن كل جندي تسلّم مائة دينار ذهباً . وفي سنة ٧١٠ م ، أرسل موسى بن نصير حملة أخرى مُعجزة ضد جزيرة سردانية ^(٩) . كما تعرضت صقلية لعدة غزوات صغيرة في العقدَيْن الأولَيْن من القرن الثامن الميلادي على أيدي العرب الذين كانوا قد احتلوا جزيرة قَوْصَرَة (Pantellaria) في سنة ٧٠٠ م . وكانت هذه الغزوات توطئةً للهجوم التالى على صقلية ^(١٠) .

وفي سنة ٧٢٧ م ، غزت صقلية قوة عربية بقيادة بشر بن صفوان ، وأخذت عدداً كبيراً من الأسرى ، وعُقدت هدنة مع الروم إلا أنه لم يقع احترامها . وأرسل عبيدة بن عبد الرحمن ، الذى خلف بشر بن صفوان في ولاية إفريقية ، حملة ضد الجزيرة في العام التالى بقيادة عثمان بن أبي عبيدة ، وحملةً أخرى في سنة ٧٢٩ م بقيادة المستنير بن الجحباب الحرشي ، إلا أن الحملتين لم تسفرا عن نتائج ذات بال ^(١١) .

وتعرضت صقلية لغزوة عربية من بلاد الشام في سنة ٧٣٠ م . كما أن العرب بقيادة عبد الملك بن قطن غزوا الجزيرة ثانية سنة ٧٣٢ م للظفر بالغنائم والأسرى ، وفي السنة ذاتها غزا عبد الله بن زياد جزيرة سردانية .

وأرسل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى وإلى إفريقية حملةً بقيادة أبي بكر بن سويد في سنة ٧٣٣ م ، وفي هذه الغزوات فُقدت عدة مراكب بفعل نيران النفط التي قذفها الأسطول البيزنطى .

وقام خلف عبيدة في مصر وإفريقية ، عبيدُ الله بن الجحباب ، بإرسال حملة ضد صقلية في سنة ٦٣٤ م لم تتكلّل كذلك بالنجاح ، وأسّر الروم العديد من المسلمين . وفي سنة ٧٣٥ م غزت سردانية حملة أخرى أرسلها نفس الوالى . وكان ابن الجحباب أولَ والٍ عربي يفكر في افتتاح صقلية ويحاول ذلك . والحملة التي بعث بها في سنة ٧٤٠ م بقيادة حبيب بن أبي عبيدة ، ابن أخ القائد العربي الشهير عقبة بن نافع الذى كان قبل ذلك اندفع عبر المغرب حتى المحيط الأطلسي ، كانت

حملة بنية احتلال صقلية . واحتل حبيب مؤقتاً جزءاً من الجزيرة ، وشن غارات في داخلها وأجبر سرقوسة على دفع الجزية . إلا أنه اضطر إلى الانسحاب مع قواته بسبب ثورة ميسرة المدغرى الذى اغتتم فرصة تغيب جزء كبير من الجند العربى في حملة صقلية فاحتل طنجة . ولقمع ثورة ميسرة ، لم يُكتفَ بإرسال حملة من الأندلس ، بل استدعى الأمر كذلك سحب الجيش الذى كان قد أرسل لغزو صقلية (١٢) .

وبعث عبد الرحمن بن حبيب ، الذى انتزى في إفريقية فيما بعد ، أخاه عبد الله غازيا إلى صقلية في سنة ٧٥٣ م . وقد أحرزت الحملة نجاحاً أكبر مما أحرزته الغزوات السابقة ، إلا أن الجيش استدعى بسبب ثورات البربر في شمال إفريقيا . وهكذا لم يتحقق ما كان عبد الرحمن بن حبيب يصبو إليه من افتتاح صقلية وسردانية . وأرسل قسطنطين الخامس أسطولاً بيزنطياً قويا لحماية الجزيرتين . وقد أتاحت المتاعب التي واجهها العرب في شمال إفريقيا للبيزنطيين فرصة تحصين الجزيرتين ، وخصوصاً صقلية ، وبناء أسطول قوى في وسط البحر المتوسط . وهكذا ظلت صقلية نحواً من نصف قرن بمأمن من أية هجمات عربية ذات بال (١٣) . وفي حين أن صقلية تعرضت لعدة غزوات عربية في عهد بني أمية ، فإن الجزيرة لم تتعرض لأية حملات في أوائل العهد العباسي ما بين سنتي ٧٥٣ و ٨٠٠ م . كما تمكن الروم من إصلاح الموانئ وإقامة التحصينات في جنوب إيطاليا ، واتخذت هذه قواعد ضد الملاحة الإسلامية في البحر المتوسط . ومن هذه القواعد شنت وحدات من الأسطول البيزنطى في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادى غارات على سواحل الشمال الأفريقي . ودرءاً لهذه الهجمات ، قام هرثمة بن أعين والى إفريقية ببناء سور مدينة طرابلس وإنشاء الرباط في المنستير في سنة ٧٦٩ م (١٤) .

وبالرغم من الهجمات البيزنطية على مراكز المسلمين ، فإن ثمة ما يدعو إلى الاعتقاد بأن التجارة استمرت بنشاط بين صقلية البيزنطية والعالم العربى في هذه الفترة . ولعل بعض التجار العرب أقاموا آنذاك في جزيرة صقلية . وقد تخللت الفترة أحداثٌ مثيرة . ففي سنة ٧٨٢ م ، ثار إليبيديوس (Elpidius) والى البيزنطى على الأمباطورة أيرينة (Irene) ونادى بنفسه امباطوراً ، ولما هُزم لجأ إلى إفريقية . ويُذكر أن مبعوث هارون الرشيد إلى شارلمان ، يصحبه مبعوث من واليه على إفريقية إبراهيم بن الأغلب ، وصل إلى بيش (Pisa) في سنة ٨٠١ م ، وقام المبعوثان العربيان

بتقديم كتب تكليفها إلى امبراطور الفرنجة في معسكر يقع بين فارتشيلي (Varcelli) وإفريّة (Ivrea) (١٥).

وكان هارون الرشيد قد ولى إبراهيم بن الأغلب إفريقية ، وحظى ابن الأغلب باستقلال ذاتي في مقابل دفع خراج للخلافة قدره أربعون ألف دينار في العام . ومن بين المشاكل التي واجهها إبراهيم بن الأغلب تأمين التجارة العربية في البحر المتوسط وعند سواحل إمارته . ولهذا الغرض أبرم مع قسطنطين ، البطريق البيزنطي في صقلية ، معاهدة سلام مدتها عشر سنوات ، بيد أن المعاهدة لم تقابل بالرضا من جانب عرب إفريقية . ومع أن الأغلبة كفّوا لبضع سنوات عن مهاجمة مراكب البيزنطيين إلا أن منافسيهم الأمويين في الأندلس والأدارسة في المغرب الأقصى غزوا جزيرتي قرشقة وسردانية ما بين عامي ٨٠٦ و ٨٢١ م (١٦) .

وقد طرأ بعض التغيير على سياسة الأغلبة في سنة ٨١٢ م في ولاية ابن إبراهيم ابن الأغلب أبي العباس عبد الله الذي شرع فوراً في بناء أسطول قوى . ولما نقل هذه الأخبار النصارى المقيمون في إمارة بني الأغلب إلى البطريق [القائد] البيزنطي في صقلية ، قام البيزنطيون بتعزيز قوتهم البحرية في الجزيرة . ويرى البعض أن الحملة التي وجهها شارلمان إلى صقلية كان يقصد بها في المقام الأول ان تسبق غزوة العرب المرتقبة للجزيرة . وتحطمت مراكب أسطول صغير للأغلبة بفعل عاصفة قرب جزيرة سردانية . إن كل هذه العوامل لا بد أنها ساهمت في إبرام معاهدة صلح جديدة لمدة عشر سنوات بين أبي العباس وجرجورى ، البطريق البيزنطي في صقلية ، في سنة ٨١٣ م . وتم تبادل الأسرى ، كما أخذ بعين الاعتبار مسألة سلامة التجار العرب في صقلية والتجار البيزنطيين في إفريقية (١٧) .

إلا أن الهدنة بين الروم والأغلبة انتهت فجأة فى سنة ٨١٩-٨٢٠ م ، إذ قاد حملة ضد صقلية محمد بن عبد الله بن الأغلب ابن عم الأمير زيادة الله الأول (حكّم ٨١٧-٨٣٨ م) . وفي هذه الحملة ظفر العرب بالعديد من الأسرى ثم انسحبوا .

الفصل الثاني

الفتح العربي وحكم الأغالبة

يرجع إخفاق عرب شمال إفريقيا ضد صقلية البيزنطية من جهة إلى ثورات البربر، ومن جهة أخرى إلى السياسة التي بدأها الأمبراطور قُسطنس الثاني لثمنية القوة البحرية البيزنطية في شرقي البحر المتوسط ووسطه . وقد تحلّى ليو الثالث عن هذه السياسة ، وخطّ من شأن الأسطول لأسباب سياسية . إن هذه السياسة المعادية للأسطول ، والتي واصلها خلفاؤه في الحكم ، هي التي أدّت إلى حدٍّ ما إلى فقدان البيزنطيين لجزيرتي كريت (إقريطش) وصقلية إبّان القرن التاسع الميلادي ^(١) .

وفي سنة ٨٢٦ م ولّى الأمبراطور ميخائيل الثاني على صقلية قسطنطين الذي سرعان ما دبّ صراع بينه وبين قائد الأسطول البيزنطي فيمي (Euphemius) الذي سبق له أن أغار على شمال إفريقيا في عدة مناسبات ، وظفر بأسرى من بينهم بعض التجار العرب . وقد عُرِى سقوط فيمي وثورته إلى قصة حب مفادها أنه وقع في حب راهبة اسمها هومونيزا (Homoniza) وتزوجها على كرهٍ منها . وبعد التحقيق في الأمر ، أمر ميخائيل الثاني واليه قسطنطين بمعاقبته بجدع أنفه . فثار فيمي بساندة الوحدات البحرية التابعة له ، واحتل سرقوسة وأوقع هزيمة بقسطنطين الذي أُسر وأعدم . ونادى فيمي بنفسه امبراطوراً ونصّب رجاله في مختلف أنحاء الجزيرة ، إلا أن أحدهم ، ويسميه المؤرخون العرب بلاطة ، قام ضده وأعلن ولاءه للأمبراطور ميخائيل الثاني وهزم فيمي الذي اضطر إلى الاتصال بالأمير الأغلي للتدخل والمساعدة ^(٢) . ولعل مجرد الطموح السياسي والنجاح الذي أحرزه العرب في جزيرة كريت (إقريطش) ضد الأسطول البيزنطي قد أوحيا لفيمي بالقيام ضد امبراطوره ^(٣) .

ولدى وصول فيمي إلى إفريقية ، عرّض السيادة على صقلية على الأمير زيادة الله على أن يظلّ فيمي والياً على الجزيرة يحمل لقب امبراطور ويدفع الجزية للأمير الأغلي ، ويتعهد الأمير من جانبه بتقديم مساعدة عسكرية له .

وقد حدث خلاف كبير بين أعيان القيروان ، إذ رأى بعضهم أن من غير اللائق نقض معاهدة السلام القائمة مع البيزنطيين ، فيما قال آخرون إن البيزنطيين كانوا قد خرقوا المعاهدة وأن الأسرى العرب كانوا يعانون في سجون صقلية . وقد أحال زيادة الله المسألة على قاضي القيروان الشهيرين أبي محرز محمد وأسد بن الفرات . وكان من رأي أبي محرز جمع معلومات أدق عن صقلية ، في حين أن القاضي أسد بن الفرات دعا بحماس إلى المبادرة بإعلان الجهاد ، فأخذ الأمير بمشورته ^(٤) .

ولّى الأمير زيادة الله القاضي المتحمس أسد بن الفرات قيادة الحملة العربية . وكان لأسد خلفية دينية من الطراز الأول إذ كان قد تتلمذ على محمد الشيباني وأبي يوسف من أشهر أصحاب الإمام أبي حنيفة ، كما يروى بأنه قد سمع عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس ، إلا أن الرواية لا تنسب لأسد أية خبرة عسكرية سابقة تُذكر . ويبدو أن اختيار الأمير زيادة الله لأسد كانت تقليداً دينياً للخليفة عمر بن الخطاب ، الذى كان يختار من آتٍ لآخر رجالاً ، كأبي عبيدة بن الجراح ، لإمرة الجيوش الإسلامية لورعهم ومنزلتهم الدينية أكثر من اختياره لهم لمهارتهم الحربية . وفضلاً عن اختيار القائد ، فإن الحملة العربية على صقلية كان قد أحسن التخطيط لها . وكانت الحملة تضم عناصر عديدة كالعرب والبربر والأندلسيين من جزيرة كريت (إقريطش) ، كما أن بعض الفرس قد يكونون شاركوا فيها . ولعل بعض العلماء شاركوا في الحملة أيضاً محتدين في ذلك حدو أسد بن الفرات . ويقول المؤرخون العرب : إن الحملة كانت تضم ١٥٠٠٠ رجلاً وما بين سبعين ومائة مركب . وفي سوسة ، انضمت إليها قوات فيمي ثم أقبلت القوات المتحالفتان صوب صقلية في ربيع أول من سنة ٢١٢هـ/يونيو ٨٢٧ م . ونزلت القوات إلى البر في مازر حيث كان لفيمي بعض الأنصار . وفي أول لقاء وقعت الحملة العربية هزيمة بالجيوش البيزنطي بقيادة بلاطة الذى فر إلى معقل قصر يانة/قصرياني (Castrogiovanni) ومنه فر إلى مقاطعة قلورية (Calabria) وتوفي فيها ^(٥) .

وعلى إثر ثورة فيمي وغزو العرب لجزيرة صقلية ، اضطر الامبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني إلى صرف اهتمامه من جزيرة كريت (إقريطش) إلى صقلية ^(٦) . وفي هذه الأثناء أحرز الجيش الإسلامي بقيادة أسد بن الفرات بعض التقدم . وبعد أن ولى أسد أبا زكي نائباً عنه في مدينة مازر ، التي تم الاستيلاء عليها ، توجه عبر

الجزيرة صوب سرقوسة . وفي طريقه إليها واجهه البيزنطيون في أكرا (Acra) ،
وُسِّمَ الآن بلاتزولو أكريد (Palazzolo Acreid) ، وفيها اجتمع به بعض ممثلي
البيزنطيين من سرقوسة وعرضوا أن يدفعوا الجزية ، ولكن ذلك كان حيلةً منهم ، إذ
كان البيزنطيون في الواقع منهمكين وعلى عجلٍ بتحسين سرقوسة وغيرها من المعاقل
وبنقل كنوز الكنائس إلى معاقلٍ منيعةٍ محصنة . أما فيمي الذي لم تتحقق مطامحه فإنه
أخذ الآن يتواطأ سرّاً مع البيزنطيين ويحثهم على مقاومة العرب . وبعد أن فرغ
البيزنطيون من تعزيز تحصيناتهم في سرقوسة ، رفضوا أن يدفعوا إلى أسد الجزيرة التي
كانوا قد وعدوا بدفعها .

حاول أسد محاصرة سرقوسة ، ومع أنه كان تحت إمرة آنذاك ثمانية أو تسعة
آلاف رجل ، فإنه لم تتوفر لديه آلات الحصار ولا المراكب الكبيرة الضرورية
للاستيلاء على المدينة المحصنة تحصيناً منيعاً . وكان اليونان قد نقلوا جميع الماشية
والمواد الغذائية في المنطقة القريبة من تحصيناتهم ، مما اضطر الجيش العربي إلى أكل
لحوم خيوله . وحدث تمرد على رأسه رجل يُعرف بابن قديم حثَّ أسداً على الكف
عن الحصار والعودة إلى إفريقية . وقد تم إخماد الفتنة وأمر أسد بجلد ابن قديم .
وتواصل حصار العرب لسرقوسة براً وبحراً ، وعلاوة على وصول بعض التعزيزات من
إفريقية ، انضم إلى أسد غزاة بحر عرب قدموا من جزيرة كريت (إقريطش) . وتلقى
البيزنطيون المحاصرون تعزيزاتٍ بعثَ بها الأمبراطور ميخائيل الثاني ، كما نجح
الأمبراطور في إقناع رئيس البندقية الدوج جوستينيانو بارتسيباتريو بإرسال قوة بحرية
ضد الغزاة العرب . وقد دام الحصار نحواً من عام . واقترحت سرقوسة عقد هدنة ،
إلا أن العرب رفضوا ذلك . وأصبح وضع أهل المدينة حرجاً ، إلا أنه لحسن حظهم
نفشَى وباء في المعسكر العربي كان من ضحاياه أسد بن الفرات^(٧) .

ومع أن أسداً كان يقود العرب في صقلية لمدة عام فقط ، إلا أنه استطاع أن
يُحرز موضع قدمٍ ثابتة في الجزيرة ، قُدِّرَ له أن يتَّسع مع الزمن إلى أن أصبح افتتاحاً
للجزيرة بأسرها .

وعلى أثر وفاة أسد بن الفرات ، اختار الجند العربي محمد بن أبي الجوارى قائداً
دون انتظار تعيين قائدهم من قِبَل الأمير الأغلب . ولما كان العرب قد أوهنهم الوباء ،
وثبَّت من عزيمتهم مقاومة البيزنطيين الصلبة ، فإنهم قرروا رفع الحصار عن سرقوسة

والإقلاع إلى شبال إفريقيا ، إلا أن مراكب البيزنطيين والبنادقة اعترضت سيبلهم . فعاد العرب وأحرقوا مراكبهم ، للحيلولة دون وقوعها في أيدي العدو ، وساروا صوب داخل الجزيرة . واحتلوا بادي الأمر ميناو (Mineo) التي تقع على مسافة مرحلة من سرقوسة في اتجاه الشمال الغربي ، ثم استولوا على جرجنت (Girgenti) . وبعد ذلك وصلوا أمام قصر يانِه (Castrogiovanni) أعظم معقل الجزيرة مناعةً طبيعية . وفي قصر يانِه وقع حادث مثير . فقد تظاهر سكان المعقل بالخصوع لقيمي وبالاعتراف به امبراطورا عليهم ، ثم تغلبوا عليه واغتالوه . وحاول البطريق البيزنطي ثودط (Theodotus) لقاء العرب خارج قصر يانِه ، إلا أنه صدَّ واحتُمى بالمعقل . وتواصل حصار المعقل . وقد شعر العرب الآن بالاطمئنان في المناطق التي افتتحوها ، حتى إنهم ضربوا العُملة باسمي زيادة الله ومحمد بن أبي الجواري . إلا أن الأخير توفي أثناء حصار قصر يانِه ، واختار الجند زهير بن الغوث خلفا له . وقام ثودط بهجوم مضاد مباغت أودى بحياة ألف من المسلمين ، وتولى زمام المبادرة وحاصر المحاصرين الذين تكبدوا إصابات كبيرة ، ولكنهم تمكنوا من الانسحاب واللجوء إلى ميناو حيث واجهتهم جماعة . وفي هذه الأثناء ، قامت الحامية الإسلامية في جرجنت بنهب تلك المدينة ثم أخلتها وتوجهت صوب مازر . وهكذا فإنه لم يبقَ في أيدي العرب في عام ٨٢٩ م ، وفي نهاية المرحلة الأولى من الحملة ، سوى ميناو ومازر الواقعين في جانبيين متقابلين من الجزيرة ^(٨) .

وتوفي الأمبراطور ميخائيل الثاني في سنة ٨٢٩ م وخلفه ثيوفيل (Theophilus) (حكَّم ٢٩ — ٨٤٢ م) الذي أصيب البيزنطيون في السنوات الأولى من حكمه بنكسات كبيرة في صقلية . وفي سنة ٨٣٠ م وصلت إلى العرب في الجزيرة تعزيزات بعث بها الأمير زيادة الله . وفي نفس السنة ، نزلت في صقلية جماعة من الأندلسيين في مراكب كثيرة وعلى رأسهم أصبغ بن وکیل [الحواري] . وإذ ذاك كان ما بقي من القوة الإسلامية الأولى يعاني ضيقاً شديداً إذ إن البطريق ثودط كان يحاصر ميناو منذ قرابة عام . وقد انضم الأندلسيون إلى جيش الأغلبة على أن يُقبل أصبغ قائداً للحملة . وكان مجموع قوة الأسطولين العربيين حوالي ٣٠٠ مركب ، وأما الجند ، فكان عددهم يتراوح ما بين ٢٠,٠٠٠ و ٣٠,٠٠٠ رجل . وبعد أن توفرت الخيل لأصبغ ، سار لنجدة العرب في ميناو ، وقُتل ثودط ، واحتُمى الجيش البيزنطي في

معقل قصر يانہ . وبعد نهب مدينة ميناو وحرقتها ، وصل أصبغ إلى مدينة يسميها المؤرخون العرب غلوالية التي حُدِّت بمدينة قَالُونِيَانَة (Calloniana) . وفي هذه المرحلة ، تفشَّى وباء الطاعون في الجيش العربي ، وتوفي أصبغ ورفع الحصار المضروب على المدينة . وقام البيزنطيون بهجوم مضاد تكبَّد بسببه العرب الأندلسيون خسائر كبيرة ، إلا أنهم وصلوا إلى مراكبهم ، وعاد معظمهم إلى الأندلس . وبقي بعض الأندلسيين في صقلية وانضموا إلى القوة الأغلبية في حصارها لمدينة بلرم (Palermo) ^(٩) .

إن الهزيمة التي مُنيت بها القوة الأندلسية ومبارحتها للجزيرة لم تُضعف الروح المعنوية للجيش الأغلب الذي كان قد تقدم من مازر في أغسطس ٨٣٠ م لحاصرة مدينة بلرم . وبعد حصار للمدينة دام عاماً ، استسلم وإلى المدينة البيزنطي في ٣٠ رجب سنة ٢١٦ هـ / ١٢ سبتمبر ٨٣١ م . وكان موطيء القدم العربي في صقلية قد اتسع لذلك الآن فأصبح منطقة شاسعة عاصمتها بلرم ، وأصبح العرب الآن في مركز حسن يملكهم من المضي في افتتاح بقية الجزيرة . وانقضت سنتان قبل أن يقوم العرب بأي هجوم كبير ضد الممتلكات البيزنطية المتبقية ^(١٠) . وعند استيلاء العرب على بلرم ، كان مقر البطريق والإدارة البيزنطية في صقلية قد تم نقلها من سرقوسة إلى معقل قصر يانہ المنيع ^(١١) .

وفي سنة ٨٣٢ م ، وبعد خمسة شهور من فتح بلرم ، ولَّى زيادة الله على صقلية ابن عمه أبا فھر محمد بن عبد الله . ولعل هذه التولية لأمر أغلب كان مبعثاً اعتبارين ، أولهما الحيلولة دون وقوع أية محاولة من جانب المغامرين الأندلسيين العرب ، الذين كانوا قد وفدوا مع أصبغ ، لضم الجزيرة للأندلس الأموية أو لإقامة إمارة مستقلة كما حدث في جزيرة كريت (إقريطش) . وأما الاعتبار الثاني فقد يكون الرغبة في تعزيز ارتباط صقلية بإفريقية الأغلبية . على أن العنصر الأندلسي في صقلية اندمج بالعنصر الإفريقي ^(١٢) ، وحتى بعد تولية أبي فھر ظلت تبعية صقلية العربية للأغلبة تبعية اسمية ، وأدبرت شؤون الجزيرة بقدر كبير من الاستقلال الذاتي . إلا أن العملة التي ضربت في صقلية في سنة ٨٣٥ م كانت تحمل اسم الأمير الأغلب زيادة الله ^(١٣) .

وفي سنة ٨٣٤ م ، قاد أبو فھر حملة ضد قصر يانہ وأوقع خسائر في القوة

البيزنطية التي اعتصمت في المعقل . وفي سنة ٨٣٥ م ، قام بغزوتين آخرين ضد الأراضي البيزنطية سبي في ثانیها سیاً کثیرا ، کما وقع فی یدة ابن البطریق البیزنطی . وسیر سرية بقيادة محمد بن سالم ضد طبرمين (Taormina) ، إلا أن بعض عسكره عدوا عليه فقتلوه ولحقوا بالروم (١٤) .

فأرسل زیادة الله من إفريقية الفضل بن یعقوب عوضا عنه ، فسار فی سرية إلى ناحية سرقوسة ، فأصابوا غنائم کثيرة ، ثم سیر سرية إلى ناحية قصریانة . وبعد بضعة شهور ، سیر زیادة الله من إفريقية أبا الأغلب إبراهيم بن عبد الله أمیراً علیها ، وهو شقیق أبي فهر . وكان إبراهيم رجلاً سدید الرأي ثاقب البصيرة السیاسية ، فأدرك أن فی مقدمة المشاكل الرئيسية الخاصة بالإمدادات لمواصلة افتتاح صقلية تجهیز أسطول ، یضم وحدات مزودة بالقذائف الحارقة ، یستطیع الصمود فی وجه الأسطول البیزنطی . وغزا الأسطول الجدید الساحل الذی كان بحوزة البیزنطیین وظفر بالعید من الأسرى ، ونزل رجال إحدى الوحدات الأخرى من الأسطول إلى البر فی جزيرة قوصرة (Pantellaria) (١٥) .

وفی هذه الأثناء قامت القوات البرية بغزوتين فی ناحية جبل النار (جبل إتنه) فی سنة ٥ — ٨٣٦ م ، فغنموا غنائم عظيمة حتی بیع الرقیق بأبجس الأثمان (١٦) . وفی نفس السنة ، سیر أبو الأغلب أيضا سرية إلى معقل قسطنطیاسة (Castelluccio) فغنموا ، ولقیهم الروم فكانت بینهم حرب استظهر فیها الروم . وفی نفس الوقت تقريبا ، غزت وحدة تابعة للأسطول بقيادة الفضل بن یعقوب الجزائر الأیولية واستولت علی بعض الحصون بما فیها دنداره (Tindaro) . وفی سنة ٨٣٧ م سیر أبو الأغلب عسکراً إلى قصریانه علیهم عبد السلام بن عبد الوهاب . وقد دخل العرب المعقل وأصابوا غنائم کثيرة إلا أنهم لم یستطیعوا الاستیلاء علی القصبه . وعقدت هدنة بارحت علی أثرها الحملة العربیة المعقل وعادت إلى بلرم (١٧) .

وفی سنة ٨٣٧ م ولی ثیوفیل علی صقلية البیزنطیة صهره الأرمني الکسیس موسیل (Alexis Mousélé) ، إلا أنه لم یلبث أن اتهم بالخيانة وبالتواطؤ مع العرب ، فاستدعي إلى القسطنطینیة (١٨) . وفی سنة ٨٣٨ م ، حاصر العرب معقل جفلوذي (Cefalu) الذی یقع علی مسافة ثمانية وأربعین میلا شرقي بلرم ، ثم رفع الحصار بعد وصول تعزيزات بیزنطیة إلى المعقل .

وفي ١١ جمادى الثانية سنة ٢٢٣هـ / ١١ يونيو ٨٣٨ م توفي الأمير الأغلب زيادة الله ، فخلفه في الإمارة أخوه أبو عقاب الأغلب بن إبراهيم (حَكَمَ ٨٣٨ — ٨٤١ م) . ووصلت إلى صقلية تعزيزات جديدة من إفريقية . وفي عام ٨٤٠ م استسلم للعرب حصن ابلاطنو (Platani) وقلعة البلوطة (Caltabellotta) وحصن قرليون (Corleone) ولعل مدينتي مارينيو (Marineo) وجاراش (Geraci) استسلمتا لهم أيضا . وفي سنة ٨٤٠ — ٨٤١ م ، تعرّضت ناحية معقل قصر يانه لغزوة عربية . وفي نهاية حكم الأمبراطور ثيوفيل (ت . ٨٤٢ م) كان عرب صقلية قد احتلوا إقليم مازر احتلالا تاما ، وعقدوا تحالفاً مع نابل (نابولي) دام نصف قرن تقريبا ^(١٩) . وفي سنة ٢ — ٨٤٣ م ، نقل العرب نشاطهم الحربي إلى شرق الجزيرة ، وبمساعدة نابولي احتلوا مدينة مسينة . وباستيلاء العرب على المدينة أصبحوا يسيطرون على مجاز مسينة ، ولما كانوا يسيطرون على البحر بين صقلية وإفريقية فإنه أصبح في مقدورهم الحيلولة دون دخول الأسطول البيزنطي إلى غربي البحر المتوسط ^(٢٠) . وفي سنة ٨٤٥ م ، زادت القوات العربية من ضغطها على إقليم نوطس واحتلت مودقة (Modica) . وفي سنة ٦ — ٨٤٧ م ، احتل الفضل ابن جعفر الهمداني ، فاتح مسينة ، مدينة لنتيني (Lentini) ^(٢١) . وفي سنة ٨٤٥ م حاولت الأمبراطورة ثيودورة (Theodora) ، بعد إبرامها صلحاً مع العرب في المشرق ، تحسين الوضع البيزنطي في صقلية ، فأرسلت تعزيزات إلى لواء كارسيانون (Charsianon) الثاني ، إلا أن هذه التعزيزات هُزمت على أيدي العرب بالقرب من بثيرة (Butera) وتكبدت خسائر فادحة ^(٢٢) . وفي سنة ٧ — ٨٤٨ م ، قام الروم بمحاولة باءت بالفشل لإنزال قوات في منديله (Mondello) على بعد ثمانية أميال من بلرم . وفي سنة ٨٤٨ م كانت المجاعة الشديدة في صقلية ، ولعله نتيجة لها استسلمت للعرب مدينة رغوس (Ragusa) في جنوب شرقي الجزيرة على شروط مُدَلَّة . فقد تخلى السكان عن جميع أموالهم للظافرين الذين قاموا بدك أسوار المدينة عند انسحابهم ^(٢٣) . وفي سنة ٨٤٩ — ٨٥٠ ، نفذ العرب إلى داخل معقل قصر يانه ، دون القصة ، ثم عادوا إلى بلرم بعد أن أشعلوا النار في المعقل ^(٢٤) .

توفي أبو الأغلب في ١٠ رجب سنة ٢٣٦هـ / ١٧ يناير ٨٥١ م بعد ولاية دامت ست عشرة سنة . وقد كان من أكثر الولاة المسلمين في صقلية كفاءة ، ومع ذلك

فإنه لم يبرح قط على رأس جيش . وقد حظي بقائدَيْن وفَيْن قادِرَيْن واصل أكفأهما الفضل بن جعفر حرب الافتتاح ، واحتل كل إقليم مازركما أحرز تقدما كبيرا في بقية الجزيرة ، بحيث لم تستشعر الأمان سوى تلك المدن المسيحية في الجزيرة التي قبلت دفع الجزية للمسلمين^(٢٥) .

وبعد وفاة أبي الأغلب ، ولي صقلية من بعده العباس بن الفضل ، وهو رجل عنيف اشتهر قائداً عسكرياً . وقد ولّاه عرب صقلية أمرهم وأقرّه على الولاية الأمير الأغلب محمد الأول (حكّم ٨٤١ — ٨٥٦ م) . وفي سنة ٨٥٢ م ، غزا العباس قلعة أبي ثور (Caltavuturo) في الطرف الشمالي من الجزيرة ، وسبى سبباً كثيراً . وتلت هذه الغزوة غزوات في نواحي مدن هامة أخرى ، بما فيها قطانية (Catania) وسرقوسة ونوطس . وفي سنة ٨٥٣ م حاصر مدينة بثيرة لمدة خمسة شهور ، وظفر بعدد كبير من الأسرى الذين جرى استرقاقهم . وكان رقيق الحرب هؤلاء يستخدمون في الأعمال الزراعية في إقليم مازر . وخلال عام ٧ — ٨٥٨ م ، غزا العرب ثانية نواحي سرقوسة وطبرمين وغيرهما من المدن البيزنطية . وفي سنة ٨٥٨ م ، استسلم للعرب حصن جفلودي (Cefalu) وسُمح لأهله بمبارحته ودُمّرت تحصيناته . وفي رمضان سنة ٢٤٤هـ/يناير ٨٥٨ م ، احتل العباس أخيراً معقل قصر يانه الحصين ، وبه دار الملك بصقلية . وقد أصيبت غنائم كثيرة ، وسُبي أبناء وبنات النبلاء البيزنطيين ، وأمر العباس ببناء مسجد في المعقل . وقد أرسل بعض السبي والغنائم إلى إفريقية ومنها إلى بلاط الخليفة العباسي المتوكل على الله (حكّم ٨٤٧ — ٨٦١ م) في بغداد^(٢٦) .

وقد حفز سقوط قصر يانه الأمبراطور ميخائيل الثاني إلى إرسال أسطول قوي من ثلاثمائة شلندي بقيادة قسطنطين قوندوميتس (Constantine Kondomytes) وصل سرقوسة في خريف سنة ٨٦٩ م . ولدى وصول الأسطول البيزنطي ، ثارت على العرب عدة معاقل منها أبلّا (Avola) وأبلاطنو (Platani) وقلعة البلوطة (Caltabellotta) وقلعة أبي ثور (Caltavuturo) التي كانت قد استسلمت للعرب من قبل . وفي اشتباك بحري أوقع العرب هزيمة فادحة بالبيزنطيين الذين فقدوا مائة شلندي . ثم تقدم العباس ضد الجيش المشترك للمعاقل التي ثارت وهزمه قرب جفلودي . وصرف انتباهه إلى إسكان المسلمين قصر يانه وإلى تعزيز تحصينات المعقل ، وفي طريقه عائداً من غزوة ناجحة في ناحية سرقوسة ، اعتلّ العباس وتوفي

ودُفن في قلعة الجنون (Caltagirone). ولما غادر الجيش العربي المكان ، بادر الروم إلى نبش قبره وإحراق جثته (٢٧). وقد كان العباس بن الفضل من ألع ولاية الجزيرة العرب .

وولّى عرب صقلية أمرهم عمّه أحمد بن يعقوب ، وأقرّ هذه التولية الأمير أحمد بن محمد ، إلا أن عرب صقلية عزلوا واليهم الجديد بعد بضعة شهور من تنصيبه ، واختاروا عوضاً عنه عبد الله وهو ابن العباس بن الفضل . ولم يوافق الأمير الأغلبي على هذه التولية ، وولّى بدوره خفاجة بن سفيان أميراً على الجزيرة (٢٨) ، ووصل الأمير الجديد إلى بلرم في سنة ٨٦٢ م . وفي نفس السنة غزا محمود ابن الوالي خفاجة ناحية سرقوسة . إلا أنه صُدّ وعاد إلى بلرم . وفي سنة ٨٦٣ م خلف زيادة الله الثاني أخاه أحمد أميراً على إفريقية وثبّت خفاجة في ولايته على صقلية .

وفي سنة ٨٦٤ م ، فتح العرب مدينة نوطس (Noto) الهامة والغنية ، ثم معقل شكلية (Scicli) الواقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزيرة . وفي سنة ٨٦٥ م سارت حملة عربية إلى سرقوسة ذاتها ، إلا أن محمد بن خفاجة وقع في كمين نصبه له البيزنطيون ، وفقد ألفاً من رجاله (٢٩) . وفي العام التالي قاد حملة ثانية ضد سرقوسة دون أن يحرز نجاحاً ، فيما عدا احتلاله لبلدة طروانة (Troina) . وبالقرب من جبل النار (إتنة) ، اجتمع به وفد من مدينة طبرمين لإجراء محادثات صلح ، فأرسل الأمير زوجته وابنه محمداً للتفاوض بشأن إبرام معاهدة مع أهل تلك المدينة ، إلا أن المعاهدة التي أبرمت لم تلبث أن نُقضت وكَلّف خفاجة ابنه محمداً بتأديب طبرمين (٣٠). كما ثارت نوطس على العرب ، فاحتُلّت من جديد. وكذلك أُجبرت رغوس (Ragusa) على الاستسلام ثانية على معاهدة ترك بموجبها جانب من السكان أحراراً ينعمون بممتلكاتهم ، في حين سُبّوا الذين قاوموا العرب وغُنمت ممتلكاتهم ومواشيهم (٣١). وفي سنة ٨٦٧ م ، غزا خفاجة نواحي قطانية وسرقوسة . وقد عمّ نشاط القوات العربية الآن سائر أرجاء صقلية (٣٢) .

وفي سنة ٨٦٨ م ، أرسل الإمبراطور باسيل (Basileus) قوة بحرية كبيرة لمواقعة المسلمين في صقلية . وأوقع محمد بن خفاجة هزيمة ساحقة بالبيزنطيين قرب سرقوسة ، إلا أنه لم يتمكن من الاستيلاء على المدينة . كما أنه لم يتمكن من استرداد طبرمين في سنة ٨٦٩ م . وفي نفس السنة ، حاصر خفاجة سرقوسة ثانية دون نجاح . وفي طريق

العودة إلى بلرم ، اغتال خفاجة رجل من عسكره ، ووَلَّى الناس عليهم ابنه محمداً وأقره على الولاية الأمير الأغلي محمد بن أحمد .

وفي سنة ٨٦٩ م ، احتلت جزيرة مالطة قوة عربية من إفريقية ، عليها أمير أغلي هو أحمد بن عمر . وأخفق هجوم بيزنطي مضاد لاسترداد تلك الجزيرة ، بفضل وصول تعزيزات بعث بها من صقلية محمد بن خفاجة (٣٣) . وقد قُتل محمد بن خفاجة على أيدي خدومه الحصيان في سنة ٨٧١ م ، واختار أعيان عرب صقلية محمد بن أبي الحسين خلفاً له ، إلا أن هذا الاختيار رفضه الأمير الأغلي أبو الغرائق محمد الثاني (حكّم ٨٦٣ — ٨٧٥ م) الذي استعمل رباح بن يعقوب على الجزيرة . إلا أن الوالي الجديد توفي في نفس السنة ، وفي عام ٨٧٣ م وُلّي أبو الغرائق على الجزيرة أحد أقربائه أبا العباس بن عبد الله ، وهو رجل مثقف متضلّع في الأدب وشاعر ومحدث (٣٤) . وخلفه في نفس السنة أمير أغلي آخر هو أبو مالك أحمد .

ولما ولي الإمارة في القيروان الأمير الأغلي الرهيب إبراهيم الثاني بن أحمد (حكّم ٨٧٥-٩٠٢ م) خلفاً لأخيه أبي الغرائق ، استعمل على صقلية جعفر بن محمد الذي غزا نواحي رمطة وطبرمين وقطانية ، وأفسد زرعها ، وحاصر سرقوسة . وفي خلال نصف القرن الذي انقضى بين أول حصار لسرقوسة على يد أسد بن الفرات في سنة ٨٢٧ م وهذا الحصار على يد جعفر في سنة ٨٧٧ م ، كان سكان سرقوسة قد تناقص عددهم كثيراً نتيجة للحرب والأوبئة والهجرة إلى ممتلكات بيزنطية أكثر أمناً (٣٥) . وفي هذا الحصار ، اشتدت الفاقة بأهل سرقوسة ، حتى إنهم اضطروا إلى أكل لحوم الموتى من البشر . وقد أرسل الأمبراطور باسيل تعزيزات بقيادة مقدّم الأسطول أديريان ، واضطّر جعفر لفترة من الزمن إلى رفع الحصار عن المدينة والعودة إلى بلرم . واستؤنف الحصار العربي في ربيع سنة ٨٧٨ م ، بقيادة أبي عيسى محمد بن قهره ، بمزيد من النشاط . وأخيراً تم للعرب فتح سرقوسة في ١٤ رمضان سنة ٢٦٤ هـ / ٢١ مايو ٨٧٨ م . وقد ترك لنا الراهب تودط (Theodosius) وصفاً حياً لسقوط هذه المدينة الأزرلية ، والمذبحة التي تعرّض لها سكانها ونهب الأموال وتدمير التحصينات وحرق أحياء المدينة (٣٦) .

وفي نفس السنة ، وتُعيد فتح سرقوسة ، قُتل جعفر بن محمد نتيجةً لمؤامرة في القصر دبرها أميران أغليان . وقام خلفه الحسين بن رباح بغزوة لم تنجح ضد طبرمين

في سنة ٨٧٩ م . وخلفه الحسن بن العباس الذي أبدى نشاطاً في سنة ٨٨١ م في اكتساح ما بقي من أراض الروم في صقلية ، فبعث السرايا إلى كل ناحية ، وخرج إلى قطانية ثم إلى طبرمين وأفسد زرعها^(٣٧) . وخلال عامي ٨٨١ و ٨٨٢ م ، أحرز المسلمون عدة انتصارات ، إلا أنهم مُنوا بهزيمة فادحة على أيدي الروم بالقرب من قلعة أبي ثور (Caltavuturo)^(٣٨) . وعلى أثر هذه الهزيمة ، استُبدل الحسن بن العباس بمحمد بن الفضل الذي بث السرايا في كل ناحية من صقلية كانت في حوزة الروم . وتكبدت نواحي قطانية وطبرمين ورمطة وطاة هذه الغزوات خلال سنتي ٨٨٢ و ٨٨٣ م ، إلا أنها لم تستسلم . وفي سنة ٨٨٥ م سار الوالي الجديد سواده بن محمد بن خفاجة التميمي في عسكر كثير إلى طبرمين ، إلا أنه لم يُوفق في الاستيلاء عليها . وفي سنة ٦ — ٨٨٧ م نشبت فتنة بين المسلمين في صقلية ، وأرسل الثائرون سواده إلى إفريقية وولّوا أبا العباس بن علي على أنفسهم ، إلا أن الأمير إبراهيم الثاني أرسل سواده ومعه قوة كبيرة لإخضاع الثائرين في الجزيرة ، ونجح في ذلك . وفي سنة ٨٩ — ٨٩٠ م كانت غزوة ثانية لسواده إلى طبرمين فحاصرها دون جدوى . إلا أن الأمور لم تسير سيراً حسناً في معسكر المسلمين . فقد ثار المسلمون من أصل صقلّي على الوالي والجنود الذين كانوا قد قدموا حديثاً من إفريقية ، ودامت ثورتهم من سنة ٨٨٩ إلى سنة ٨٩٤ م . وفي سنة ٨٩١ م ، استدعي سواده وولّي على صقلية محمد بن الفضل ثانية للسيطرة على الوضع في الجزيرة . وفي الفترة ما بين سنتي ٨٩٢ و ٨٩٦ م ، لم يستطع العرب في صقلية إحراز تقدم يذكر في الأراضي التي كانت ما تزال في حوزة البيزنطيين . وفي سنة ٨٩٨ م ، حدثت فتنة بين المسلمين في صقلية . وولّي الأمير إبراهيم الثاني أحمد بن عمر الأغلي القيادة في صقلية ، إلا أن الفتنة استمرت طوال سنة ٨٩٩ م . ولما لم يستطع أحمد السيطرة على الوضع ، أرسل الأمير إبراهيم الثاني ابنه عبد الله ، الذي كان قد اشتهر لقمعه الثورات في إفريقية ، على رأس قوة كبيرة لإعادة النظام في الجزيرة^(٣٩) . وقد استغلّ هذه المنازعات الداخلية في صقلية العربية السكان المحليون النصارى في إقليم دمنش ، وأعلن بعضهم الاستقلال . وفي هذه الأثناء كان الروم قد أرسلوا تعزيزات إلى طبرمين وريو (Reggio) . وشنّ عبد الله بن إبراهيم هجوماً مضاداً على ريو عبر مجاز مسينة في يونيو سنة ٩٠١ م ، ونقل الحرب إلى البر الإيطالي (الأرض الكبيرة)^(٤٠) .

وفي سنة ٩٠٢ م اعتزل الإمارة في إفريقية إبراهيم الثاني الذي يشكُّ بعض المؤرخين في سلامة قواه العقلية^(٤١) وخلفه ابنه عبد الله الثاني ، وحلَّ الأب محلَّ الابن في إمرة صقلية لكي يتولَّى شخصياً الجهاد ضد النصارى . وأثناء الحصار الشديد الذي ضربه إبراهيم على طبرمين ، وهو الحصار الذي أدى إلى فتحها ، أفلتت عن طريق البحر الحامية البيزنطية بعد أن فقدت كل أمل في الصمود . وقد اتهم بعضُ المؤرخين البيزنطيين القادة العسكريين البيزنطيين ، بما فيهم مقدّم الأسطول يوستاثيوس ارجيروس (Eustathios Argyros) بالإهمال الجرم ، وحتى بالخيانة المطلقة ، مع أن يوستاثيوس لم يلبث أن أعيد إلى الخطوة من قبل الأمبراطور ليو الرابع^(٤٢) . وبعد الاستيلاء على طبرمين ، أمر إبراهيم بالفتك بأهلها وبإحراق المدينة^(٤٣) . ثم انتقل إبراهيم إلى إخضاع بقية إقليم دمنش ، فأرسل حملاتٍ مختلفة بقيادة أقاربه وغيرهم من القادة استولت على ميقه (Mico) وأكي (Aci) ورمطة . وقام هو نفسه بعبور مجاز مسينة للغزو في مقاطعة قلورية (Calabria) ، وتوفي محاصراً لمدينة كُسِنَّة (Cosenza) في سنة ٩٠٢ م . وقد ابتهج النصارى لموته ، واعتبروه رحمة إلهية^(٤٤) . وما أن حلَّ عام ٩٠٢ م حتى كانت صقلية بأسرها في قبضة المسلمين . وهكذا فإن افتتاح المعلمين للجزيرة استغرق قرابة ثلاثة أرباع القرن .

وفي عهد الأغلبة كان اتجاه الفتح العربي للجزيرة من الغرب إلى الشرق ، من مازر وبلرم شرقاً . وقد كانت الحرب سجالاتٍ لمدة أربع سنوات حتى عام ٨٣١ م . وخلال السنوات العشر التالية ، أى من سنة ٨٣١ إلى سنة ٨٤١ م ، شدَّد العرب من قبضتهم على إقليم مازر ، حيث أقاموا مستوطناتهم الأولى ونقلوا الرقيق للعمل في مزارعهم . وخلال السنوات الثماني عشرة التالية ، أى من سنة ٨٤١ إلى سنة ٨٥٩ م ، ضاعف العرب من مجهودهم لإخضاع إقليم نوطس الخصب . وبعد سنة ٨٦٠ م ، جدُّوا في المرحلة الأخيرة لافتتاح إقليم دمنش الذي نجحوا آخر الأمر في احتلاله عام ٩٠٢ م^(٤٥) .

ونتيجة للإغبياء الذي خلفته الفتن الداخلية في الثمانينات من القرن التاسع الميلادي ، فإن صقلية العربية ظلَّت هادئة خلال السنوات السبع الأخيرة من حكم الأغلبة ، أى من سنة ٩٠٣ إلى سنة ٩٠٩ م ، وتعاقب خلال هذه الفترة على

الحكم خمسة ولاية ، تعرض النصارى للاضطهاد على يد آخرهم أحمد بن أبي الحسين (٤٦) .

ولما كان لا يفصل صقلية عن جنوب إيطاليا سوى مجاز مسينة الضيق ، لذا كان من الطبيعي أن ينفذ رأس حربة الهجوم العربي إلى الولايات الجنوبية من شبه الجزيرة الإيطالية عدة مرات في فترة حكم الأغلبة . ومن المناسب في هذا المقام دراسة النشاط الحربي العربي فوق البر الإيطالي بشئ من التفصيل . فبعد أن افتتح العرب ثلث جزيرة صقلية تقريبا ، تحالفت معهم جمهورية نابولي (نابل) ضد اللمبارد في مدينة بنفنت (Benevento) (٢ - ٨٣٩ م) . وكان هذا أول لقاء بين اللمبارد والعرب فوق البر الإيطالي . وبعد التحالف مع نابولي ، غزا العرب الساحل الأدرياتيكي من إيطاليا ، واحتلوا مؤقتا مدينة برنديزي في سنة ٨٣٨ م وهزموا أسطول البندقية وتقدموا بمحاذاة ساحل إيطاليا على البحرين الأدرياتيكي والتيراني (٤٧) .

وفي سنة ٨٤٠ م قام عرب صقلية بغزوة أخرى في البحر الأدرياتيكي في منطقة إستريا (Istria) . وعاثوا بمدينة أسيريه في جزيرة كيرسه (Cherso) وأحرقوا المدينة . واستنجد الإمبراطور ثيوفيل بالبنادقة فأرسلوا أسطولا من ستين مركبا لنجدة طارنت (Taranto) ، ولكن العرب باغتوا هذا الأسطول وهزموه وأحرزوا مزيداً من التقدم في البحر الأدرياتيكي حتى مدينة أنكونا التي عاثوا فيها وأحرقوها . ووصل العرب أخيراً إلى مصب نهر البوقرب أدرية ، إلا أنهم لم يستطيعوا مواصلة التقدم . وفي طريق العودة ، أوقعوا خسائر أخرى بفلول أسطول البندقية ، وعززوا مواقعهم في طارنت (٤٨) .

وباستيلاء العرب على طارنت ، أصبح البحر الأدرياتيكي أكثر عرضة لغزوات الأساطيل العربية . وفي سنة ٨٤١ م ، استنجد بالعرب راديلكيس (Radelchis) ، الحاكم الشرعي لمدينة بنفنت (Benevento) ، ضد خصمه سيكينولف (Sikenolf) عن طريق باندون (Pandon) حاكم مدينة باره (Bari) . وسرعان ما استجاب العرب واستولوا على باره . واستنجد سيكينولف بعرب جزيرة كريت (إقريطش) ضد إخوانهم في الدين في صقلية ، وضد راديلكيس دون جدوى (٤٩) .

وقد انتعشت القوة البحرية البيزنطية في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي في عهد الأسرة المقدونية وتمكّن البيزنطيون من استعادة بعض الممتلكات التي فقدوها في جنوب إيطاليا. وفي الفترة ما بين سنتي ٨٤١ و٨٦٦ م ، لم يَقمُ العربُ بتوغُّلٍ يُذكر في منطقة البحر الأدرياتيكي ، مع أنهم ظلوا محتفظين بكلٍّ من مدينتي باره وبرنديزي . وقامت الحكومة البيزنطية بتوطين المردة (الجراجمة) المولعين بالقتال في لوائي كيفالينيا (Cephalenia) وديراقيوم (Dyrrhachium) للحدّ من خطر القواعد العربية في جنوب إيطاليا^(٥٠) إلا أن ذلك لم يحلّ دون استمرار النشاط الحربي العربي في ساحات الحرب الإيطالية الأخرى . وفي سنة ٨٤٥ م ، حدث خلاف بين العرب وحلفائهم النابوليين بشأن جزيرة بونزه (Ponza) والموقع الساحلي المحصّن العربي في الطرف الجنوبي من خليج سالرنه (Salerno) . وتمّ إبعاد العرب عن مواقعهم حينما تلقّى النابوليون مساعدة من عناصر أرسلت من ملف (Amalfi) وجايتا (Gaeta) وسُرنْت (Sorrento) . وقام العرب بهجوم مضاد واحتلوا ميسينه (Misenò)^(٥١) .

وفي سنة ٨٤٦ م ، ظهر العرب عند مصب نهر التيبر ، واقتربوا من رومة . ومع أن الباباوات الأوائل كانوا قد توقعوا الخطر العربي ، وقام البابا جريجوري الرابع (٢٧-٨٤٤ م) بتحسين مصب نهر التيبر وبني حصناً في أستيّا (Ostia) ، فإن الأسطول العربي تمكّن من شقّ طريقه مخلفاً أستيّا وراءه ، وزحفت قوة عربية في اتجاه تشيفيتافيكيّا (Civitavecchia) بينما هزمت قوة أخرى الحامية التابعة للبابا في نوفيّا أستيّا (Nova Ostia) . ولم تكن هذه حملة كبرى أو حتى مخطّطاً لها ، بل كانت غارة جريئة على نطاق واسع ، اجتذبت ما كان لثراء المدينة المقدسة من صيت . وقد عيّن بكنيسة القديس بطرس الكبرى وأصيب ببعض الأضرار ، مما أثار الأسى بين كافة النصارى^(٥٢) . إلا أنه يبدو أن العرب إما أنهم لم يحاولوا جدياً الاستيلاء على رومة ، وإما أن أهل رومة نجحوا في الدفاع عن أنفسهم ، إذ إن العرب تحوّلوا جنوباً صوب بنفنت وعاثوا بمدينة فوندي (Fondi) وحاصروا مدينة جايتا (Gaeta) . ووصل لويس (الأمبراطور فيما بعد) إلى جنوب إيطاليا لمحاربة العرب وانضم إليه سيزاري (Cesare) ابن القنصل في نابولي . وقد هزم العرب لويس وعقدوا صلحاً مع سيزاري ، إلا أنه في طريق العودة ، هبّت عاصفة شديدة بددت أسطولهم ودمرتة . ووقع عدد كبير من العرب في الأسر ، وأُتي بهم إلى رومة وسُخّروا للعمل على تشييد تحصينات مدينة

الفاتيكان^(٥٣) . وقبل منتصف القرن التاسع الميلادي ، كانت جميع سواحل إيطاليا الجنوبية من سيونتو (Siponto) في الشرق إلى مصب نهر التير في الغرب قد تعرضت لغزوات جماعات من العرب كانت تتجمع من نقاط مختلفة في حوض البحر المتوسط . وقد أدت هذه الغزوات إلى إقامة مواقع ثابتة على السواحل اتخذت مراكز للغزو البحري^(٥٤) .

وبالرغم من الجهود التي بذلها إمبراطور الفرنجة لويس الثاني وأمراء اللمبارد فإن بولية (Apulia) بقيت تحت الاحتلال العربي من سنة ٨٤٩ إلى سنة ٨٦٦ م . وكان هذا الاحتلال يقرم على محور طارنت باره . وفي باره أعلن مفرج بن سلام استقلاله واحتل ثمانية وأربعين حصنا في مقاطعة بولية ، وشن غزوات على أراضي نابولي^(٥٥) . وفي سنة ٨٥٢-١ م ، عاث العرب في مقاطعة قلورية (Calabria) وهددوا مدينتي بنفنت وسالرنه . وباء بالفشل الحصار الأول الذي ضربه لويس الثاني على مدينة باره . وفي سنة ٨٥٨ م غزا عرب باره أراضي بنفنت ثانية وهزموا جيشا للفرنجة قدم لنصرة تلك المدينة . وتوغل العرب في مقاطعة كامبانيا (Campagna) ودمروا ضواحي نابولي ، واحتلوا فينافرو (Venafrò) ووادي فولتورنو (Vulturno) . وفي سنة ٨٥٩ م أجبر أديلكيس (Adelchis) صاحب بنفنت على دفع جزية للعرب . وفي سنة ٨٦٦ م قام لويس الثاني بمحاولة أخرى لمعالجة أمر العرب في باره ، ومع أنه احتل متيرة (Matera) وفينوسا (Venosa) وكنوسا (Canosa) ، إلا أنه أخفق ثانية في محاولة الاستيلاء على باره^(٥٦) .

وفي أواخر أيام حكم الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث ، ألق العر ب في مراكزهم في البحر الأدرياتيكي في سنة ٨٦٦ م وحاصروا مدينة رغوس (Ragusa) على ساحل دلماشيا لمدة خمسة عشر شهرا ، وأنقذ المدينة من هذا الحصار أسطول تحت إمرة نيكيتاس أريفاس (Nicetas Oryphas) . وأبرم الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني معاهدة تحالف مع لويس الثاني الذي كان يسعى جاهدا لإخراج العرب من مقاطعة بولية ، وأرسل الإمبراطور في سنة ٨٦٩ م أسطولا من أربعائة مركب لمساعدته^(٥٧) . إلا أن الحصار الذي ضربه لويس حول باره في تلك السنة باء بالفشل للمرة الثانية ، وقام « سلطان » باره بغزو مقاطعة بولية حتى جرجانو (Gargano) . وفي سنة ٨٧١ م ، نجح لويس في احتلال باره ، فحرم بذلك العرب من تلك القاعدة القوية في البر الإيطالي^(٥٨) .

وكان الأمير الأغلبى أبو الغرائق قد ولى أحمد بن يعقوب على صقلية ، وولى أخاه عبد الله بن يعقوب على الممتلكات الإسلامية في جنوب إيطاليا . ولما نزل عبد الله في طارنت في سنة ٨٧١ م ، أرسل السرايا للغزو في عدة جهات . وقام هو نفسه بمحاصرة سالرنه ، إلا أنه توفي أثناء العمليات . وتواصل الحصار بعض الوقت بعد وفاته ، ولم يُرفع إلا في سنة ٨٧١ م حينما اضطرت القوات العربية إلى الانسحاب إلى مقاطعة قلورية . أما اللمارد الذين كانوا قد أسروا لويش الثاني ، فإنهم أطلقوا سراحه أمام الخطر العربي^(٥٩) . ومع أن لويش الثاني بارح جنوب إيطاليا وتوفي في سنة ٨٧٥ م ، فإنه بفضل هجومه المضاد حيل بين المسلمين وبين افتتاح جزء كبير من إيطاليا .

وبعد سنة ٨٧٢ م ، وجه العرب السرايا في جهات مختلفة ، وواجههم أمير بنفنت أدليكيس وجنوده اللمارد دون نجاح . وفي سنة ٨٧٥ م ، بعد وفاة لويش الثاني ، ألق أسطول إسلامي إما من صقلية وإما من جزيرة كريت (إقريطش) في البحر الأدرياتيكي وبلغ مدينة جراده (Grado) ، وفي طريق العودة ترك بلدة كوماتشيو (Comacchio) طعمة للنيران . وقامت تعزيزات جديدة على رأسها عثمان أمير طارنت بغزو ناحية بنفنت واحتلت مدينتي تليس (Telese) وأليف (Alife) في وادي فولتورنو (Vulturno) واستنجد اللمارد بالبيزنطيين ، إلا أن أدليكيس خشي التبعية للبيزنطيين ، فعقد صلحا مع العرب ، ومع ذلك نجح البيزنطيون في احتلال باره . ويستطيع المرء أن يميز بين سلسلتين مختلفتين من أوجه النشاط الحربي الإسلامي في جنوب إيطاليا بعد سنة ٨٧٥ م . ففي خليج طارنت كان موقفهم دفاعيا ضد البيزنطيين ، أما في خلجان سالرنه و نابولي وجايتا ، فإن زمام المبادرة كان بأيدي العرب . وفي سنة ٨٧٦ م ، عاثت جماعات عربية من جديد في ناحية رومة . وفي سنة ٨٨٠ م ، استدعى أتاناسيو (Atanasio) أسقف رومة قوة عربية لمساعدته ، ولما أدى ذلك إلى حدوث أعمال تخريب في جنوب إيطاليا ، اضطرب البابا جون (يوحنا) الثامن إلى إعلان الحرمان الكنسي ضده . وكان البابا قبل ذلك قد عمل على فسخ تحالف مكلف وكابوا وسالرنه مع العرب ، كما رضخت نابولي كذلك لضغطه في سنة ٨٨١ م . وفي نفس السنة احتلّ عرب سبينو (Sepino) ، بالتحالف مع الكونت جاي أمير سبوليتو ، مدينتي إسرنية (Isernia) وبوجانو (Bojano) ، كما احتلوا مرة ثانية الوادي الأعلى لنهر فولتورنو (Vulturno)^(٦٠) .

وفي هذه الأثناء احتلت قوة بيزنطية قوية طارنت في سنة ٨٨٠ م. واسترد البيزنطيون السيادة على كل مقاطعة قلورية ، وعلى جزء من مقاطعة بولية في الفترة ما بين سنتي ٨٨١ و٨٨٦ م. وكان احتلال البيزنطيين من جديد لقلورية ، باستثناء وادى قراطي (Crati) ، بعد سنة ٨٨٣ م مع حملات نيقفور فوقاس . وحارب عرب أجروبوليس (Agropolis) وجاريليانو (Garigliano) ، بمساندة نابولي ، البيزنطيين في شنت سثرينه (Santa Severina) وعاثوا بناحية جويمار (Guaimar) . واستغاث صاحب سالرنه بالبيزنطيين وقبيل سيادتهم . وفي سنة ٨-٨٨٩ م ، دمر عرب صقلية أسطولا بيزنطيا قرب ريو (Reggio) ، وفر سكان المدينة فرعا ، إلا أن مقدم الأسطول البيزنطي قام بهجوم مضاد ، وأسر القائد العربي مجبر بن إبراهيم^(٦١) .

وكما ذكرنا من قبل ، فإن آخر الغزوات العربية على جنوب إيطاليا أثناء حكم الأغلبة قادها الأمير الأغليبي عبد الله الذي عاث بمدينة ريو في سنة ٩٠١ م ، ووالده الأمير السابق إبراهيم الثاني الذي توفي محاصرا لمدينة كسنتة (Cosenza) في سنة ٩٠٢ م . وفي حين أن افتتاح العرب لجزيرة صقلية تم تدريجيا ، فإن الغزوات العربية على جنوب إيطاليا واستيطان العرب هناك لا يدلان على وجود أية خطة أو سياسة محددة للفتح الدائم ، وقد اتخذت تلك الغزوات طابع مغامرات عسكرية وبحرية إلى حد كبير .

كان سكان صقلية في عهد الأغلبة مزيجاً من كثير من الشعوب والأجناس والديانات المختلفة ، كالصقليين النصارى والمسلمين ، واليونان ، واللمبارد ، واليهود ، والعرب ، والبربر ، وكذلك بعض الفرس والسودان . وكان العرب يشكّلون النخبة الحاكمة . ويليهم أهمية البربر الذين كانوا قد قاموا بدور هام في افتتاح الجزيرة . وكان الكثيرون منهم يوجدون على وجه الخصوص في جرجنت (Girgenti) وبعض نواحي إقليم مازر^(٦٢) .

أما النصارى الذين كانوا يشكّلون أكثرية سكان الجزيرة ، فيمكن تقسيمهم إلى أربع فئات : فئة ظلّت مستقلة إلى حد كبير ، وفئة دفعت الجزيرة ، وفئة التابعين الإقطاعيين (vassals) وفئة الرقيق . وأثناء استمرار المقاومة البيزنطية ، كان النصارى في المناطق المستقلة يعترفون بالسيادة البيزنطية . أما الجماعات النصرانية التي عقدت معاهدات مع الدولة العربية ، فإنها كانت تدفع لهذه الدولة الجزية أو الخراج .

وكانت معاهدات دفع الجزية سارية المفعول لفترات ، كل فترة منها عشر سنوات .
وأما الباقون من السكان النصارى الذين كانوا يقيمون في المناطق الواقعة تحت إدارة
المسلمين المباشرة ، فكانوا يُعتبرون من أهل الذمة ، وكان لهم ما لأهل الذمة في بلاد
المسلمين إذ ذاك من التزامات وامتيازات . وكان يتمُّ البتُّ في منازعاتهم الشخصية
فيما بينهم وحسب قوانينهم ، وأما المنازعات التي يكون فيها أحد المسلمين طرفاً ، فإنها
تخضع لحكم الشرع الإسلامى . وكانوا مؤمنين على ممتلكاتهم وحرية عبادتهم ، إلا
أنه لا يجوز لهم النيلُ من القرآن الكريم أو النبىِّ محمد صلى الله عليه وسلم ، أو
الإسلام ، ولا يجوز لهم إهانة امرأة مسلمة أو تنصير مسلم . وأما الطبقة الرابعة من
النصارى وقوامها الرقيق ، فكانت تتكوَّن من ثلاث فئات : مَنْ يؤسرون في الحرب
أو أثناء الغارات ، وَمَنْ يبيعهم النصارى أو المسلمون رقيقاً ، والعمال
الزراعيون (٦٣) .

إن السكان النصارى في صقلية الذين عاشوا في ظل حكم المسلمين كانوا أحسن
حالا من أولئك الذين كانوا تحت حكم اللمبارد أو الفرنجة في إيطاليا . وكثيراً ما كان
الرقيق النصارى يعتقدون الدين الإسلامى أملاً في الحصول على معاملة أفضل أو ليتمَّ
عتقهم . وفي إقليم مازر ، حيث كان يكثر العبيد ، سار اعتناق الإسلام بخطى
سريعة . أما في إقليم نوطس ، خلال القرن من حوالى سنة ٨٥٠ إلى حوالى سنة
٩٥٠ م ، فإن النصرانية ظلَّت راسخة القدم . وأما إقليم دمنش ، فقد ظل معظم
سكانه على الدين المسيحى حتى الفتح النورمانى . ومع ذلك ، فقد كان المسلمون
يشكِّلون نسبة مئوية كبيرة من سكان الجزيرة خلال القرنين العاشر والحادى عشر
الميلاديين في عهد حكم الأمراء الكليبيين (٦٤) .

وفي عهد الأغالبة ، كان الوالى العربى على صقلية ، وكان يحملُ لقبَ أمير أو
والٍ أو صاحب ، يتمتع بحرية كبيرة . فكان يُعلن الحربَ ويعقد الصلح بقرار منه ،
وكان يتولَّى توزيع غنائم الحرب . والعملات التي ضُربت في صقلية في المرحلة الأولى
كانت تحمل اسمى والى صقلية والأمير الأعلى الحاكم في إفريقية ، أما العملات التي
ضُربت فيما بعد ، فكانت لا تحمل سوى أسماء الأمراء الأغالبة . وقد يدلُّ ذلك على
أنه بينما كان الولاة الأوائل يضربون العملة في صقلية ، فإن العملات فيما بعد كانت

تُضرب في إفريقية ثم تُجلب إلى الجزيرة^(٦٥). وفي خطة الجمعة ، كان يُذكر اسم الأمير الأغلي مع اسم الخليفة العباسي في بغداد .

وأما الدواوين ، فكانت لا تختلف عن الدواوين في البلاد الإسلامية في ذلك العصر. وفي المدن كانت توجد هيئات بلدية شبيهة بتلك القائمة في شمال إفريقيا . وكانت الهيئة البلدية تُعرف باسم (الجماعة) ، وقوامها رؤساء العائلات النبيلة والفقهاء والموسرون ووجوه أرباب الصنائع . وكانت الجماعة تساهم بالمال أو بالعمل في إنشاء وإصلاح الصهاريج والآبار والمساجد ، كما كانت تساعد المعوزين من المسافرين^(٦٦) . وكانت الضرائب التي يدفعها السكان أقل مما كانوا يدفعونه في عهد البيزنطيين . وقد أُلغيت الضريبة على الدواب ، وهي الضريبة التي كانت قد عرقلت الزراعة من قبل ، كما عُمِل بنظام لضريبة الأرض من شأنه أن يحول دون ترك الأراضي القابلة للزراعة بوراً دون استغلال^(٦٧) .

وكانت ملكية الأرض في صقلية الأغلبية على أربعة أنواع . فأولاً الأرض التي يمتلكها مسلم قبل اعتناقه الإسلام إما عن طريق الإقطاع أو الفلاحة ، وثانياً الأرض التي يمتلكها غير المسلم ويدفع عنها الخراج ، وثالثاً الأرض الخاضعة لدفع الخراج دوماً بصرف النظر عما إذا كان يمتلكها مسلم أو غير مسلم ، ورابعاً الأرض التابعة للدولة وكانت وفقاً لا تباع . وقد أدى احتلال المسلمين إلى إحداث تغييرات عميقة في كيان وتوزيع الأراضي الريفية في صقلية . وقد أدخل نظام الإقطاع لفائدة الجند . والأرض التي تركها النصارى أو التي أخذت منهم آلت إلى الدولة ونُحَصِّصت للجند من العرب . وانقسمت جماعات الجند إلى مدنية وعسكرية عندما انتقلت من العاصمة واستقرت في مختلف المدن والحصون قريباً من أراضيها . ونجم عن ذلك تدريجياً كل ما لنظام الإقطاع من مساوئ ، بما في ذلك إثارة المتاعب وإنزال الحيف بأهل الريف مسلميهم ونصاراهم على حدٍ سواء^(٦٨) .

الفصل الثالث

صَقْلِيَّةٌ فِي عَهْدِ الْفَاطِمِيِّينَ الْأَوَّالِ

في سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م انتهى حكم الأغالبة بعد قيام العبيديين الفاطميين عليهم في إفريقية . والفاطميون إسماعيليون شيعة ينتسبون إلى فاطمة الزهراء ابنة النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم وزوجها الإمام علي بن أبي طالب . وكان الداعي أبو عبد الله الشيعي قد ظفر بتأييد قبيلة كتامة من البربر ، وبمساعدها وُلِّيَ أولُ خليفة فاطمي وهو عبيدُ الله المهدي على إفريقية . وقد لجأ إلى صقلية كثير من المسلمين من أهل السنة من نخبة البلاط الأغلبي (١) .

وفي صقلية انحاز إلى الدعوة الفاطمية وال سابق على الجزيرة كان قد عُزل ، هو علي بن أحمد بن أبي الفوارس ، وترعَّم الفئة المناصرة للفاطميين التي تغلبت على الفئة المناصرة للأغالبة واعتقلت والي أحمد بن أبي الحسين . وقد أقر المهدي عبيدُ الله الفاطمي على بن أحمد واليا ، إلا أنه لم يلبث أن عُزل واستبدل سنة ٩١٠م بأحد رجال الفاطميين الأكثر إخلاصا هو الحسن بن أحمد المعروف بابن أبي خنزير (٢) . وتلا القاضي الجديد اسحاق بن أبي المنهال اسم المهدي في الخطبة في بلرم . وبذلك توطد الحكمُ الفاطمي في صقلية عملياً ونظرياً .

وفي سنة ٩١٢م ، قاد ابن أبي خنزير حملة في إقليم دمنش حيث كان قد قام النصراري . وفي السنة التالية قامت ثورة عليه ، ولعلَّه كان لها أسباب طائفية . وأصدر المهدي ، عن حكمة ، عفواً عن الثائرين ووافق على تنحية ابن أبي خنزير ، ووُلِّيَ على صقلية علي بن عمر البكوي (٣) .

وفي سنة ٩١٣-٢م ، كان أشراف العرب في مركز قوة كبيرة في بلرم ، وكان من بينهم شريف ثريّ هو زيادة الله بن قرهب الذي ينتمي لأسرة وثيقة الصلة ببني الأغلب . وفي سنة ٩١٣م ، قامت ثورة عربية مناهضة للفاطميين في بلرم ، أدت إلى قيام ثورة مماثلة بين البربر في جرجنت . واجتمع العرب والبربر على اختيار ابن قرهب زعيماً لهم وأميراً على صقلية . ولفترة قصيرة أقام ابن قرهب في صقلية إدارة

سُيِّدَ حازمة شعبية. وتُليّت الخطبة باسم الخليفة العباسي المقتدر (حَكَمَ ٩٠٨-٩٣٢ م) الذي بعث إليه كتاباً بالولاية يضمنى الشرعية على إمارته. ووفد على الجزيرة سيل من النازحين المالكين من إفريقية.

وفي سنة ٩١٤ م، هَزَمَتْ قوة بحرية تابعة لابن قره ب أسطولا فاطميا قرب ساحل إفريقية ذاته. وفي سنة ٩١٦-٥ م، أرسل ابن قره ب حملة إلى البر الإيطالي، ومع أن مراكب الأسطول تحطمت نتيجة لهبوب عاصفة، إلا أن يوستاثيوس (Eustathius) القائد والوالى البيزنطى في قُلُورِيَة وافق على دفع جزية له. وفي الوقت الذى بدا فيه أن حكم ابن قره ب كان يزداد استقراراً ورسوخاً، قام البربر في جرجنت بثورة ضده لم تلبث أن امتدت إلى أجزاء أخرى من الجزيرة. واستصرخ الثائرون المهدي الفاطمى، وأسر ابن قره ب وأُرْسِلَ إلى المهدي الذى أثبته على عمله. وردَّ ابن قره ب بأن أهل صقلية هم الذين ولَّوه وهو كاره وخلعوه وهو كاره. وأمر المهدي بإعدام ابن قره ب^(٤).

إن العرب والبربر الذين كانوا قد قاموا على ابن قره ب ظلُّوا على شغبهم وعجرفتهم في معاملاتهم مع السلطة الفاطمية. وولَّى المهدي على صقلية أبا سعيد موسى [بن أحمد] الضيف وسير معه جماعة من شيوخ كُتامة الذين يرجع إليهم الفضل في تولي الفاطميين الحكم، والذين كانوا يشكّلون العمود الفقري للجيش. وتمكَّن هؤلاء البربر من السيطرة على بلرم وجرجنت وبقيّة أنحاء الجزيرة سيطرة تامة، وقمعوا كل مقاومة بقسوة شديدة. وبعد أن دخل أبو سعيد بلرم في سنة ٩١٧ م، ألقي القبض على زعماء الثورة وأرسلوا إلى المهديّة عاصمة الفاطميين ثم أعلن عفواً عاماً. وتمَّ بذلك القضاء على استقلال صقلية الإسلامية، وهو الاستقلال الذى بدا حقيقياً في عهد ابن قره ب، وتوطدت سيادة الفاطميين على الجزيرة، ولما فرغ أبو سعيد من مهمته عاد إلى إفريقية تاركاً الجزيرة في يدى والى الجديد سالم بن راشد^(٥).

ولى سالم بن راشد صقلية لمدة عشرين عاماً من سنة ٩١٧ إلى سنة ٩٣٧ م، وقد أنقصت سلطته. وفي هذه الأثناء توفي المهدي عبيد الله في سنة ٩٣٤ م، وخلفه ابنه أبو القاسم محمد القائم (حَكَمَ ٩٣٤-٩٤٦ م).

وكانت سياسة الفاطميين في هذه الفترة تقوم على استغلال الظروف وعلى

التسامح . وقد استمرت الدعاية الإسماعيلية ولكن بكياسة كبيرة ، وتُركت معظم المدن المسيحية وشأنها . ومن الناحية الإدارية ، أنشئ ديوانان أحدهما يتناول شؤون الحرب والأمن والنظام ، ويتناول الديوان الثاني بقية مجالات الإدارة والسلطة الداخلية . وكان ثمة صاحب شرطة ، وزعيم محلي لبربر كُتامة في صقلية ^(٧) .

وفي سنة ٩٣٧ م ، قامت ثورة في جرجنت ، تلتها ثورة في بلرم وانتفاضات في سائر أنحاء الجزيرة . وكتبَ وجوه بلرم إلى القائم في المهديّة يؤكدون ولاءهم له ، إلا أنه لم يعد في وسعهم احتال طغيان الوالى سالم بن راشد . وقبلَ القائم التماسهم واستبدل سالم بوالٍ أكثر وداً هو خليل بن اسحاق . وهذا الوالى الملبّد هو الذى اختطّ مدينةً الخالصة الحصينة على مقربة من بلرم ، على غرار المهديّة عاصمة الفاطميين . وقد أصبحت الخالصة مركزَ الإدارة ، فيها مقر الوالى والدواوين المدنية والعسكرية . وقد ضُمَّتْ مخازن السلاح لحاضرة صقلية ، ودار الحكومة والسجن وكافة أجهزة الدولة في الجزيرة ^(٨) .

وفي سنة ٩٣٨ م ، تحوّل خليل إلى جرجنت وحاصرها ثمانية شهور عبثاً . ولما فرض ضرائب جديدة حدثت المستوطنات الإسلامية في مازر حذو جرجنت وشقّت عصا الطاعة . وتفيد إحدى الروايات أن الثائرين [كاتبوا ملك الروم في القسطنطينية يستنجدونه فأمدّهم بالمراكب فيها الرجال والطعام] ^(٩) . وفي سنة ٩٣٩ م ، تمكّن خليل من احتلال مازر ، وأجبر جرجنت على الرضوخ في السنة التالية . ومرة أخرى سادت سلطة الفاطميين أرجاء الجزيرة . وبعد أن أنجز خليل مهمته عاد إلى إفريقية في العام التالى ، وترك على بلرم متولّين أحدهما ابن الكوفي والآخر ابن عطاف دون أن يحمل أىّ منها لقب (والى) .

إن الثورة الخارجية التي تزعمها أبو يزيد [مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار] من سنة ٩٤٣ إلى سنة ٩٤٧ م ، وهى الثورة التي كادت تُطيح بحكم الفاطميين في إفريقية ، كان لها صداها غير المباشر في صقلية . فلما سقطت مدينة تلو أخرى في إفريقية في يد أبي يزيد ، حاولت بعض العناصر الموالية للفاطميين اللجوء إلى صقلية ، كما خالف بعض المغامرين من البربر في الجزء الجنوبي من الجزيرة ، ورفضت عدة مدن دفع الجزية أو الضرائب ^(١٠) . وبعد هزيمة أبي يزيد والانتصار النهائي للفاطميين في إفريقية ، استعمل الخليفة الجديد المنصور (حكم

٩٤٦-٩٥٣ م) الحسن بن علي [بن أبي الحسين] الكلبي على جزيرة صقلية لمعالجة أمر القائمين في الجزيرة . وبولايته بدأ فصل جديد في تاريخ الجزيرة . وإذا نحولُ المرء إلى البر الإيطالي خلال هذه الفترة ، فإن عليه أن يُلقي نظرة سريعة على نشاط المغامرين من عرب الأندلس الذين قاموا في سنة ٨٩١ م بإنشاء مستوطنة في فراكسنتوم Fraxinetum (Garde-Freinet حاليا) ، قرب نيس ، التي امتدت نحو الداخل في العقد الأول من القرن العاشر الميلادي . وفي سنة ٩١١ م لم يستطع أسقفُ نربونة (Narbonne) ، الذي كان قد استُدعى إلى رومة ، الرجوع إلى نربونة لأن ممراتِ جبال الألب كان يسيطر عليها هؤلاء المغامرون العرب الذين كانوا ينقضُّون من آنٍ لآخر على سهول مقاطعة بيدمت في شمال غربي إيطاليا ^(١١) . وقد ظلَّ هؤلاء العرب يشكلون تهديداً للمناطق المجاورة حتي سنة ٩٤٠ م ولم يتم إقصاؤهم نهائيا عن فراكسنتوم حتى سنة ٩٧٢ أو ٩٧٣ م .

وفي جنوب شبه الجزيرة الإيطالية ، كانت جاريليانو (Garigliano) المعقلَ الرئيسيَّ للغزوات العربية في مقاطعة كمبانيا (Campagna) . وفي سنة ٩٠٥ م ، غزا العرب من جاريليانو مدينة كابوا (Capua) التي كانت آنذاك متحالفة مع مدينة نابولي . وخلال العقد الأول من القرن العاشر الميلادي ظهر العرب من جديد على مقربة من رومة واحتلوا مقاطعة سابين (Sabine) ومدن نارني (Narni) وأورتي (Orte) ونبي (Nepi) . وكانت هذه الجماعات العربية من جاريليانو ، وقد يكون بعضها قديم من سبينو (Sepino) وبوجانو (Bojano) . ونظراً لاحتلال البيزنطيين لجنوب إيطاليا احتلالاً ثابتاً فإن الغزاة العرب تحوّلوا عن مهاجمة جنوب إيطاليا إلى مهاجمة وسطها . وقام البيزنطيون عندئذ بفرض سيادتهم على صاحب نابولي وأجبروه على التخلّي عن تحالف نابولي التقليدي ، ولو أنه تحالف متقطّع ، مع العرب . وفي سنة ٩١٥ م اجتمع القائد البيزنطي نيكولاس بكنيلي (Nicholas Picnigli) وحلفاؤه من الإمارات البحرية الإيطالية على جاريليانو واحتلوها . وكان استيلاؤهم على المدينة إيذاناً بنهاية آخر مستوطنة عربية على ساحل البحر التيراني ، وأصبحت مقاطعة كمبانيا وإيطاليا الوسطى في مأمن من الغزوات العربية ^(١٢) .

ومع ذلك ، فإن مقاطعة قَلُورية ظلَّت عرضة لغزوات العرب البحرية . ولما توطدت سلطة الفاطميين في صقلية ، تكرّرت الغزوات من الجزيرة ، إلا أنها كانت

غزوات كبر وفراً لا يقصد من ورائها الاستحواذ على مواقع دائمة . وقام القائد والوالى البيزنطى على قلورية يوستاثيوس (Eustathius) بشراء السلم مع العرب في سنة ٩١٨ م ، بأن دفع لهم اثنتين وعشرين ألف قطعة من الذهب . واضطر خلفه جون موزالون/ بيزالون (Muzalon/Bizalon) إلى فرض ضرائب إضافية ليتمكن من دفع الضريبة ، وكان ذلك سبباً في ثورة أدت إلى اغتياله (١٣) . وفي سنة ٩٢٦-٥ م ، قامت وحدات من أسطول صقلية تعززها بعض الوحدات من إفريقية بغزوات على سواحل لمبارديا (أنكبردة) وقلورية . كما غزا العرب أراضي سألرنة ونابولى في سنة ٩٢٩ م وساحل جنوة في سنة ٩٣٥ م .

ولم يحدث تغيير كبير على الخريطة السكانية لصقلية في أوائل حكم الفاطميين للجزيرة . وكانت كثافة السكان ما زالت في إقليم مازر . وكان الوافدون المسلمون الجدد إلى الجزيرة من الصناع والجند والنازحين . وقد ضم سكان الجزيرة الأحرار والتابعين الإقطاعيين والرقائق . وكان السكان النصارى ما زالوا أكثرية راسخة في الجزء الشرقى من الجزيرة ، خصوصاً في إقليم دمنش (١٤) . ومما يُذكر أن جوهرأ ، قائد الفاطميين المملوك الشهير الذى وسع رقعة سلطان الفاطميين بحيث شمل عملياً كل المغرب وفتح مصر في سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٩ م ، هو من أصل صقلى بيزنطى . وقد شغل المسلمون الصقليون مناصب سامية في الإدارة الفاطمية في إفريقية . ومن بينهم أبو الفتح متولى مدينة طرابلس . وكان صقلئ آخر اسمه بشرى أحد قادة الجيش الفاطمى ضد الثائر الخارجى أبى يزيد (١٥) .

الفصل الرابع

ولاية بني أبي الحسين الكلبيين

في سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧ م ، ثار في بلرم بنو الطبري ، وهم قبيلة نبيلة من أصل فارسي ، على ابن عطاء ، فاستعمل المنصور الحسن بن علي [بن أبي الحسين] الكلبي على جزيرة صقلية لمعالجة هذا الوضع . وقد أدت ولايته إلى تأسيس أسرة شبه مستقلة من أمراء الكلبيين حكمت الجزيرة أكثر من تسعين عاماً^(١) .

وبعد أن سيطر الحسن على الوضع في الجزيرة ، غزا البر الإيطالي مرتين في سنة ٩٥٠ و ٩٥٢ م ، كما سذكرفما بعد . وعند وفاة الخليفة الفاطمي المنصور وارتقاء ابنه المعز لدين الله العرش (حَكَمَ ٩٥٣ - ٩٧٥ م) توجه الحسن إلى المهديّة للمثول في البلاط الفاطمي ، تاركاً ولاية صقلية في يدى ابنه أحمد بن الحسن . وفي سنة ٩٥٤هـ/٩٥٦ م سبر المعز الحسن بن علي إلى الأندلس على وحدة من أسطول صقلية ، فوصل إلى ألمرية وأحرق ما في القاعدة البحرية الأموية من مراكب . وفي سنة ٩٥٨ م ، شارك الحسن أخاه في حملته الإيطالية . وفي سنة ٩٦٣ - ٢ م ، تمكن أحمد بن الحسن من أن يخضع نهائياً المنطقة الجبلية الواقعة جنوبي مسينة ، حيث كانت عدة مدن مسيحية قد احتفظت بشئ من الاستقلال ، وأجبرت هذه المدن على دفع الجزية ، وأقيمت مستوطنات عربية في وسطها . وفي أثناء هذه العمليات الحربية ، تحول أحمد ، يعاونه ابن عمه الحسن بن عمار ، إلى محاصرة طبرمين (Taormina) ، وهي من أمنع الحصون وأشدّها على المسلمين ، وكانت قد ثارت على العرب . وكانت مدة الحصار سبعة أشهر ونصفاً ، إلى أن استسلم الحصن في ذى القعدة ٣٥١هـ/ديسمبر ٩٦٢ م . وقد أجبر السكان على التخلي عن ممتلكاتهم إلا أنهم أمّنوا على أرواحهم وأصبح الكثيرون منهم رقيقاً للمسلمين ، وأسكن الحصن نفرًا من المسلمين ، وسمي الحصن المعزّي نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمي^(٢) .

واستغاث النصارى في رمطة (Rametta) بالأمبراطور البيزنطي نيقفور فوقاس الذي أرسل قوة كبيرة قوامها جنود من الأرمن والروس والتراقيين تحت إمرة الخصى

نيكيتاس (Nicetas) (٣). واستنجد أحمد بن الحسن بالمعز لدين الله طالباً إرسال تعزيزات ، فأرسل إليه قوة كبيرة من الجند تحت إمرة والده الحسن بن علي . أما البيزنطيون الذين كانوا قد نزلوا إلى البر بالقرب من مسينة ، فقد انهزموا أقبح هزيمة براً وبحراً ، ووقع نيكيتاس في الأسر وأرسل إلى إفريقية . وشن العرب هجوماً شاملاً فتحو على أثره مدينة رمطة في سنة ٩٦٥ م ، وفي أثر هذا الحصار توفي الحسن بن علي مؤسس الأسرة الكلبية الحاكمة (٤) .

وحق سنة ٩٦٩ م ، لم يكن في نية الفاطميين تنصيب الأسرة الكلبية بصورة دائمة ولاية بالوراثة على صقلية . فبعد أن ولي أحمد بن الحسن الجزيرة مدة تزيد على ستة عشر عاماً ، استدعى إلى إفريقية مع جميع أفراد الأسرة الكلبية ومواليهم وأتباعهم وحاشيتهم . وعهد بالولاية على الجزيرة إلى يعيش مولى الحسن ، [إلا أنه لم ينض بالأمر] وحدثت اضطرابات في صقلية كان ضحاياها الرئيسيون البربر من قبيلة كُثامة . واضطرَّ المعز إلى استدعاء يعيش وإلى إرسال أبي القاسم على بن الحسن إلى الجزيرة نائباً عن أخيه أحمد . ولما توفي أحمد [بمدينة طرابلس] بعد ذلك ببضعة شهور ، بُت أبو القاسم في الولاية في سنة ٩٧٠ م . وبذلك اعترف الخلفاء الفاطميون ضمناً بحكم الكليين الوراثة للجزيرة . وفي سنة ٩٧٢/٥٣٦١ م ، نُقِلَ المعز لدين الله العاصمة الفاطمية من المهديّة إلى القاهرة ، وكان معنى ذلك عملياً ، لا نظرياً ، أن الكليين في صقلية حظوا بمزيد من الاستقلال . فالأمير الزيري بلقين الحاكم في إفريقية باسم الخليفة الفاطمي لم يُمنح سلطةً على صقلية . ومن بين العوامل الأخرى التي أدت إلى تدعيم الأسرة الكلبية الحاكمة في صقلية رضا السكان المسلمين عموماً عنها ، والهدوء النسبي الذي ساد الجزيرة والتوسع في إنشاء المستوطنات الإسلامية ، وحاجة الفاطميين إلى جماعة وفية لهم في صقلية يستفيدون من واليها في خططهم البحرية ، ويستطيعون أن يمنحوه استقلالاً ذاتياً كما فعلوا بالنسبة لأمرأ بني زيري في إفريقية في سنة ٩٧٢/٥٣٦١ م . والكلييون من جانبهم ظلُّوا على ولائهم التام للفاطميين ، الذين أنعموا عليهم بألقاب شرفية (٥) .

وعند وفاة أبي القاسم على بن الحسن في الحملة الإيطالية ، اختار وجوه صقلية ابنه جابراً أميراً عليهم ، وثبته في الولاية الخليفة الفاطمي العزيز (حَكَمَ ٩٧٥-٩٩٦ م) . ولم يكن لجابر ما كان لأبيه وعمه من مقام مرموق وكفاءة

إدارية . ولم يلبث الصقليون أن خلعوه ، فاستدعى إلى القاهرة حيث وقع ضحيةً لدسائس البلاط . وبعد ذلك ولَّى العزيز على صقلية رجلاً آخر من الكليبيين ، هو جعفر بن محمد ، ولدى وصوله إلى الجزيرة في سنة ٩٨٣ م ، نظم أمورها وعمل على إعادة الرخاء إليها . وكانت النخبة الصقلية تُجلبه لعلمه ، وتبجه العامة لجوده وكرمه . وتوفي في سنة ٩٨٦ م ، وخلفه في الحكم أخوه عبد الله بن محمد ، الذى توفي هو الآخر في نفس العام بعد حكم لم يقع فيه ما يجدر ذكره . وكان في حياته قد سُمي ابنه أبا الفتوح يوسف خلفاً له وأُقرَّت تسمية يوسف للولاية من قِبَل الخليفة العزيز ، الذى أنعم عليه أيضاً بلقب (ثقة الدولة) . وكان حكم يوسف كفتاً وعهده عهد سلم ، كما شُنَّ بعض الغزوات على الأراضي البيزنطية في جنوب إيطاليا . واشتهر يوسف بعلو الهمة والعدل . ويعكس أدبُ الفترة ثقافته وثقافة بلاطه .

وفي سنة ٩٩٨ م ، أقعده الفالج ، وولى الجزيرة ابنه جعفر الذى أنعم عليه الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (حَكَمَ ٩٩٦-١٠٢١ م) بلقبى (تاج الدولة) و(سيف الملة) ، إلا أنه كان في الواقع أكثر استقلالاً عن الفاطميين من أسلافه . وكغيره من السلاطين المسلمين المستقلين اتخذ جعفر لنفسه وزيراً وحاجباً ، ونظم شعراء عهده القصائد في مديح راعيهم . ومع أن جعفر كان مثقفاً ، إلا أنه لم تتوفر فيه سجايا والده وفطنته . فقد كان كسولاً وجشعاً وقاسياً ، وفي الحقيقة ، فإن ضعف الأسرة الكلبية بدأ بحكمه . وفي سنة ١٠١٥ م ، خالف عليه أخوه على مع البربر والعبيد . وقد قُمعت الثورة وأُعدم على ما كان لذلك من أسى في قلب والدهما المريض يوسف . وفُرضت ضريبة مقدارها عشرة بالمائة على الحبوب والفاكهة . وتلا ذلك قيام ثورة في بلرم سنة ١٠١٩ م ، وعندئذ تدخل والده المشلول يوسف ، وهذا الثائرين ، وعزل جعفر ، واستبدله بابنه الآخر أحمد الملقب بالأكحل (٧) .

وقد أنعم الخليفة الحاكم بأمر الله على أحمد الأكحل لدى توليه الحكم بلقب (تأييد الدولة) . وفي هذه الآونة وبعد أن هزم الأمبراطور باسيل الثاني البلغار [سنة ١٠١٤ م] وأعاد توطيد سلطان البيزنطيين في البلقان ، عيّن القائد بوجونيس (Bojaonnes) لمعالجة أمر العرب في صقلية ، فقام هذا القائد بتحصيل ريو ، ونزل بجنوده إلى البر في مسينة . وقد عرض الأمير الزيرى المعز [بن باديس] مساعدة على الأكحل ، إلا أن المراكب التي جهّزها تحطّمت بفعل عاصفة . وهزم العرب

تعزيزاتٍ بحرية بيزنطية بقيادة أريستيس (Orestes) بالقرب من ريو. وفي الفترة ما بين سنتي ١٠٢٦ و ١٠٣٥ م قام أسطولاً الزيريين والكليبيين معاً بشن غزوات على الأراضي البيزنطية بما فيها مقاطعة إيليرية (Illyria) [على الساحل الشرقي للبحر الأدرياتيكي] وعلى بعض الجزر اليونانية وحتى ساحل تراقية (Thrace)، وما أن حلَّ عام ١٠٥٣ م حتى التمس البيزنطيون الصلح^(٨).

وفي العام نفسه انهار التحالف الزيري الكليبي، واستعان أبو حفص زعيم ثورة نشبت في صقلية بالزيريين فأرسل المعز بن باديس حملة لمساندة الثائرين. وفي سنة ١٠٣٨ م، هُزم الأكلح وأُعدم. ويبدو أنه كان للزيريين لبعض الوقت نفوذ كبير في الجزيرة، إلا أنه كانت توجد كذلك عوامل سياسية وعسكرية أخرى، بينما لاح البيزنطيون في الأفق ومن ورائهم النورمان. وفي سنة ٧-١٠٣٨ م، أغار البيزنطيون على مسينة بقوة كبيرة، وانضم إليهم نحو خمسة عشر ألفاً من النصاري الصقليين. وكان القائد البيزنطي مانياكس (Maniakes) قد لُحِقَ اسمه في الحروب في بلاد الشام ما بين عامي ١٠٣٠ و ١٠٣٤ م. وسُرَّعان ما احتُلت مسينة، إلا أنه انقضى عامان قبل أن يتمكن مانياكس من إحراز موطئ قدم ثابت بالرغم من المساعدة التي تلقَّاها من بعض الروس ويضع مئات من النورمان، بما فيهم هارولد هاردرادا (Harold Hardrada) بطل إحدى الملاحم السكندناوية^(٩). وقد أدى انتصار أحرزه في رمطة إلى احتلال اثنتي عشرة مدينة، وفي أعقاب انتصار مهم آخر أحرزه في تروينة في سنة ١٠٤١ م، سقطت في يده معظم المدن في ناحية جبل النار (إتنة). ولكن مانيكاس استدعى إلى القسطنطينية بسبب الدسائس في البلاط وزُجَّ به في السجن. وكان القادة العسكريون الذين جاءوا بعده دونه كفاءة، فلم يصمدوا في وجه العرب الذين ما إن حلَّت سنة ١٠٤٢ م حتى كانوا قد استردوا كل الأراضي تقريبا التي كانوا قد فقدوها. وقد تولَّى تنظيم قيادة هذا الهجوم العربي المضاد الأمير الكليبي الحسين الملقب بصمصام^(١٠).

وخلال فترة حكم الكليبيين، استمر النشاط البحري والعسكري العربي من صقلية وغيرها ضد جنوب إيطاليا، ولكن دون إحراز أية نتيجة دائمة. وكان الحسن بن علي مؤسس الأسرة الكلبية قد حاصر ريو بمساندة قوة مساعدة قدمت من إفريقية، وكاد ينفذ عبر خطوط دفاع المدينة. ثم انتقل إلى الشمال الشرقي وحاصر

جراجة (Gerace) التي حصلت على الأمان بأن عرضت دفع الجزية . ثم بعد أن دحر قوة بيزنطية وصل إلى وادي كراتي (Crati) وحاصر قسانة (Cassano) التي وافقت بدورها على دفع الجزية . ثم عاد الحسن بن علي إلى مسينة ، ولكنه غزا ثانية مقاطعة قلورية في سنة ٩٥٢ م ، ملحقا هزيمة منكرة بالجيش البيزنطي الذي قُتل قائده مالاكينوس (Malakenus) . ومضى الحسن إلى محاصرة جراجة ، إلا أنه رفع الحصار عند وصول سفارة بيزنطية على رأسها جون بيلاتوس (John Pilatus) ، فأبرم صلح كان من بين شروطه موافقة البيزنطيين على بناء مسجد في مدينة ريو . واستمرت الغزوات العربية الصغيرة حتى بعد إبرام الصلح ، واضطر سكان بعض المدن الساحلية في قلورية إلى اللجوء إلى الداخل من آن لآخر^(١١) .

وغزا شقيق الحسن قلورية في سنة ٩٥٦ م ، إلا أن قوة بيزنطية كانت في هذه الأثناء قد هاجمت صقلية واستولت على بلدة ثرمة (Termini) الواقعة على بعد أربعة وعشرين ميلاً فقط شرقي بلرم كما هددت مازر . وبعد ذلك بعامين ، قام الحسن وأخوه بهجوم مضاد في مقاطعة قلورية ، ونازلا معاً الأسطول البيزنطي في طارنت . وفي نفس الوقت تقريبا هاجمت قطع من الأسطول العربي مدينة نابولي ، ومع أنها أخفقت في الاستيلاء على المدينة ، إلا أنها أصابت غنائم كثيرة . وفي سنة ٩٦١ م ، عُقد من جديد صلح مع البيزنطيين .

وتلت هزيمة نيكيتاس في سنة ٩٦٤ م عشر سنوات من السلم بين البيزنطيين والفاطميين . وقد تحللها احتلال البيزنطيين لمدينة مسينة التي استردها الأمير الكلبي أبو القاسم في سنة ٩٧٦ م ، ثم اندفع صوب قلورية وتقدم في وادي كراتي (Crati) حتى مدينة كسنتة (Cosenza) التي أجبرت على دفع الجزية . وفي سنة ٩٧٥ م ، وبعد انقضاء نصف قرن غزت قوة عربية بولية في ناحية بطنطه (Bitonto) . وفي العام التالي ، شنت غزوات عربية أخرى في ناحية باره . وفي سنة ٩٧٧-٦ م ، سار أبو القاسم ثانية على رأس قوة عربية إلى جنوب إيطاليا وهاجم طارنت وأحرق أوريرة (Oria) ، وتقدم حتى أترنتو (Otranto) . واستولى العرب على شنت أغائه (Santa Agata) بالقرب من ريو . وتكررت الغزوات ما بين عامي ٩٧٨ و ٩٨١ م على مقاطعتي قلورية وبولية ، لا بل وهدد العرب أراضي اللبارد في ناحيتي سالرنة وكابوا^(١٢) .

وفي سنة ٩٨٢ م ، لما تقدّم امبراطور الأفرنج أُوّو الثاني (Otto) في مقاطعة قلورية ، أعلن أبو القاسم الجهاد ضده . ويرى البعض أنه قد يكون أبرم تحالف بين العرب والبيزنطيين ضد أُوّو في هذه المرحلة . وأوقع أُوّو هزيمة منكرة بالعرب جنوبي قطرون (Cotrone) ، إلا أن أبا القاسم أعاد تجميع قواته وأحرز انتصاراً ، ولم يتمكن أُوّو من النجاة بنفسه إلا بصعوبة كبيرة^(١٣) .

وقد سيّرت حملات برية وبحرية متقطعة خلال الثلاثين سنة التالية . ففي سنة ٩٨٦ م ، احتل العرب جراجة (Gerace) ، وزحفوا ثانية صوب كستنة . وفي سنة ٩٨٨ م ، هددوا باره عاصمة الممتلكات البيزنطية في جنوب إيطاليا ، ولما عجزوا عن ضرب حصار فعّال حولها انصرفوا عنها إلى مهاجمة طارنت . وفي سنة ٩٩٤ م ، احتلوا مته (Matera) بعد حصار طويل . وفي سنة ١٠٠٣ م ، حاصروا باره لعدة شهور إلى أن وصل أسطول تابع للبندقية لنجدتها . وفي سنة ١٠٠٦ م صدّ البيزنطيون ، بمساعدة من بيش (Pisa) ، هجوماً عربياً قرب ريو . وفي سنة ١٠٠٩ م تقدّم العرب ثانية عبر قلورية حتى وادي كراتي (Crati) واحتلوا كستنة^(١٤) . وأوقع البيشيون بجزراً هزيمة منكرة بأسطول عربي في مجاز مسينة في سنة ١٠٠٦-٥ م^(١٥) . وفي سنة ١٠١٢ م^(١٦) أو سنة ١٠١٥ م^(١٧) قامت قطع من أسطول عربي من الأندلس بقيادة مجاهد بن عبد الله صاحب دانية بمهاجمة بيش ، ولعلها نفس القوة العربية التي كانت قد احتلت أجزاء من سرّدانية^(١٨) ، إلا أن هذه القطع هُزمت من قبل أسطول بيش وجنوة معاً . وفي سنة ١٠١٧ م ، حاصر العرب الصقليون مدينة سالرنة ، ويُذكر أنه أثناء الحصار وقع أول اشتباك بين العرب والنورمان .

واستمرت الحال على هذا المنوال عقدين آخرين من الزمن ، إلا أن الغزوات العربية ضد بولية أخذت في التناقص . ومع ذلك ، فإنهم هددوا ضواحي باره ما بين سنة ١٠١٠ وسنة ١٠١٥ م ، وبالتحالف مع رايكة (Rayca) أحد الأمراء في بولية احتلوا في سنة ١٠٢٠ م بسنيانو (Bisignano) . وفي سنة ١٠٢٣ م ، هوجمت باره من قبل أبي جعفر الذي يقول عنه أماري إنه هو الأمير الأكلحل^(١٩) . وبالتعاون مع رايكة قام أبو جعفر في سنة ١٠٢٩ م بغزوة عاث فيها في جنوب إيطاليا ، وحاصر قلعة أبيانو (Obbiano) . وفي سنة ١٠٣١ م ، احتل العرب قسّانه (Cassano)^(٢٠) . وهزم القائد البيزنطي نيقفور قارنتينوس (Karentenus) أسطولا عربيا صغيرا كان

يهاجم جزيرة كورفو في سنة ١٠٣٢ م . ولقي أسطول صغير آخر من إفريقية نفس المصير قرب الساحل الغربي لبلاد اليونان . وحينما أرسل الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الرابع سفارة إلى الأكلحل أمير صقلية ، فإنه كان يتفاوض من مركز قوة ، وقَبِلَ الأكلحل منه لقب (magistros) (٢١) .

ومن هذه السنة فصاعداً ، أصبح مركز العرب دفاعياً . وفي سنة ١٠٣٤ م ، استولى البيشيون على بونة (عناة) في شمال إفريقيا ، وهم الذين قاموا بعد ذلك بثلاثين عاما بمهاجمة بلرم ذاتها . ومع أن هذه المحاولة باءت بالفشل ، فإنها كانت عملية جريئة جدا ، وقد خلّد البيشيون ذكرها في شعرهم وفي نقش معاري (٢٢) . إلا أن بعض الأفراد العرب لم ينسحبوا فوراً حتى خلال فترة تفسخ حكم الكلبيين في صقلية وظهور النورمان . فحتى عام ١٠٦٠ م على الأقل ، ظل يقيم في مدينة رييو وغيرها من الأماكن في جنوب إيطاليا عدد من المسلمين ، لعلهم كانوا تجاراً ولاجئين . وقد بقيت في إيطاليا شواهد قبور كثيرة بالعربية (٢٣) .

إن المقطوعات الشعرية التي عُثِرَ عليها في السنوات الأخيرة تبين أن إمارة الكلبيين في صقلية طغت عليها حرب أهلية في سنة ١٠٤٠ م (٢٤) . وتاريخ صقلية للفترة من سنة ١٠٤٠ إلى سنة ١٠٥٢ م تاريخ مضطرب وتسوده الفوضى . ففي سنة ١٠٤٠ م ، هُزم الأمير الزيري عبد الله بن المعز وطُرد من الجزيرة على يد الوالي الكلبي الحسين الملقب بالصمصام (صمصام الدولة) . إلا أن سلطة الصمصام لم تدم طويلاً ، ولم تشمل الجزيرة كلها . وخلال الأربعينات من القرن الحادي عشر الميلادي ، انقسمت صقلية الإسلامية [كما انقسمت الأندلس في نفس الفترة في عهد ملوك الطوائف بعد زوال خلافة قرطبة] إلى عدة إمارات صغيرة .

وأصبح القائد عبد الله بن منكود (أو منكوت) مسيطراً على أترابنش (Trapani) ومرسالا (Marsala) ومازر والشاقة (Sciacca) والسهول الغربية . واستولى قائد آخر هو علي بن نعمة المعروف بابن الحواس على قصر يانه وجرجنت والقصر الجديد (Castronovo) . وبعد ذلك بقليل ، احتل قطانية القائد ابن المكلاقي . وفي سنة ١٠٤٤ م خلع الصمصام وبه انتهت الأسرة الكلبية . وأصبحت بلرم نوعاً من الجمهورية الأليغارقية تحكمها جماعة من أعيان المدينة . وكان ابن الحواس أقوى هؤلاء الحكام الصغار (٢٥) . ومما زاد من حدة انقسام هذه الإمارات

الصغيرة التوزيع السكاني ، إذ كان يوجد بين كل فئات السكان عرب وبربر وفدوا على الجزيرة من إفريقية والأندلس (٢٦) .

وفي الفترة من سنة ١٠٥٣ م إلى سنة ١٠٦٠ م ، ظهر قائد آخر هو محمد بن إبراهيم بن الثمئة (المعروف بابن الثمئة) (٢٧) وسيطر على سرقوسة ، وهاجم ابن المكلاقي صاحب قطانية الذي كان متزوجا من ميمونة شقيقة ابن الحوَّاس . وقُتل ابن المكلاقي وتزوج ابن الثمئة من ميمونة ، وهزم ابن منكود ، واستولى على أراضيهِ في الجزء الغربي من الجزيرة . وبدا وكأن ابن الثمئة في هذه المرحلة كان أقوى حتى من ابن الحوَّاس ، واتخذ لنفسه لقباً رفيعاً هو (القادر بالله) ، وجعل خطبة الجمعة تُتلى باسمه في بلرم . ثم حدث خصام عائلي بينه وبين زوجته ميمونة ، مما أدَّى ، فضلا عن التنافس على السلطة في الجزيرة ، إلى نشوب نزاع بين ابن الثمئة وشقيقها ابن الحوَّاس صاحب قصر يانته . وحاول ابن الثمئة محاصرة المدينة المنيعَة ولكنه باء بالفشل ، وعند انهزامه بدا وكأن صقلية بأسرها قد أفلتت من قبضته وانحازت إلى ابن الحوَّاس . وبدافع اليأس ، عرض ابن الثمئة الجزيرة على النورمان في جنوب إيطاليا أملا ، في غير محله ، منه في أن يسلمه النورمان الجزيرة بعد فتحهم لها (٢٨) . وكما ذكر مؤرخ ، فإن أسباب هلاك مسلمي صقلية الحسدُ والشقاق (٢٩) .

إن نمط توزيع السكان على أساس الدين ظل كما كان في عهد بني الأغلب . فكان معظم السكان في إقليم مازر من المسلمين ، وكانت نسبة المسلمين أقل من ذلك بكثير في إقليم نوطس ، وظلَّت المسيحية الديانة السائدة في إقليم دمنش . إلا أن سياسة الكليبيين منذ البداية انتهجت زيادة عدد المستوطنات الإسلامية في إقليم نوطس ودمنش على حساب النصارى الذين كانت أراضيهم تُصادر أحيانا وتوزع بين المسلمين . إن هذه السياسة لم تحطَّ بنجاح يُذكر ، إذ إنها لم تؤدِّ في هذين الإقليمين إلى اتجاه ملحوظ لاعتناق الدين الإسلامى . أما المصدر الثابت الوحيد لزيادة عدد السكان المسلمين فكان الهجرة من شمال إفريقيا ، وكان هذا يعتمد إلى حد كبير على الوضع السياسي والاقتصادى السائد هناك . ففي سنة ٤-١٠٠٥ م ، وعلى أثر تفشي الطاعون في إفريقية ، حدثت هجرة كبيرة إلى صقلية . وتلت ذلك موجات هجرة أخرى في السنوات ٥-١٠١٦ م و ٨-١٠١٩ م و ٢-١٠٢٣ م (٣٠) . وفي السنوات الأخيرة من حكم الكليبيين حدثت موجة هجرة من جانب الإسماعيليين الذين

اضطهدهم الأمير الزيرى المعز بن باديس . ولعلّ عدد السكان المسلمين في صقلية بلغ في ذروته نصف مليون نسمة (٣١) .

وكانت جماعة المسلمين في الجزيرة تفتقر إلى وحدة الكلمة . وقد عمل الأكحل على ضرب فئات المهاجرين القدامى والجُدّد ببعضها البعض . ويقارَنُ مسلمو صقلية أحيانا بالمولّدين في الأندلس ، وكانوا مثلهم عرضة لاستغلال النخبة العربية . والمقدسي هو الوحيد الذى يقول إن أكثر أهل صقلية حنيفيون (٣٢) ، أما بقية الروايات فتتفق على أن المذهب المالكي كان مذهب السكان عامة . ولعلّ الولاة الكليبيين ، الذين ظلوا على ولائهم لسيادة الفاطميين الاسمية ، كانوا إسماعيليين ظاهرياً على الأقل ، وكذلك كانت الحال بالنسبة لنسبة مثوية غير معروفة من الطبقة الحاكمة . إلا أنه لا يبدو أن المذهب الإسماعيلي قد تسرّب إلى النخبة المبعدة وعامة الناس . وفي حين أن مصنّفاتٍ فقهيةً سنّيةً كثيرةً أُلّفت في صقلية ، فليس ثمة من دليل على وجود أى فقه إسماعيلي يُذكر . وكل هذا يدلّ على أن صقلية في عهد الكليبيين حظيت بتسامحٍ ديني ملحوظ فيما يتعلق بالمذاهب الإسلامية . ومع أنه كانت في الجزيرة عدة عوامل تعمل على التجزئة والانقسام داخل جماعة المسلمين فيها كما تقدم ، إلا أن الطائفية لم تكن واحدة منها .

وفي إقليم مازر كان الجند يتقاضون أعطياتهم نقداً من بيت المال . وكان لكل إقليم في صقلية وحدة من الجند ومركزه العسكرى والديني . وفضلاً عن ذلك ، فإن نظام الإقطاع الذى كان الأغلبة قد أدخلوه إلى الجزيرة وعملوا به أدى في هذه الفترة إلى تفتيت ملكية الأرض حسب نظام الإرث الإسلامى . ويلاحظ أن أسماء الأماكن العربية للضياع والمزارع والتي بقيت إلى يومنا هذا في صقلية تشير إلى تفتيت ملكية المزارع الصغيرة (٣٣) . وفي المناطق المسيحية كان إيراد الدولة يتم تحصيله عن طريق الضريبتين الإسلاميتين على أهل الذمة وهما ضريبتا الجزية والخراج ، افتراضاً بأنه كان قد تم التمييز بينهما في تلك الآونة .

وكان اقتصاد صقلية الزراعى في عهد الكليبيين ينهض على نظام ممتاز للرى . فقد أدخلت إلى الجزيرة أساليب الرى الفارسية ، كما احتُفظ بالنظام الروماني الخاص بالأنابيب ذات الحنايا (٣٤) . وما زالت في الجزيرة إلى يومنا هذا بقايا صهاريج الماء العربية . وقد اكتسبت معظم عيون الماء في صقلية وكذلك مقاييس انسياب الماء

أسماء عربية . وبفضل وفرة الماء العذب من العيون والجداول ، فإن الجزيرة كانت غنية باللبساتين والجنان . وكان القطن والكتان يُزرعان في جطين (Giattini) وفي غيرها من المناطق . كما أن أشجار البرتقال والليمون وغيرهما من الحمضيات كانت تُزرع بكثرة وتصدر ثمارها . وقد أدخل العرب إلى صقلية وإلى أوروبا زراعة قصب السكر وطريقة عصره في المعاصر . كما أدخلوا أشجار التوت وتربية دودة القز وزراعة البردى وشجرة الصمغ للدباغة والصباغة ، فضلا عن أشجار الفواكه كأشجار النخيل والمكسرات كالفسق الحلبي . وكان مسلمو صقلية خبراء في زراعة الخضروات على اختلاف أنواعها . وقد أدى كل ذلك إلى إحداث تغيير ثوري في اقتصاد صقلية الفلاحي والصناعي . وتشهد المفردات العربية الخاصة بالبستنة في اللهجة الصقلية على مهارة العرب وحذقهم في الزراعة (٣٥) .

وكانت صناعات التعدين تشمل الذهب والفضة والرصاص والزئبق والكبريت والنفط وحامض الكبريتيك والكحل والشب . وكان معظم الإنتاج المعدني متركزا في منطقة جبل النار (إتنة) . وكان ملح الأمونيا يُستخرج بالقرب من جبل النار ويباع في الخارج . وكان الخشب يُجمع بكثرة من الغابات وخصوصا في الوادي العريض خلف مدينة جفلوذي (Cefalu) . وازدهرت صناعة صيد الأسماك ، وابتكر أسلوب جديد في صيد سمك التونة .

وكان للحريم المصنوع في صقلية أسواق رائجة في الخارج . وكانت توجد دور طراز لصناعة الأقمشة الثمينة في قرليون (Corleone) وبلرم ، إلا أن معظم إنتاج دور الطراز كان يُستهلك في صقلية ذاتها . وكان معظم التجارة الخارجية في أيدي العرب ، إلا أن ثمة ما يدل على أن بعض تجار الحبوب والعييد والماشية كانوا من أصل فارسي (٣٦) . وكانت التجارة نشيطة بين صقلية وإفريقية ومصر والمعاقل الإسلامية في جنوب إيطاليا . كما كانت ثمة تجارة على نطاق واسع مع الإمارات الساحلية الإيطالية ، وخصوصا نابولي ، وسالرنه ، وملف . وكانت هذه التجارة الكبيرة مصدر ثروة طائلة للجزيرة (٣٧) .

ومن ناحية أخرى فإن المنازعات الداخلية التي كانت تنشب من آن لآخر استدعت إنشاء تحصينات ونقاط منيعة حيث كان يوسع المزارعين وغيرهم من المواطنين اللجوء إليها في حالة نشوب حرب في المنطقة . وكانت صقلية على عهد

الأمراء الكلبين تضم ثلاثمائة وعشرين معقلاً في سائر أرجاء الجزيرة ، تحمى ثلاثاً وعشرين مدينة والعديد من المدن الصغيرة وقرى لا عدّها^(٣٨) . وكانت الحاضرة بلرم محصنة ، وكانت تحصينات ربضين هامين من أرباضها ، هما القصر والخالصة ، تحصيناب منيعة على وجه الخصوص . وفي كل إقليم كانت مدينة واحدة على الأقل محصنة تحصيناً جيداً ، وبها مسجد جامع يمثل معقلاً للسلطة الإسلامية .

وفي ولاية أبي القاسم على بن الحسن زار صقلية الجغرافى والرحالة ابن حوقل في سنة ٩٣٦٢هـ / ٢ - ٩٧٣ م . وتُعطينا روايته صورة واضحة عن الحاضرة بلرم في عهد الكلبين الأوائل . فكانت المدينة مسورة يحيط بسورها خندق وبها خمس حارات . وكان القصر ، وهو أحد هذه الحارات ، يقع في بلرم القديمة ، وكانت تقوم على جوانب تحصيناته أبراج ، وكان يسكن حارة القصر التجار وسراة القوم . أما الخالصة ، التي كان يسكنها الأمير وأتباعه ، فلم يكن فيها أسواق أو فنادق بل كان فيها الجند ودار الصناعة والديوان والسجن وعدة حمامات . وأما الحارة التي كانت أعمر وأجل من هاتين الحارتين اللتين كانت تسكنها نخبة أهل المدينة ، فكانت حارة الصقالبة التي كانت على الساحل ، وفيها كان يلتقي البحارة والتجار الأجانب . وأما الحارتان المتبقيتان من المدينة ، فكانتا الحارة الجديدة وحارة المسجد . وكان لهاتين الحارتين أسواقهما وحرفهما ، وكان يسكنها الجند ، وبها الزياتون وتجار الحبوب وباعة البقل والطرازيون وصانعو الدروع والحدادون . وبالإضافة إلى حارات المدينة الخمس الكبرى ، يذكر ابن حوقل كذلك حارات أصغر منها كحارة اليهود والمعسكر ، ولعل الأخيرة كانت نقطة عسكرية صغيرة . وكان عدد سكان المدينة كلها آنذاك يبلغ حوالى ثلاثمائة ألف نسمة . وكانت المنطقة كلها الممتدة من المدينة إلى ضفاف وادى [عباس] (Oreto) مليئة بالجنان والمنزهات^(٣٩) .

وكان عدد المساجد ببلرم يزيد عن عددها في أية مدينة إسلامية أخرى زارها ابن حوقل . وكان الناس يتباهون بأن لهم مساجد خاصة بعائلاتهم ومواليهم^(٤٠) . ويقول جغرافي عربي آخر هو المقدسي إن الاحتفال بالعيدين في صقلية كان أبهى منه في أى مكان آخر في العالم الإسلامى^(٤١) .

وكان سكان بلرم مزيجاً من مختلف الأجناس . فبالإضافة إلى العرب ، كان هناك البربر واليونان والمبارد واليهود والصقالبة والفرس والترك والسودان . وكانت المدينة

تجمع بين الثراء والفقر ، وبين عنف الجند ووداعة أهل الحِرَف والصنائع . وكان المسلمون قد اقتبسوا كثيراً من الأعراف والعادات غير الإسلامية . وكما هو الحال في كل حاضرة أخرى ، كان في بلرم أنفة وأحقاد وشقاء وغير ذلك من العلل الاجتماعية^(٤٢) . ويبدو أن ابن حوقل انزعج كثيراً من هذه العلل ، وهو يشكو من أن بلرم لم يكن فيها أهل فطنة ، أو علماء أو عقلاء أو صلحاء ، وهي اتهامات تنفيها بعض الروايات الأخرى . وقد وجد ابن حوقل أهل المدينة أغبياء وكسالى ويزعون إلى الرذيلة أكثر من نزعتهم إلى الفضيلة . وقد أزعجه طعامهم الذي كان يشتمل على الإسراف في أكل البصل النيّ ، ونتج عن ذلك أن « ليس بالبلد عاقل ولا فاضل ولا عالم بالحقيقة بفن من فنون العلم ، ولا ذو مروءة ولا متدين . . . وأكثر أهله سقّاط أوضاع ، لا عقول لهم ولا دين كامل »^(٤٣) . وقد شوّه هذا الكلام صورة بلرم لدى بعض الجغرافيين المسلمين الذين جاءوا بعد ابن حوقل ، ونجد صداه عند ياقوت الحموي الذي يعتبر طعام مسلمي صقلية طعاماً غير صحي وكرهه الرائحة ، ويعتبر عاداتهم غير نظيفة ولاصالحة ، وبيوتهم مظلمة قدرة^(٤٤) . ومن ناحية أخرى نجد روايات تتمدح مسلمي صقلية ، فهم « مرموقون من بين من جاورهم بنظافة الأعراض والثياب والأحوال ، متميزون بالجميل في الناس ، وحسن الصور والقصد في المعاش ، إلى مروّات ظاهرة وعشرة حسنة »^(٤٥) .

وكانت مسينة على ما يُحتمل أكبر موانئ صقلية ، كما كانت مستودعاً دولياً للتجارة ، وفيها كان يجتمع التجار من أوروبا وشمال إفريقيا .

الفصل الخامس

النشاط الفكري أثناء الفترة الإسلامية

مع أن صقلية كانت في طرف ناءٍ من العالم الإسلامي وكان لها تاريخ مضطرب في فترة الحكم الإسلامي لها ، فقد توفرت فيها عدة عوامل ساعدت على ازدهار العلوم والآداب في الجزيرة . وكان المعلمون في المحاضر الملحقة بالمساجد في صقلية مُعفين من المشاركة في الجهاد ^(١) . وكانت النخبة الحاكمة من الأغلبة والكليبيين تضم أشخاصاً لم يكونوا رعاة للأدب فحسب ، بل كانوا هم أنفسهم أيضاً كُتّاباً وعلماء مبدعين ^(٢) . وكانت صقلية مأوىً أميناً يلجأ إليه العلماء المضطهدون في شمال إفريقيا . ومن ناحية أخرى ، كان علماء صقلية يرحلون أثناء فترات الاضطراب إلى شمال إفريقيا أو مصر ، لا بل إنهم كانوا يرحلون إلى جهات أبعد شرقاً طلباً للعلم أو لتأدية فريضة الحج . إن حركة العلماء هذه من صقلية وإليها أبقّت على الجزيرة في الجرى الرئيسي لحركة العلوم الإسلامية . وقد استفادت صقلية في القرنين الرابع والخامس للهجرة/ العاشر والحادي عشر للميلاد على وجه الخصوص من التيارات الفكرية الكبرى التي نمت في القيروان .

وكانت المساجد في الغالب مراكز لهذه النشاطات الفكرية ، وفيها كان يُدرّس علما النحو واللغة فضلاً عن العلوم الدينية كالفقه والحديث والقراءات . كما استمر التقليد الشعري وتأقلم في صقلية . فعلى بن حمزة البصري ، الذي اشتهر لغوياً وراوياً لأشعار المتنبي ، هاجر إلى صقلية وتوفي فيها سنة ٨٩٥ م . ووضعت دراسات عن المتنبي وشروح لديوانه من قِبَل ابن البر الذي زار صقلية ، ومن قِبَل صقليين كابن القطاع وأبي على الحسين بن عبد الله ^(٣) .

ومن بين علماء القرآن الأوائل المقرئ محمد بن خراسان [النحوي] الذي كان والده من موالى بني الأغلب . وقد درس في مصر ثم أخذ القراءة عن ابن المظفر [بن أحمد بن حمدان] ولعل ذلك كان في العراق ، وعاد إلى صقلية وتوفي فيها سنة ٩٩٦ م ^(٤) وثمة عالم صقلي آخر في النحو وفن القراءات هو إسماعيل بن خلف الذي

كان قد درس في مصر وتولّى عند عودته التدريس في صقلية ، ثم رحل عنها بسبب الاضطرابات السياسية في الجزيرة إلى الأندلس أولاً ثم إلى مصر وفيها توفي سنة ١٠٦٣ م . وتوجد مخطوطات من كتابه الشهير (كتاب العنوان في القراءات) في برلين واسطنبول وبانكبور . ومن بين مؤلفاته رسالة في شكل النص القرآني الكريم^(٥) .

ومن بين أوائل علماء الحديث أبو العباس الذي تَعُدُّه الرواية بين شيوخ المحدث أبي داود والمؤرخ الطبري ، ويشك في صحة ما يقوله البعض من نسبة أبي العباس إلى مقاطعة قُلُورِيَّة^(٦) . ومن علماء الحديث الصقليين في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي أبو بكر محمد بن إبراهيم التميمي [الصوفي] الذي سافر في طلب الحديث إلى العراق حيث يقال إنه حضر الحلقة الصوفية التي أقامها الصوفي الكبير جُنَيْد ، وعاد آخر الأمر إلى صقلية^(٧) .

وهناك عدة علماء آخرين لم تصلنا سوى أسمائهم . ومن بين هؤلاء ابن الفراء^(٨) ، وموسى بن الحسن الذي هاجر إلى مصر^(٩) ، وعبد الرحمن بن محمد بكر الذي كان يترع إلى الصوفية والذي سافر عبْر شمال إفريقيا ومصر والحجاز ، والحسن بن علي [الصقلي النحوي] الذي توفي بمكة المكرمة سنة ١٠٠١ م ، وأبو القاسم المتوفى سنة ١٠٣٥ م . ومن بين صغار المحدثين الصقليين أبو مسعود سليمان الذي استقر في بغداد ، وأبو الفضل العباس بن عمرو الذي هاجر إلى الأندلس ودرّس فيها^(١٠) . وكان أبو محمد عمّار الكلبي عالماً شهيراً من علماء الحديث^(١١) .

وكان أسد بن الفرات الذي بدأ به افتتاح العرب لصقلية عالماً فقيهاً في المقام الأول ، لا بل إنه يُعدُّ في طليعة الفقهاء في القرون الثلاثة الأولى للإسلام . وكانت أسرته التي تنتمي [بالولاء] إلى قبيلة بني سُليم العربية قد استقرت في نيسابور . وقد وُلِدَ أسد في مدينة حَرَّان بالعراق سنة ٧٥٩ م ، وأحضره والده إلى القيروان حينما كان أسد طفلاً في الثانية من عمره . ودرس أسد القرآن الكريم في إفريقية ثم ارتحل في مطلع شبابه إلى المدينة المنورة ، وفيها ، كما تذكر الرواية ، سمع من إمام دار الهجرة مالك بن أنس صاحب المذهب المالكي في الفقه . ومهما يكن من أمر ، فإن أسدا درس الفقه المالكي على أبي الحسن العباسي المتوفى سنة ٨٠٠ م . وفي الكوفة اجتمع أسد ببعض أصحاب الأمام أبي حنيفة صاحب المذهب الحنفي في الفقه ، ولعله

درس عليهم . وفي مصر واصل أسد دراسة المذهب المالكي على أحد كبار علماء المذهب [عبد الرحمن] بن القاسم . وعاد إلى القيروان في سنة ٧٩٧ م ، وفيها دوّن كتابه الشهير (الأسدية) . وليس الكتاب شرحاً لموطأ الإمام مالك ، بل هو خلاصة لفتاوى ابن القاسم . وقد أشار بعضهم إلى أثر الحركة الأباضية الخارجية على تكوين أسد الروحي . وفي سنة ٨١٨ م ، ولى أسد قضاء القيروان ، وهو منصب وليه في آن واحد مع أبي محرز محمد . وقد نشر أسد في إفريقية بعض جوانب الفقه الحنفي ، ويبدو أن مركزه الفقهى يقوم على الاقتباس من المذهبين المالكي والحنفي . كما ذكر بأن الفقيه المغربي الكبير سحنون تتلمذ عليه ، مع أن سحنون في كتاباته فيما بعد خالف أسداً الرأي (١٢)

وقد ألّفت عدة كتب عن المذهب المالكي في صقلية الأغلبية من بينها كتاب صنفه يحيى بن عمر [بن يوسف بن عامر الأندلسي] المتوفي سنة ٩٠٣ م ، وكان كتابه منتشرًا في صقلية انتشاره في إفريقية (١٣) . وفقه صقلى بارز آخر هو ميمون [بن عمر الأفريقي] المتوفي سنة ٩٢٨ م [ولى القضاء في القيروان ، وولى في صقلية ، وكان آخر من روى بالمغرب عن سحنون] (١٤) . ووصل إلى صقلية في سنة ٩٠٥ م فقيه فارسي هو أبو جعفر المروزي وأثهم بالمروق والكذب (١٥) . ونظراً للصلة الدينية والفكرية الوثيقة بين إفريقية وصقلية ، فإن علماء البلد الواحد منها كانوا يشغلون مناصب في البلد الآخر . فالفقيه المالكي البارز لقمان بن يوسف المتوفي سنة ٩٣٠ م كان قد أقام في صقلية أربع عشرة سنة [يدرّس المدونة] (١٦) . ومع أن التواريخ المتعلقة بفقهاء صقلية آخر أبي محمد الحسن بن علي [ابن الجعد الصقلى المالكي] ليست ثابتة ، إلا أن كتابه عن أحكام الفقه المالكي الخاصة بالميراث اعتبر مرجعاً معتمداً (١٧) . ومن بين فقهاء صقلية البارزين ابن يونس المتوفي سنة ١٠٥٩ م الذى اعتبر شرحه للمدونة حجة معتمدة ، وتلميذه عبد الحق بن محمد القرشي الذى أدّى فريضة الحج مرتين ، وذكر أنه اجتمع بإمام الحرمين الشريفين الجويني . وتشمل مؤلفاته شروحاً نقدية لمؤلفات سحنون (١٨) . وثمة فقيه صقلى اشتهر بورعه وعلمه هو عتيق بن علي السمنطرى الذى جاب أقطار المشرق الإسلامى (١٩) .

وفي مجال علم الكلام ، اتبع علماء صقلية إجمالاً المذهب الأشعرى (٢٠) . وكان بعض الفقهاء كعبد الحق بن محمد وابن ظفر من المتكلمين أيضاً . واشتهر الإمام

المازري [شارح الموطأ للمالك] فقيهاً ومتكلماً ، ومقاتله النقدية عن الجويني مفعمة بآراء الأشعرين في علم الكلام .

ويشتمل أدب التراجم على معلومات عن عدة صلحاء من صقلية عَفُوا عن الرذائل وقَضُوا أياماً وليالى في التَّجِد والتَّوْبَة ، وكانوا موضع تقدير الأهالي وإجلالهم . وكانت الصوفية الأولى في صقلية كما يمثِّلها أبو بكر محمد والسمنطري تقوم على البساطة والزهد . وقد رحل سعيد بن سلَّام ، وهو صقلِي من مواليد جرجنت ، إلى الحجاز حيث حظي باحترام كبير ، ثم توجَّه إلى بلاد فارس ، وتوفي في نيسابور سنة ٩٨٣ م ^(٢١) . وذكر أن أبا الحسن على كان تلميذاً للصوفي الشهير سَري السَّقَطِي ^(٢٢) . وارتحل صوفي صقلِي هو عتيق بن محمد إلى بغداد حيث حظي بالاحترام ^(٢٣) .

ومن ناحية أخرى فإن الجغرافي ابن حوقل ، الذي كان شديد الانتقاد لأخلاق عرب صقلية وعاداتهم ، انتقد بشدة كذلك الرِّباطاتِ الصوفية في الجزيرة ، إذ كانت « مشحونة بالرياء والنفاق والبطالين والفسَّاق » ^(٢٤) . كما انتقد آخرون النزعات الملامية في الصوفية الصقلية وأفراطها الصاحب وانشغالها بالغناء والرقص .

وإذا انتقلنا إلى النشاط الفكري الأكثر دنيوية ، وبدأنا بكتابة التاريخ ، وجدنا أنه باستثناء ما يسمَّى بتاريخ كمبردج الذي كتبه أحد النصاري أو ابن أحد النصاري في صقلية في عهد الكليبين ، وهو مصدر مهم لتاريخ صقلية الإسلامية ، فإن ما وصلنا من الكتابة التاريخية لمسلمي صقلية ضئيل . وقد ذكر حاجي خليفة تاريخاً لصقلية من تأليف أبي زيد الغماري ^(٢٥) .

وتولَّى عالم من أصل صقلِي اسمه عبد الله ترجمة رسالة ديوسقوريدس (Dioscorides) في علم النبات للخليفة الأموي الأندلسي عبد الرحمن الثالث [الناصر] . ويذكر ابن القطَّاع أبا عبد الله محمد بن الحسن بن القرني ، [ويصفه بأنه كاتب ومنجِّم وحاسب] ، كما يشير إلى أن الشاعر والأديب الشهير [أبا عبد الله محمد بن الحسن] بن الطازي كان طبيباً في المقام الأول ^(٢٦) . ويرى أماري أنه لما كان ثمة يونان يعيشون جنبا إلى جنب مع العرب في صقلية ، فإن عرب الجزيرة لا بد وأنهم اهتموا نوعاً ما بالفلسفة والعلوم اليونانية ودرسوها باللغة اليونانية . وكان من بين الأطباء العرب في صقلية أبو سعيد بن إبراهيم الذي وصلنا كتابه في الصيدلة .

وكان أبو بكر الصقلّي من بين شيوخ الطبيب والمؤلف الشهير ابن أبي أصيبعة (٢٧).
 ووضع أبو العباس أحمد بن عبد السلام شرحاً لأحد مصنفات ابن سينا الطبية (٢٨).
 وقد ازدهرت الأداب والعلوم في صقلية على عهد الأمير أبي الفتوح يوسف.
 وكان من بين رجال الفكر في عهده شخصية خارجة عن المألوف، ابن المؤدّب،
 الذي صرف همه إلى دراسة الكيمياء والبحث عن حجر الفلاسفة [الذي كان يُظنّ
 أنه يحوّل المعادن إلى ذهب]. لا بل وأشهر منه كان محمد بن عبدون أحد مدّاحي
 الأمير. وكان ما يسود البلاط الكلبى من ثقافة ورقة معروفين لدى الناس في إيطاليا
 وموضع إعجابهم (٢٩).

أما فيما يتعلق بوضع المعاجم والدراسات الخاصة باللغة وفقهها، فإن صقلية
 كانت جزءاً لا يتجزأ من عالم الإسلام. فعلماء صقلية في هذه الميادين كانوا يرحلون
 أو يهاجرون إلى الخارج، بينما نجد أن علماء من أقطار أخرى اتخذوا صقلية موطناً
 لهم. فالنحوى واللغوى والشاعر القرطبي موسى بن أصبغ مثلاً وفد إلى صقلية واستقر
 فيها. وفي مطلع القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى وصل إلى صقلية عالم
 لغوى بارز آخر هو سعيد بن فتحون. ورحل نحوى صقلّي شهير، أبو عبد الله محمد
 الكتّاني إلى العراق وخراسان والهند الغزنوية وتوفي في إصفهان سنة ١١١٨ م (٣٠).
 وسكن صقلية [أبو عبد الله محمد] بن خراسان من موالى بني الأغلب وهو نحوى
 ومقرئ متصدّر، ويوحى اسمه بأنه من أصل فارسي (٣١). وكتاب (رياض
 النفوس) هو مساهمة صقلية بارزة في أدب الطبقات، إذ يشتمل على تراجم عن سير
 وأعمال الفقهاء والنحويين واللغويين والشعراء وغيرهم. ورحل سعيد بن الحسن
 اللغوى من بغداد إلى صقلية وتوفي فيها سنة ٩٩٥ م. وأمضى طاهر بن محمد [بن
 الرقباني الصقلّي اللغوى الشطر الأكبر من حياته في صقلية] « ولم يكن في زمانه أعلم
 منه بلغة العرب... وقصدته العلماء من كل مكان » [وكان ابنه على لغوياً
 أيضاً، وكان يحفظ عن ظهر قلب شطراً كبيراً من الشعر العربي الجاهلي (٣٢)].

وكان من أشهر علماء اللغة في صقلية الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني
 (٣٩٠/١٠٠٠-٤٦٣/١٠٧٠)، [وأبوه مملوك رومى من موالى الأزد] وُلد في
 المسيلة [أو المهديّة حسب إحدى الروايات] وهاجر إلى صقلية، وتوفي في مازر.
 ولعل انتقاله إلى صقلية جاء نتيجة لغزوة قبائل بني هلال وما نتج عنها من خراب في

إفريقية . وكان ابن رشيق قبل قدومه إلى صقلية من إفريقية قد ألف كتاب (العُمدَة) (٣٣) تحت رعاية الأمير الزيرى المعز بن باديس ، ويُعتبر الكتاب من روائع المصنّفات عن نقد الشعر في اللغة العربية . وألف ابن رشيق بعد وصوله إلى صقلية عدداً من الكتب الأخرى ، ولكنها فقدت . كما كان ابن رشيق من كبار شعراء العربية (٣٤) .

وأبو بكر محمد بن علي بن البر من علماء اللغة وفقهها وُلد في صقلية في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، وبعد أن تلقى العلم في المشرق وفي الاسكندرية والمهديّة ، عاد إلى صقلية في أواخر الفترة الكلبية . وعاش بعد ذلك فترة من الزمن في مازر أيام صاحبها القائد ابن منكود ، وفيها التقى بابن رشيق . وقد أبعد ابن منكود عن مازر بسبب إدمانه الشراب ، فانتقل إلى بلرم وسكن فيها حتى سنة ١٠٦٨ م . وقد ساهم في بقاء التقليد الشعرى للمتنبى ، ولعله يعود إليه انتقال قاموس (الصّحاح) الشهير للجوهري إلى الجزيرة (٣٥) .

ولم تصلنا سوى شذراتٍ من أعمال الشعراء العرب في صقلية في كتب المجموعات والدواوين ، وأشهرها كتاب (الدرة الخطيرة والمختار من شعراء الجزيرة) لابن القطّاع ، وقد ضمّن عماد الدين الكاتب الأصفهاني في مجموعه الكبير (خريدة القصر وجريدة العصر) منتخبات من كتاب (الدرة الخطيرة) ومقطوعاتٍ من أعمال عدة شعراء آخرين من جزيرة صقلية (٣٦) . وترد مقتطفات ومنتخبات في مجموعات أخرى ككتابي ابن سعيد المغربي وابن بشرون .

وقد كان واحداً على الأقل من الأمراء الأغالبة الذين ولوا صقلية ، وهو مجبر بن إبراهيم ، شاعراً . وكان والياً على مسينة ، وعلى الأراضي العربية في جنوب إيطاليا ، وأسرّه البيزنطيون (٣٧) . ونظم القصائد الشعرية عدداً لا بأس به من الأمراء الكليبيين من بينهم أحمد بن الحسن ، وجعفر بن يوسف وغيرهما (٣٨) . ومن الطبيعي أن يكون هؤلاء وغيرهم من الأمراء الكليبيين رعاةً للشعراء ، وكذلك كان بعض سرة الكليبيين ورجال الدولة ، ومن بينهم الفقيه أبو موسى عيسى بن عبد المؤمن وابنه محمد (٣٩) . وكان من الشعراء أيضاً الكاتب ابن الصّبّاغ من أنصار الأكرحل وصديق ابن رشيق . وثمة شاعر عربي يسترعى الانتباه عاش نحواً من نصف قرن في البلاط الكليبي ، هو ابن الحياط ، الذى لا يكاد يُعرف شئ عن حياته في بلرم . وقد احتفظ لنا

صديقه إسماعيل التنجي ببعض المقطوعات من شعره . وصلنا حوالى مائتي بيت من شعر ابن الخياط ، وفيها يظهر مادحاً لأمرء الكلبين ومفتوناً بالمنظر الطبيعية في صقلية^(٤٠) . ومن الشعراء أيضاً أبو القاسم هاشم بن يونس ، وكان كذلك كاتب رسائل ومقامات وملح وروايات^(٤١) . وأبو الفضل مشرف بن راشد الذى وصلنا قصائده الثلاث في المديح ، كان شاعراً ، في أشعاره انسجام ورقة ، كما أنه لم تُعوزه جزالة اللفظ أو سمو الفكر^(٤٢) . ولعل ابن الطازي الذى تقدّم ذكره كان أيضاً أكبر الهجّائين في صقلية الكلية ، ويبرز في هذا الميدان لما تتميز به أفكاره من حيوية ، فضلاً عن أسلوبه اللاذع ورشاقته شعره وظرفه . وكان أبو الحسن على بن الحسن بن الطوي كاتبا شهيراً آخر في ميدان النثر والنظم ، وقد عاش في النصف الأول من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وسافر إلى المشرق ، والتحق ببعض الوقت ببلاط الأمير الزيرى المعز بن باديس في إفريقية^(٤٣) . واتخذ عثمان بن عبد الرحمن المعروف [بابن السوسي ، وهو شاعر من أصل أندلسي أو مالطى ، بلرم موطناً له ، وأشعاره عن صقلية مليئة بالشوق والحنين^(٤٤) .

أما أغراض الشعر العربي الصقلى في الفترة الكلية فهي المديح والنسيب والخمر والرياء ، أو وصف قصر أو عود أو قنديل أو أشجار البرتقال والنخيل . ولكثير من هذا الشعر جماله الفذ الفريد . ولا يتخلله كثير من الغزل المكشوف الذى يكثر في الشعر العربي عامة ، بل يلمس المرء فيه شعوراً بالفخر والاعتزاز ببسالة أبطال العرب في صقلية ، وبالثناء على بطولة أمرائها ، كما يلمس المرء فيه شعوراً ينم عن أسى الإنسان يعبر عنه ببساطة نادرة^(٤٥) .

ومن الطبع أن نجد صقلية العربية تنجذب في تقليدها الشعرى نحو إفريقية ، التي كانت ترتبط بها سياسياً ، إلا أن جابريلى لاحظ وجود عناصر في الاتجاه وفي الأسلوب تشير إلى وجود صلة وثيقة بين التقاليد الشعرية العربية في كل من الأندلس وصقلية . فقصائد أعلام شعراء العرب في الأندلس ، كابن زيدون وابن اللبّانة وابن الزرقاق ، لها نفس الخصائص التي نجدتها في المقطوعات الباقية من الشعر الصقلى — نفس الأغراض ، ونفس التراث الخيالى ، ونفس المحسّنات الشكلية ، لا بل وكثيراً ما نجد حتى نفس البحور التي تركّز على الصورة الغنائية . وكادت صقلية أن تكون « ولاية أدبية » أندلسية خلال القرنين الرابع والخامس الهجرين / العاشر والحادى

عشر الميلايين . والأزجال التي يشتهر بها ابن قزمان في الأندلس كانت تُنظم كذلك في صقلية ، ولعلّها كانت قريبة من روح السكان ولغتهم . وهذه الأزجال هي بمثابة مفتاح لطبيعة اللغة العربية التي كانوا يتخاطبون بها في الجزيرة ، ولعلّها كانت قريبة الشبه ببعض اللهجات العربية المعاصرة في شمال إفريقيا^(٤٦) .

الفصل السادس

النورمان في صقلية

تفيد رواية إيمي من مونتي كاسينو (Aimé of Monte Cassino) أن ثلّة من فرسان النورمان في طريق عودتها من الحج إلى بيت المقدس وصلت ناحية سالرنه (Salerno) بينما كان العرب يحاصرون المدينة ، فدحروا المحاصرين وأجبروهم على الفرار . وقد أعجب أمير سالرنه جومار الرابع ببسالة هؤلاء المغامرين النورمان وبمهارتهم الحربية ، فبعث برسالة إلى مقاطعة نورماندى [بشمال فرنسا] يدعو فيها الجنود النورمان إلى الانضمام إلى جيشه . ويقال إنه استجاب لهذه الدعوة كثير من المغامرين النورمان وأتباعهم ، وقدموا إلى جنوب إيطاليا ^(١) . إلا أن هذه القصة قد تكون قصة من نسج الخيال ^(٢) .

لما ظهر النورمان في جنوب إيطاليا في أوائل القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، كانت المنطقة مجزأة إلى عدة وحدات صغيرة . فبولية (Apulia) وقلورية (Calabria) كان يحتلها الروم البيزنطيون . وكانت جايتا (Gaeta) و نابولى وملف (Amalfi) جمهوريات صغيرة . وكانت بنفنت (Benevento) وكابوا وسالرنه إمارات لمباردية .

وما أن التحق المغامرون النورمان الأوائل في خدمة أمير سالرنه وغيره من صغار الأمراء حتى أخذوا في الإغارة على الأراضي البيزنطية ، ونجحوا في توطيد أقدامهم في جنوب إيطاليا على حساب البيزنطيين . وكان زعيمهم وليام (غليالم) ، المعروف بصاحب الذراع الحديدى (William of the Iron Arm) ، أحد أبناء تانكريد من أسرة هوتفيل (Hauteville) . وتوفي وليام في سنة ١٠٤٨ م ، واعتُبر أخوه دروجه (Drogo) خلفاً له في زعامة النورمان في مقاطعة بولية . ووصل شقيق دروجه ، روبرت جيسكارد (Guiscard) فيما بعد ، وعُهد إليه بافتتاح مقاطعة قلورية . وكانت سيرة روبرت جيسكارد الأولى قائمة على اللصوصية وقطع الطرق علناً ، فهو « لم يكن يستنكف عن ارتكاب كل أعمال العنف ، ولم يكن لشئٍ قدسية في نظره . وكان لا

يحترم العجزة ولا النساء ولا الأطفال ، وهو في بعض الأحيان لم يكن يرأف بكنيسة أو دير» (٣) .

ومع أن دروجه قُتل إثر مؤامرة ضد النورمان في سنة ١٠٥١ م ، إلا أن قوة هؤلاء ظلت في نمو مضطرد . وأخيراً جرد البابا ليو التاسع السلاح ضدهم متحالفاً مع أرجيروس (Argyros) ، القائد البيزنطي في باره ، إلا أن البابا مني بهزيمة ووقع أسيراً في أيدي النورمان في سنة ١٠٥٣ م ، ولم يُفرجوا عنه حتي رضى جميع مطالبهم . وفي سنة ١٠٥٧ م هدد روبرت جيسكارد مدينة ريو (Reggio) بوابة صقلية . وكان شقيقه رجار قد وصل قبيل ذلك إلى جنوب إيطاليا فأقره في مونت ليوني (Monteleone) . وفي سنة ١٠٥٨ م ، اختصم الأخوان روبرت ورجار ، ومارس رجار أعمال اللصوصية فعانت أراضي أخيه الولايات من هذه الأعمال . وأبرم روبرت صلحاً معه ، وتنازل له عن نصف مقاطعة قلورية (٤) .

وفي سنة ١٠٥٩ م ، تصالح النورمان مع البابا نيكولاس الثاني الذي تلقى قسماً بالولاء من جيسكارد وقلده إمارة بولية وقلورية وصقلية .

وفي سنة ١٠٦٠ م ، استولى جيسكارد على طارنت وبرنديزي ورئو من أيدي البيزنطيين ، ولما احتل ريو « اجتذبه وأخاه رجار صقلية اجتذاباً لا يقاوم » ، إلا أن تهديد البيزنطيين لممتلكاتهما من الخلف كان ما يزال قائماً . وفي الفترة ما بين سنتي ١٠٦٠ و ١٠٧١ م ، ظل جيسكارد في صراع مستمر مع البيزنطيين ، وهو صراع خرج منه ظافراً ، إلا أنه بسبب انشغاله بالبيزنطيين ، أصبح دوره في افتتاح صقلية ثانوياً بالنسبة لدور أخيه رجار (٥) .

ولا بد أن النورمان استهوتهم ثروة الجزيرة وخصبها ، في حين أن وجود المسلمين في صقلية لا بد وأنه بدا للنورمان تهديداً لممتلكاتهم الإيطالية التي استحوذوا عليها حديثاً (٦) . وعملت الحرب الأهلية والفوضى في صقلية على اجتذاب النورمان إليها . ويقول المؤرخون العرب إن ابن التينة كان قد عرض الجزيرة كلها على النورمان لقاء مساعدتهم له ، أما المصادر الأوروبية فتقول إنه عرض عليهم جزءاً منها فقط . ومهما يكن من أمر فإن ابن التينة ارتهن أحد أبنائه عند روبرت جيسكارد (٧) . كما أن الطريق أصبح ممهداً أمام الفتح النورماني لصقلية ، بعد الانتصارات التي حققها الجنويون والبيشيون ضد العرب .

وقام رجار بأول محاولة استطلاعية في صقلية في سنة ١٠٦٠ م ، حينما أبحر من ريو وهاجم مسينة التي صمدت في وجهه فانصرف إلى البر الإيطالي ، ويمكن صرف النظر عن الرواية المسيحية القائلة بأن رجار استدعاه النصارى في الجزيرة^(٨) .

وفي فبراير سنة ١٠٦١ م ، هاجم رجار مسينة ثانية ، وكان ذلك هذه المرة بدعوة من ابن الثمنة ، إلا أن هجومه باء بالفشل للمرة الثانية . إن هذين الفشلين الأولين أقنعا رجار بأنه لا يمكن إحراز تقدم في صقلية ، إلا بعد الاستيلاء على مسينة ، ولذلك فإنه وأخاه روبرت جيسكارد ركزا على مهمة إعداد حملة عسكرية قوية لهذا الغرض . وقد أدرك المدافعون المسلمون عن مسينة مدى هذا الخطر ، فاستصرخوا ابن الحوَّاس إرسال تعزيزات إليهم . وقد نزل رجار إلى البر في كالكارا (Calcara) جنوبي مسينة ، وأوقع هزيمة بقوة إسلامية كانت تقترب لمساعدة مسينة ، ثم سار على رأس جيش نورماني من ألفي رجل وتمكَّن أخيراً من احتلال المدينة^(٩) . وفر الجزء الأكبر من الحامية الإسلامية في مسينة ، وسي النورمان نساء المسلمين وأطفالهم وعبيدهم ، كما ظفروا بغنائم وفيرة^(١٠) .

وقد اتخذ جيسكارد مسينة مركزاً للعمليات النورمانية في صقلية ، وأعاد ترميم تحصيناتها . واحتل النورمان رمطة (Rametta) بسهولة ، إذ يُحتمل أن واليها كان من أنصار ابن الثمنة . ولم يواجه النورمان أية مقاومة من جانب السكان النصارى في المنطقة الواقعة بين رمطة وفرازانه (Frazanno) . ومضى جيش رجار قدماً عبر وادي سيميتو (Simeto) إلى كنتوربي (Centorbi) ، إلا أنه لم يتمكَّن من احتلالها ، ولكنه احتل بطرنو (Paterno) في مقاطعة قطانية . ويرى البعض أن هذه الحملة النورمانية في سنة ١٠٦١ م لعلها كانت بغرض إعادة هذه الأراضي لابن الثمنة ، وهي الأراضي التي يبدو أن ابن الحوَّاس كان قد احتلها ، إذ إن النورمان لم يواجهوا في هذه المنطقة مقاومة تُذكر^(١١) .

بيد إن النورمان لقوا مقاومة حقيقية في حصار قصر يانه (Castrogiovanni) حيث كان ابن الحوَّاس قد جمع من حوله جيشاً كبيراً ، ولم يتمكنوا من الاستيلاء على ذلك المعقل المنيع ، ولكنهم عاثوا في المناطق المجاورة . وأثناء حصار قصر يانه ، كان روبرت جيسكارد على رأس النورمان ، بينما قام رجار بالعبث والتخريب في ناحية جرجنت (Girgenti) . ولما أخفق النورمان في الاستيلاء على قصر يانه ، انسحبوا

وظلوا يحتفظون بمسينة ، وبموطى القدم الذى كانوا قد أقاموه في صقلية (١٢) .
وفي أواخر سنة ١٠٦١ م ، عاث رجار ثانية بالمنطقة الواقعة بين مسينة
وجرجنت ، وسلم نصارى طروينه (Troina) مدينتهم إليه . وفي ربيع سنة
١٠٦٢ م ، شن غارة أخرى بالتعاون مع ابن الثمنة ، واحتل بطرليہ (Petràlia)
بالقرب من جفلوذى (Cefalù) . وبينما عاد رجار إلى إيطاليا ، واصل ابن الثمنة الحملة
ولقي مصرعه في أحد الاشتباكات . وبموته حُرّم النورمان من حليف قيم ، واضطروا
إلى إخلاء طروينه ويطراليہ وإلى التقهقر إلى مسينة (١٣) . وفي هذه الآونة ، نشب
نزاع آخر بين روبرت جيسكارد وأخيه رجار ، سرعان ما سوّى خشية حدوث تمرد ،
واتفق الأخوان على إقامة حكم مشترك بينهما على كل مدينة وكل معقل في مقاطعة
قلورية .

وتمكن رجار الآن من صرف كل اهتمامه إلى صقلية ، إلا أن السكان النصارى
ثاروا ضده عندئذ ، لأن الغزاة النورمان استباحوا نساءهم (١٤) . وبعد حصار
طويل ، تمكن من استرداد طروينة .

وفي هذه الأثناء ، وبعد وقت قصير من تجربة الوقع الأول للنورمان ، لجأ بعض
مسلمى صقلية إلى إفريقية ونقلوا إلى المعز بن باديس أخبار الوضع السيئ للمسلمين
في الجزيرة والخلافات القائمة بينهم . فأرسل المعز قوة بحرية إلى صقلية ، إلا أنها
تبددت بفعل عاصفة قرب جزيرة قوصرة (Pantellaria) . وقرر تميم الذى خلف أباه
سنة ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م إرسال حملة عسكرية أخرى بقيادة ابنه أيوب وعلى . ونزل
أيوب إلى البر في بلرم وأقام سيادة أبيه في المنطقة الممتدة من مازر إلى جفلوذى .
وبمساعدة ابن الحواس ، وطّد على أقدامه في جرجنت ، ثم ساعد على تعزيز حامية
قصريانه .

ولبعض الوقت بعد سنة ١٠٦٣ م ، كان أيوب القائد العسكرى المسلم الرئيسى
في صقلية ، إلا أن الخلاف كان قد نشب بين المسلمين الصقليين والحملة العسكرية
القادمة من إفريقية . وتنازع أيوب وابن الحواس واقتتلا ، ولقي الأخير مصرعه وسيطر
أيوب على جرجنت وقصريانه وبلرم . وفي الفترة ما بين سنتي ١٠٦٥ م و ١٠٦٧ م ،
لم تقع معركة كبرى بين المسلمين والنورمان . إلا أن رجار أوقع في سنة ١٠٦٨ م هزيمة
حاسمة بأيوب في منزل الأمير (Misilmeri) ، مما أوهن الروح المعنوية للجماعة القادمة

من إفريقية ، وأضعف من هيبته ، فانسحبت مع أيوب إلى إفريقية تاركةً مسلمي صقلية وقد اعتري تنظيمهم خللٌ كبير . إلا أنه كانت أمامهم مهلة لبضع سنوات حتى سنة ١٠٧١ م ، إذ إن رجار كان قد توجه إلى إيطاليا لمساعدة أخيه في حصار باره . وبعد سقوط باره ، جهّز روبرت أسطولاً للمساعدة في الاستيلاء على بلرم ، التي لا تكتفي محاصرتها برّاً ، لأن المدينة تستطيع تلقي الإعانات والمؤن عن طريق البحر . وكان أسطوله يضم بحّارة من باره وقلّورية ومن اليونان . وفي طريقهم إلى بلرم ، احتل النورمان غدراً مقر خلفاء ابن الثمّة الذين كانوا ما يزالون حلفاء لهم (١٥) . ثم تجمّعت القوات النورمانية عند بلرم وحاصرتها برّاً وبحراً . ووصلت قوة عسكرية من إفريقية لنجدة الحاضرة المحاصرة واخترقت الحصار المضروب على المدينة ، ولكنها مُنيت بنحسائر كبيرة . وتواصل الحصار عدة شهور ، وفيه هلك الكثيرون من المحاصرين والمحاصرين بسبب المجاعة . وأخيراً استسلمت بلرم في ربيع ثاني سنة ٤٦٤هـ / يناير ١٠٧٢ م ، ومُنح سكانها المسلمون ضمانات بحماية أرواحهم وديانتهم وشرائعهم (١٦) .

وقد أدى سقوط بلرم إلى استسلام مازر أيضاً ، إلا أن قصر يانه واصلت صمودها . وفي سنة ١٠٧٢ م ، كان كل الساحل الشمالي للجزيرة في أيدي النورمان . وفي الغرب كانت سلطة النورمان تمتد حتى مازر ، وكانت سلطتهم في الشرق تمتد حتى مسينة . وأصبح المسلمون في وسط الجزيرة مطّوقين من كلا الجانبين . واقتسم الأخوان الممتلكات النورمانية في الجزيرة ، فاحتفظ جيسكارد بالسيادة على الجزيرة ، كما كانت له السيطرة المباشرة على بلرم وعلى جزء من مسينة وإقليم دمنش ، وكان الباقي من نصيب أخيه رجار الذي قلده جيسكارد منصباً قومس (كونت) صقلية .

وبعد سقوط بلرم ، صمد المسلمون حتى في إقليم دمنش في مثلثٍ تحيط به ممتلكات النورمان في مسينة وطروينه وقطانية ، متمركزين في طبرمين (Taormina) . كما كان المسلمون يسيطرون على أطرابنش / طرابنش (Trapani) والمناطق المجاورة لها . وكان ولاء المناطق العربية إما للأمير قصر يانه في الوسط ، وإما للأمير سرقوسة في الجنوب .

وفي سنة ١٠٧٢ م ، كان بطل المقاومة الإسلامية في الجنوب (Benavert) أو

(Benarvet) حسب رواية المؤرخين الأوروبيين^(١٧) ، ولعله ابن عباد^(١٨) الذى امتدحه الشاعر الصقلى الشهير ابن حمديس . وفي هذه المرحلة ، ثار الجزء الإسلامى من الجزيرة بأسره على النورمان . واستصرخ الأهالى الأمير الزيرى تميم بن المعز الذى أرسل فى سنة ١٠٧٤ م أسطولا صغيراً أغار على نقوطره (Nicotra) فى مقاطعة قلورية ، وقام فى العام التالى بإيزال جنود إلى البر قرب مازر ، إلا أنهم صُدُّوا على أيدي النورمان . وثأراً من غارات المسلمين ، وخصوصاً أعمال ابن عباد الحرية ، عاث رجار فى البلاد عيثاً أدى إلى معاناة صقلية فى سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٧ م من مجاعة شديدة^(١٩) . وفى سنة ١٠٧٩ م ، نظم رجار حملة ضد طبرمين ومنطقة جبل النار (إتنة) واحتلها . وبينما كان النورمان ملتحمين فى الصراع ضد البيزنطيين فى سنة ١٠٨١ م ، جدّد ابن عباد نشاطه الحربى ، وانتصر على قائد قطانية النورمانى (وكان مسلماً قد تنصّر) واحتلّ تلك المدينة مؤقتاً ، إلا أن النورمان هزموه آخر الأمر وأبعد نحو الجنوب .

وفى سنة ١٠٨٤ م ، استأنف ابن عباد نشاطه الحربى ، وعاث بساحل قلورية وأرباض مدينة ريو وأشعل النار فى بعض الكنائس ، واحتل دير روكا داسينو (Rocca d'Asino) وأسّر جميع الرهبان فيه . وكان لذلك رد فعل قوى فى إيطاليا ، وقرر رجار استغلال هذا الحادث . واتخذت حملته ضد الجزء الذى كان ما يزال فى أيدي المسلمين طابع حملة صليبية ، ويمكن القول إنه من تلك اللحظة فصاعداً ، تميّزت المراحل التالية من الغزو النورمانى لصقلية بعنصر كبير من الحمية الدينية . وفى سنة ١٠٨٢ م ، قُتل ابن عباد ، وسقطت سرقوسة فى أيدي النورمان . وفى شهر يوليو من نفس العام ، تم احتلال جرجنت ، ولم يبق عندئذ فى أيدي المسلمين سوى نوطس (Noto) وبثيرة (Butera) وقصريانه . واستسلم [ابن] حمود أمير قصر يانه لرجار وتنصّر ومنح إقطاعاً فى مقاطعة قلورية . ولم تلبث حامية قصر يانه أن استسلمت بعد أن تخلّى عنها قائدها . وفى الفترة بين سنتي ١٠٨٦ و ١٠٨٨ م ، شغل رجار بشؤون إيطاليا ، إلا أنه فى سنة ١٠٨٨ م احتل بثيرة ، ورُحِّل سكانها المسلمون إلى قلورية^(٢٠) . وفى سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م ، استسلمت آخر المدن الإسلامية نوطس ، فتم بذلك افتتاح النورمان لجزيرة صقلية . وكان الجيش النورمانى الذى

افتتح الجزيرة يضم أجناسا متباينة : فالنبلاء كانوا من النورمان ، أما الجند فقد ضمّ عدداً لا يستهان به من الإيطاليين (٢١) .

وبالمقارنة بالفتح الإسلامي للجزيرة ، فإن الفتح النورماني لصقلية تمّ في خلال ثلاثين عاماً (٤٥٤ - ٤٨٤ هـ / ١٠٦١ - ١٠٩١ م) ، ويرجع الفضل الأكبر فيه إلى شخص واحد هو الكونت رجار ، مع أنه تلقى في المراحل الأولى من الفتح مساعدة ومشاركة هامتين من أخيه جيسكارد . وكان من الممكن أن يتم الفتح النورماني لصقلية في فترة أقصر من ذلك ، لولا أن القوة العسكرية المتوفرة لرجار كانت ما أمكن الاستغناء عنه من التزامات النورمان ومواجهاتهم الكبرى في إيطاليا .

وبعد وفاة روبرت جيسكارد في سنة ١٠٨٥ م ، أصبح الكونت رجار قويا جدا ، ومع أنه اعترف بسيادة ابن أخيه دوق رجار ، إلا أنه كان بوسعه التعامل معه على قدم المساواة . وفي الواقع ، فإنه كان يمثل الاستقرار والقوة وسط الفوضى العامة السائدة في ممتلكات النورمان في إيطاليا . وفي مقابل الخدمات التي أسداها رجار لابن أخيه في التحكيم ، انتزع منه التنازل له عن معاقل في قلورية فضلا عن النصف من بلرم الذي كان من نصيب جيسكارد . وأصبح رجار صاحب صقلية من الشخصيات البارزة في أوروبا . وسعى إلى التحالف معه كل من الكونت ريمون الرابع صاحب سينت جيل (St. Gilles) [بجنوب غربي فرنسا] ، وفليب الأول ملك فرنسا ، وكونراد بن هنري الرابع ، وملك المجر كالمان / كولومان (Kalman/Koloman) . ولما عجز ابن أخيه عن تقديم الحماية التي طلبها منه البابا إريان الثاني (Urban) ، فإن البابا عرض الحماية على صاحب صقلية في سنة ١٠٩٨ م ، وتنازل له عن السفارة الرسولية (Apostolic Legateship) ، ونتج عن ذلك أن تدخل البابا في دولة رجار لم يعد يتم إلا عن طريق الكونت رجار نفسه . وهكذا تمكّن رجار صاحب صقلية من إعادة صقلية إلى مجرى السياسة الأوروبية بفضل قوته العسكرية التي كان يشكل المسلمون جزءاً كبيراً منها (٢٢) .

وبعد وفاة أخيه ، شرع رجار في تقسيم ممتلكاته في صقلية وإيطاليا إلى إقطاعات وزّعها بين أفراد أسرته وبين أصحابه . فانتشر بذلك نظام الإقطاع في صقلية التي كان جانب كبير من سكانها من المسلمين . وقد احتفظ هذا التقسيم في بعض الحالات

بتوزيع الأراضي كما كان في فترة الحكم الإسلامي للجزيرة ، وفي هذه الحالة ، كانت الإقطاعات تماثل الأقاليم الإسلامية السابقة . ومن القوائم التي وصلتنا والتي احتفظ فيها المقتطعون بأسماء عبيد الأرض [أو رجال الجرائد] (villeins) في إقطاعاتهم ، يبدو أن عدداً كبيراً من هؤلاء كانوا من المسلمين^(٢٣) .

وفي العقد الذي تلا إتمام الفتح النورماني ، من سنة ١٠٩١ إلى ١١٠١ م ، ساد الهدوء الجزيرة وأبدى رجار تسامحاً في الحكم . والثورة الكبيرة الوحيدة التي حدثت ضده هي ثورة مسلمي بَنطليقة (Pantalica) وتم إخمادها بسهولة . ويمكن القول إجمالاً بأن المسلمين الذين عاملهم رجار بتسامح ظلوا مطيعين له . وكان العنصر الإسلامي في جيشه بارزاً في الهجمات التي شنها على مَلَف وكابوا في سنة ١٠٩٨ م . وقد قاوم لأسباب تتعلق بسلامة الدولة ضغوط الكنيسة لتنصير المسلمين^(٢٤) .

وتوفي رجار سنة ١١٠١ م وقد بلغ السبعين من العمر ، وكان في ذروة قوته . واستمرت وصاية أرملة الكونتيس أديليد (Adelaide) عشر سنوات من سنة ١١٠١ إلى سنة ١١١١ م . وحكمت صقلية وقلورية باسم ابنها سيمون حتى سنة ١١٠٣ م ، وباسم ابنها الثاني رجار الثاني حتى سنة ١١١١ م . ويبدو أنه لم تقع أحداث ذات بال في فترة الوصاية ، وفيها أصبحت بلرم مقراً للحكومة . وفي أواخر أيام وصايتها ، حُطبت اديليد من قِبَل بولدوين (Baldwin) ملك بيت المقدس [الصليبي ، الذي تسميه المصادر العربية بردويل] . وقبل توجهها إلى بيت المقدس ، اشترطت اديليد أن يؤول تاج مملكة بيت المقدس إلى ابنها رجار الثاني إذا كان زواجها الثاني بدون عقب . إلا أن هذا الاتفاق ظلَّ حبراً على ورق ، وماتت الملكة المهجورة تعيسة في صقلية .

إن رجار الثاني (حكم ١١١١-١١٥٤ م) هو أشهر حُكَّام صقلية النورمان وأبرزهم . وعلى أثر وفاة ابن عمه وليام (غليالم) الأول دوق نبولية في سنة ١١٢٧ م ، ظهر رجار أمام سالرنه وحمل البابا هنوريوس الثاني على أن يقلّده ، مُكرهاً ، دوقية نبولية أيضاً . وفي الفترة ما بين سنتي ١١٢٧ و١١٣٠ م ، توحّدت بزعامته الإمارات التي كان رؤساء النورمان قد أقاموها في إيطاليا وصقلية . واغتم رجار الثاني فرصة انتخاب شخصين ، هما أناليكتوس الثاني واثونست الثاني ، لكرسي البابوية سنة ١١٣٠ م ، فوعد بمساعدة الأول وحصل منه على « عرش

صقلية وقلورية وبولية وإمارة كابوا والرئاسة الشرفية لنابولي وحماية أهل بنفنت (٢٥). وعلى الأثر تمّ تنويجه ملكاً في بلرم .

ومن آن إلى آخر ، كانت الأمبراطوريتان الألمانية والبيزنطية تتحدان ضد المملكة الجديدة في صقلية ، واضطّر رجار الثاني وخلفه إلى الكفاح ضد اعتداء هاتين الأمبراطوريتين . أما البابا الذي كان قد وافق مُكرهاً على إنشاء مملكة صقلية ، فإن سياسته تأرجحت بين مساندة الأمبراطور الألماني ضد صقلية ، وبين مساندة صقلية ضد الأمبراطور . وفي المواجهات الأوروبية ، استخدم رجار جنوده من مسلمي صقلية على نطاق كبير .

والمواجهة الحربية الرئيسية لرجار الثاني مع العالم الإسلامي كانت حملاته البحرية ضد عدد من المدن الواقعة على ساحل الشمال الأفريقي واحتلالها آخر الأمر . وتولّى تنظيم الأسطول النورماني قائدان بحريان من أصل يوناني هما جورج الأنطاكي وكريستودولوس (Christodulus) ، وتشير المصادر العربية إلى الأخير باسم عبد الرحمن النصراني . وكان جورج الأنطاكي قد عمل سابقاً في خدمة الأمير الزيري تميم ، فتوفرت لديه معلومات وافية عن طبوغرافية ساحل شمال إفريقيا ، ثم التحق بخدمة رجار الثاني في سنة ١١١٢ م (٢٦) . وقام الأسطول النورماني بقيادة هذين المقدمين البحريين بمناهضة الدول الإسلامية في شمال إفريقيا للسيادة البحرية في البحر المتوسط . وفي سنة ١١١٣ م ، كانت قطع من أسطول بني زيري قد أغارت على نابولي وسالرنه ، ونتيجة لنشاط غزاة البحر المسلمين أصبح البحر غير مأمون بالنسبة للتجار والحجاج الأوروبيين . إلا أن المنازعات الداخلية بين الدول الإسلامية في شمال إفريقيا أتاحَت للنورمان الفرصة التي كانوا يتطلعون إليها .

وقد باءت بالفشل المحاولات الأولى التي قام بها رجار الثاني ما بين سنتي ١١١٨ و١١٢٧ م لإحراز موطن قدم في شمال إفريقيا . وفي أثناء الفوضى التي سادت شمال إفريقيا على أثر قدوم قبائل بني هلال ، أقيمت في قابس إمارة عربية صغيرة هي إمارة بني جامع . وقد قبل الأمير الزيري يحيى بن تميم التعايش معها ، إلا أن ابنه علياً هاجمها ، فاستنجد بنو جامع برجار الثاني الذي أرسل أسطولاً لمساعدتهم ، نظراً للعلاقات التجارية بينها . وقد فشلت هذه الحملة النورمانية الأولى ، وكانت بداية العداء بين النورمان وبين أمراء بني زيري . واستنجد على بن يحيى بالمرابطين ، ولكنه

توفي في سنة ١١٢١ م ، وخلفه في الحكم ابنه الحسن الذي كان آخر أمراء بني زيري [في إفريقية] . وفي سنة ١١٢٢ م ، قام بنو ميمون من أتباع السلطان المرابطي على بن يوسف بن تاشفين بمهاجمة نقوطرة (Nicotra) في مقاطعة قلورية ونهبها ، وذبحوا جانباً من سكانها ، واسترقوا بعضهم . ورداً على هذا الهجوم ، أرسل رجار الثاني أسطولاً ضد المهديّة و[قصر] الديماس بقيادة مقدّم الأسطول جورج الأنطاسي . وقد غرقت بعض المراكب بسبب هبوب عاصفة ، أما المراكب التي قدّرها الوصول إلى المهديّة ، فكانت ضعيفة الأثر ، ولم يعدّ إلى صقلية من مراكب النورمان الثلاثة سوى مائة مركب . وفي سنة ١١٢٧ م ، غزا بنو ميمون أراضي النورمان للمرة الثانية ، فهاجموا بطّي (Patti) ، وهدّدوا قطانية ، وأنزلوا جنوداً إلى البر لفترة قصيرة قرب سرقوسة ، حيث ظفروا بالغنائم والأسرى . ولمواجهة المرابطين ، اضطرّ رجار الثاني إلى العمل على التحالف مع ريمون الثالث كونت برشولونة (٢٧) .

وفي هذه الأثناء ، ساءت أحوال مملكة بني زيري وازداد ضعفها ، بحيث لم يعدّ ثمة أمل في بقائها . وفي سنة ١١٣٥ م ، ساريحي بن عبد العزيز من أمراء بني حماد نحو المهديّة . ولمواجهة هذا الخطر ، لم يكتف الأمير الزيري الحسن بالاستعانة بقبائل بني هلال فحسب ، بل استعان أيضاً بالنورمان أعداء الأمس . وهزم حلفاؤه الحماديّين (٢٨) ، وقامت بين بني زيري والنورمان علاقة تتصف بكونها أكثر من هدنة . ومن سنة ١١٣٥ م فصاعداً ، كانت سياسة رجار الثاني تقوم على ترك المهديّة وشأنها مؤقتاً ، ثم أن يرسل ، بحجة تأديب غزاة البحر المسلمين ، حملات ضد نقاط أخرى على ساحل شمال إفريقيا ، حيث لم يكن سلطان للأمير الزيري . وفي سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥ م ، احتل أسطول نورماني جزيرة جربة [« ملك الفرنج الجزيرة ، وغنموا أموالها وسبوا نساءها وأطفالها وهلك أكثر رجالها ، وعاد من بقي منهم وأخذوا لأنفسهم أماناً من رجار ملك صقلية ، وافتكوا أسراهم وسيبهم »] (٢٩) .

ومن سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٣ م فصاعداً ، تواصلت حملات النورمان على ساحل شمال إفريقيا . وأخفقت قوة بحرية صقلية في محاولتها الاستيلاء على مدينة طرابلس الغرب ، حيث كان بنو مطروح قد أعلنوا استقلالهم عن بني زيري (٣٠) . وعانت القوة النورمانية في طريق عودتها بمدينة جيجل الساحلية التابعة لبني حماد . وفي سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤ م هاجم النورمان مدينة برشك وجزيرة قرقة . وفي سنة

٥٤١هـ/١١٤٧ م نجح النورمان في هزيمة بني مطروح واحتلال مدينة طرابلس الغرب حيث « سفكوا دماء أهلها وأخذوا نساءهم وأموالهم . . . ثم نودى بالأمان في كافة الناس ، فرجع كل من فر منها . . . وألزم أهل صقلية والروم بالسفر إليها ، فأنعمرت سريعاً وحسن حالها » (٣١).

وفي سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧ م ، اغتصب شخص [اسمه يوسف] الحكم في مدينة قابس ، فاستنجد أميرها [معمر بن رشيد] من أسرة بني جامع بالأمير الحسن الزيري ، بينما استنجد مغتصب الحكم بالنورمان . وقام الأمير الحسن باحتلال قابس وإعدام مغتصب الحكم ، مما أتاح الفرصة لرجار الثاني لخرق صلحه مع الأمير الحسن . واحتلَّ أسطول نورماني بقيادة مقدَّم الأسطول جورج الأنطاكي مدينة المهديّة في سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨ م . وكان ذلك بمثابة مشاركة رمزية من جانب رجار الثاني في الحروب الصليبية . وكما جرى في مدينة طرابلس الغرب ، لم يلبث النورمان أن أعلنوا عفواً عاماً في مدينة المهديّة ، وسرعان ما عاد إلى المدينة نشاطها الذي عهدته أيام حكم بني زيري الذين أفلت شمسهم الآن (٣٢).

كما احتل النورمان في سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨ م مدن سوسة وصفاقس وقابس . ومع أن مقدَّم الأسطول جورج الأنطاكي توفي في سنة ١١٥٢ م ، فإن استيلاء النورمان على مدن شمال إفريقيا الساحلية استمر ، ففي سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣ م احتلَّت مدينة بونة (عنابة) . وفيما عدا مدينة تونس ومدينة أومدينتين أخريين ، فإن جميع مدن ساحل شمال إفريقيا دفعت الجزية لرجار الثاني ، الذي أضاف إلى ألقابه لقب ، (ملك إفريقيا) (٣٣) . وكان حكم رجار الثاني لساحل شمال إفريقيا رحيماً بالسكان المسلمين ، كما كان رحيماً بالمسلمين في صقلية . فقد رُمّم المدن ، ووفّر رأس المال للتجار ، وتصدّق على الفقراء ، وولّى قضاة حازوا رضا الأهالي (٣٤) .

وفي الوقت الذي كان فيه أسطول رجار الثاني يحتل ساحل إفريقية ، فإن ثمة ما يبعث على الاعتقاد بأنه انتهج سياسة ودية تجاه الفاطميين في مصر ، الذين كانت علاقاته التجارية معهم مُرضية (٣٥) . ويبدو أن التجارة عامة ، وتجارة القمح خاصة ، بين صقلية ودول شمال إفريقيا استمرت حتى خلال السنوات الطويلة من الحروب القائمة بينهما .

وتوفي رجار الثاني في سنة ١١٥٤ م عن عمر يناهز ثمانية وخمسين عاماً . وكان

قد ساد ممتلكاته أمن وسلم ورخاء لم تتوفر في أوروبا آنذاك . وقد أصلح القانون القضائي ، ووضع القانون والأمن موضع التنفيذ . واستعان في النهوض بالإدارة المدنية برجال أكفاء يتكلمون لغات مختلفة ، ويعتقون أدياناً ومذاهب مختلفة . ولم تفارقه روح التسامح إلا في أواخر أيام حكمه ، أما في معظم سنوات حكمه فقد كان تصرفه تصرفاً حسناً حتى إن ابن الأثير امتدحه لحمايته المسلمين ، وإظهار المودة لهم (٣٦) . وكانت بطانته من المسلمين وغيرهم ، ويقال إنه كان في جملة حريمه سبايا مسلمات فضلاً عما كان في حاشيته من العبيد والفتيان المجاييب . وكان يرتاح لصحبة علماء المسلمين ، وقد أمضى كثيراً من الوقت في السنوات الأربع عشرة الأخيرة من حكمه في بحث الأمور العلمية حسب التقاليد العربية . وقد راجت بين رعايا مملكته من المسلمين والنصارى شائعات لا أساس لها من الصحة مفادها أنه كان مسلماً سراً (٣٧) . وكان من بين الشخصيات اللامعة الرئيسية الخمسة في بلاطه عريان هما أبو الصلت أمية [بن عبد العزيز] والشريف الأدريسي ، وثلاثة من اليونان هم يوجينيوس ، ونيلوس دكسوباتريوس ، وثيوفانيس كيرامبوس (٣٨) . ومع أن رجار الثاني كان يعرف اليونانية والعربية ، إلا أنه كان يؤثر استعمال اليونانية في مكاتباته الدبلوماسية ، حتى مع السلاطين المسلمين (٣٩) .

وكان في الوقت ذاته راعياً للكنيسة المسيحية . فقد شيد أثريين دينيين عظيمين هما الكنيسة الملكية في القصر (Capella Palatina) ، والكاتدرائية في مدينة جفلوذي (Cefalu) . ويرى البعض أن رجار الثاني كان يرغب في أن تكون تحت سلطانه كنيسة « قومية » ، وهي فكرة لعلها مستمدة من التأثير اليوناني ، وعلى هذا الأساس فإنه كان يصبو إلى أن يجمع في يديه السلطتين الزمنية والدينية معاً (٤٠) .

وقد خلف رجار الثاني في الملك ابنه وليام (غليالم) الأول (حكم ١١٥٤-١١٦٦ م) . ولما كان وليام دون والده نشاطاً ، وفي رأى ابن الأثير فاسد التدبير ، فإنه ترك لوزرائه أمر تصريف شؤون الدولة . وفي سنة ٤-١١٥٥ م ، احتل البيزنطيون باره وطراني (Trani) وجيونينيتسو (Gionenezzo) ومُلفتة (Molfetta) ، كما زحفت ضده قوات البابا وثار عليه أتباعه الإقطاعيون . إلا أن وليام نجح في إخضاع الثائرين في سنة ١١٥٦ م ، واسترد المدن التي كان قد احتلها

البيزنطيون . واضطر البابا هادريان الرابع إلى التعامل معه ، وأقره في ممتلكاته الصقلية والإيطالية .

وبعد سنة ١١٥٦ م ، ازدادت سلطة ونفوذ كبير وزرائه مايو (مايو) (Maio/Majone) . وكان الحزب الذي تزعمه مايو والمملكة مارغريت حزب القصر ، وهو حزب معاد لحزب النبلاء ، وكان بعضهم قد شارك في الثورة السابقة . وكان حزب القصر يضم رجال القصر ، وكثير منهم من المسلمين الذين اضطلوا بدور هام في الإدارة المالية التابعة لمايو ^(٤١) . وألقي النبلاء اللوم على مايو للإجراء الصارم الذي كان وليام الأول قد اتخذ ضدّهم بعد الثورة ، وكذلك لحرماتهم من المشاركة في الحكومة . كما أن مايو لم يكن محبوباً من قِبَل سكان المدن الكبرى ، الذين ألقوا عليه تبعاً لحرماتهم من حرياتهم البلدية ، ولفرضه ضرائب باهظة عليهم . وأخيراً دُبِرَت مؤامرة ، وقامت ثورة كبرى ، شارك فيها النبلاء وعناصر أخرى ، أودت بحياة مايو في سنة ١١٦١ م ، لا بل إن الثائرين قبضوا على الملك نفسه ، إلا أنهم اضطروا إلى الإفراج عنه تحت ضغط الشعب والكنيسة . وعلى الأثر لنجاح وليام في معالجة أمر النبلاء في صقلية وجنوب إيطاليا .

وكان للاضطراب الذي حدث في صقلية نظيره في شمال إفريقيا . وفقد وليام الأول المواقع التي كان والده قد استحوذ عليها في شمال إفريقيا . ومع أن النورمان قاموا بالإغارة على تنيس في مصر وانهبوا في سنة ١١٥٤ م ، إلا أن هذه الغارة كانت في الحقيقة استمراراً تلقائياً للفتوحات التي أحرزت في شمال إفريقيا في عهد رجار الثاني . وقد حدث الآن رد فعل في شمال إفريقيا لتلك الفتوحات . ففي صفاقس ، ثار في سنة ١١٥١ هـ / ١١٥٨ م عمر بن الحسين الفرياني وتكللت ثورته بالنجاح . وحذت جزيرتا جربة وقرقنة حذو صفاقس . وفي سنة ١١٥١ هـ / ١١٥٨ م ، استردّ بنو مطروح سلطانهم في مدينة طرابلس الغرب . وفي قابس ثار على النورمان محمد بن رشيد ، وكانوا قد نصبوه قائداً على المدينة ، ونجح في ثورته عليهم . وفي سنة ١١٥١ هـ / ١١٥٨ م ، أرسل وليام الأول عشرين شينياً لإخماد ثورة في زويلة وحقق بعض النجاح . إلا أنه ما أن حلّ عام ١١٥٢ هـ / ١١٥٩ م حتى وصل السلطان الموحدى عبد المؤمن [بن علي] بعد زحف طويل [من

مراكش] لم يعرف الكلل ، وصَفَى ممتلكات النورمان في شمال إفريقيا . وفي سنة ١١٦٠/٥٥٥ م ، قطع عبد المؤمن وصول المُن عن الحامية النورمانية في المهديّة مما اضطرّها إلى الاستسلام [« ودخل عبد المؤمن المهديّة بكرة عاشوراء من المحرم سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وسَمّاها سنة الأُخماس »]^(٤٣) وبذلك أنهى عبد المؤمن المغامرة النورمانية في شمال إفريقيا .

وكان وليام الأول بطبيعته كسولا ، ولعلّه كان « قاسيا » ، إلّا أنّ صفة « السيّي » (The Bad) التي خلعتها عليه فالكاندوس ، أحد المدافعين عن حزب النبلاء ، صفة فيها نظر . وقد كان وليام ينفر من السياسة ، وكان أكثر ميلا من أبيه لحياة الدعة في القصور وبين الحرم ، محتذيا في ذلك حذو سلاطين المسلمين . وكان كوالده يجب مناقشة المسائل الأدبية والفلسفية مع العلماء اليونان والمسلمين^(٤٤) . وقبل وفاته في سنة ١١٦٦ م ، كان وليام الأول قد عيّن زوجته الملكة مارغريت وصيّة على المملكة إلّا أنّ سلطتها هذه اغتصبها « مجلس العشرة » الذي نصّب النبلاء الثائرون . ونجح إنجليزى هو ولتر أوفاميل (Walter Ophamil) ، الذي عيّن رئيساً لأساقفة بلرم في سنة ١١٦٩ م ، في تجريد « مجلس العشرة » من السلطة التي كان المجلس قد اغتصبها ، وعاد إلى السياسات الإدارية التي كان قد انتهجها رجار الثاني ووليام الأول . واحتفظ بثقة وليام الثاني ، حينما بلغ الأخير سنّ الرشد ، وتقلّد زمام الحكم^(٤٥) .

وكان وليام الثاني (حكم ١١٦٦-١١٨٩ م) ، بعكس أبيه ، محبوباً في المملكة ، وهو يُعرف في التاريخ باسم وليام « الطيّب » (The Good) . وحينما ارتقى العرش لم يكن يتجاوز الثالثة عشرة من العمر ، ويبدأ حكمه الحقيقي في سنة ١١٧١ م . وبالرغم من معارضة وزرائه ، جهز وليام الثاني حملات عبر البحر المتوسط ضد أراضي المسلمين . وكانت هذه السياسة تحدوها دوافع دينية في المقام الأول . ومع أنها كانت ترمي إلى إحداث ضغط لحماية تجارة ضنقلية مع المشرق ، إلّا أنّ أهدافها الأساسية كانت تأمين خطوط المواصلات بين أوروبا والأراضي المقدسة [فلسطين] وتوفير الحماية النورمانية للجماعات النصرانية في المشرق . وكان وليام الثاني من بين أول من حمل الصليب عند بدء الحملة المعروفة بالحملة الصليبية الثالثة [١١٨٩-١١٩٢ م] مع أنه لم يتمكّن من المشاركة فيها شخصياً ، وتوفي في سنة

١١٨٩ م . إلا أن مقدّم أسطوله مارجريتوس (Margaritus) أبلى في الأعمال الحربية المسيحية قرب مدينة اللاذقية (٤٦).

وأثناء فترة حكم وليام الثاني ، تكررت الغارات على ساحل مصر ، فأغار النورمان على دمياط في سنة ١١٦٩ م . وفي سنة ١١٧٤ م ، قام أسطول نورماني قوى ، قوامه مائتان وثمانون شينياً على متنها ثلاثون ألف رجل وألف وخمسمائة حصان ، بمهاجمة الأسكندرية ، إلا أنه لم يستطع أن يُحرز تقدماً يُذكر ، بفضل تحصينات المدينة أو القوة العسكرية المصرية التي أعدها السلطان صلاح الدين (٤٧) . وأغار الأسطول النورماني على تنيس مرتين ، ما بين سنتي ١١٧٥ و ١١٧٨ م ، وعاث بالمدينة في الغارة الأخيرة . وفي سنة ٨٠ — ١١٨١ م ، أرسل وليام الثاني وحدة بحرية خاصة ضد جزر البليار [الجزائر الشرقية] التي كانت عندئذ في قبضة بني غانية المرابطين . ولم تُسفر هذه الحملة عن أية نتائج ، إذ إن الجنويين حلفاء النورمان أبرموا صلحاً منفصلاً مع بني غانية . وفي الوقت نفسه تقريباً ، عُقدت معاهدة بين وليام الثاني وبين السلطان الموحدى أبي يوسف يعقوب . ولعل الباعث على عقدها هو المصالح التجارية المتبادلة أكثر من العداء المشترك نحو بني غانية . ولدينا رواية [الرحالة الأندلسي] ابن جبير عن الملاحة والتجارة بين صقلية النورمانية والأندلس ، مع أنه يُحتمل أن معظم المراكب كان يمتلكها الجنويون (٤٨) .

ولما كان وليام الثاني يفتقر إلى النشاط الذى تميّز به النورمان ، وقد أخذ إلى الراحة بين الحرم وحياة الدعة ، فإنه لم يقم قط بقيادة قواته شخصياً فوق ساحة القتال ، إلا أنه كان سياسياً ثاقب الرأى ، وكانت فترة حكمه فترة سادها السلام والهدوء . كما كان ، كأبيه وجده ، ملماً باللغة والعلوم العربية ، وهو الذى شيد كاتدرائية مونريالى (Monreale) وقصر القبة (La Cuba) . وقد اختار دانتي أن يضعه في الجنة (٤٩) .

توفي وليام الثاني دون أن يترك عقباً . وبناءً على رغبته ، كان ينبغي أن تخلفه على عرش صقلية كونستانسا (Constance) ابنة رجار الثاني التي كانت متزوجة من الأمبراطور الألماني هنرى السادس ، إلا أن نبلاء صقلية انقسموا إلى ثلاثة أحزاب .

وفي سنة ١١٩٠ م ، قام ماثيو من أجيلو (Matthew of Ajello) ، الذى أصبح المستشار ، بتنصيب تانكريد صاحب ليتشي (Tancred of Lecce) ملكاً ، وهو ابن غير شرعى للدوق رجار صاحب بولية ، وعلى ذلك فهو حفيد رجار الثانى . وقد قامت عدة ثورات ضد تانكريد ، منها الثورة المصيرية التى قام بها مسلمو صقلية ، وهى الثورة التى أشغلت تانكريد طوال السنة الأولى من حكمه . وبعد المذبحة التى حاقت بالمسلمين فى بلرم ، انسحب معظمهم إلى الجبال فى الداخل واحتلوا عدداً من المعاقل المنيعه . وتضاعفت أعدادهم حينما انضم إليهم عبيد الأرض المسلمون الذين فروا من تحكّم سادتهم الإقطاعيين النورمان^(٥٠) . وكما سنرى فيما بعد ، فإن هذه الثورة ، وقعها ، كانت بداية النهاية للوجود الإسلامى فى جزيرة صقلية .

وقد وصلت الحملة الصليبية الثالثة إلى أبواب صقلية ، واحتل الملك الإنجليزي رتشارد قلب الأسد مدينة مسينة ، إلا أن تانكريد عقد اتفاقاً معه . وفى هذه الأثناء ، كان هنرى السادس يخطط لاحتلال صقلية ، مطالباً بميراث زوجته كونستانسا . فأبرم معاهدتين مع جنوة وبيش لضمان حيادهما ، وفى سنة ١١٩١ م ، حاصر نابولى وسالرنه ، واستقرت الأمباطورة كونستانسا فى قصر تيراشينا (Terracina) . إلا أن الأمباطور اضطر إلى العودة إلى ألمانيا بسبب وباء كان قد تفشى فى جيشه ، وقام أهل سالرنه بالقبض على الأمباطورة وتسليمها إلى تانكريد صاحب ليتشي الذى اضطر إلى الأفراج عنها إزاء ضغط البابا سلسطين الثالث .

وتوفى تانكريد فى سنة ١١٩٤ م . ولم يكن خلواً من الكفاءة الفكرية ، وكان مُلمّاً باللغة اليونانية ، كما كان متمكناً من الثقافة العربية البيزنطية^(٥١) . وخلف وليام الثالث ، وهو قاصر ، أباه تانكريد تحت وصاية والدته سيبىلا (Sibylla) . وزحف هنرى السادس للمرة الثانية جنوباً سنة ١١٩٤ م ، وعقد معاهدة مع المدن اللمباردية [فى جنوب إيطاليا] ، وحصل على مساعدة أسطولى بيش وجنوة ، وتمكّن بسرعة وُيسر من افتتاح مملكة صقلية ، مُنهيّاً بذلك الفصل النورمانى من تاريخ الجزيرة .

الفصل السابع

النظم العربية في بلاط النورمان وإدارتهم

ساد التأثير العربي أكثر من التأثير البيزنطي في تنظيم البلاط النورماني ، وفي ألقابه ومناصبه وعاداته ومراسمه . وقد اتخذ ثلاثة من ملوك النورمان في صقلية بالفعل ألقاباً عربية : فرجار الثاني سمى نفسه (المعتز بالله) ، وحمل وليام الأول لقب (الهادي بأمير الله) ، وحمل وليام الثاني لقب (المستعز بالله) . وقد ظهرت هذه الألقاب على سكّتهم وفي نقوشهم ^(١) .

وقد صدرت الوثائق والمراسم عن بلاط رجار الثاني باللغات اللاتينية واليونانية والعربية . والقرارات بالعربية ، أو باللغتين اليونانية والعربية ، التي لم يكن رجار الثاني يوقعها شخصياً ، كانت تحمل علامته بالعربية ، على غرار ما كان يصدر عن السلاطين المسلمين . وكانت هذه العلامة تقوم على آية قرآنية كريمة ^(٢) « الحمد لله حقّ حمده » و « الحمد لله شكراً لأنعمه » . وفي وثائق مختلفة ، سمى رجار نفسه (الملك المعظم القدّيس) . وكانت عملته تحمل لقبه العربي تقليداً للفاطمين ، فضلاً عن لقبه المسيحي بالعربية (ناصر النصرانية) ^(٣) . وسمى مادحه العربي عبد الرحمن الأطرابنشي منتزهه الملكي قرب بلرم ، المعروف بالبحر العذب (Mare-dolce) (المعتزّة) ^(٤) . إلا أن ألقابه ، بنفس المعنى ، كانت تُكتب باليونانية في الوثائق المزدوجة اللغة الصادرة عن ديوانه .

إن التاج الذي لبسه رجار الثاني كان على الطراز البيزنطي ، أما عباءته الشهيرة التي ما زالت محفوظة في فينّا ، فكانت عباءة أمير شرقي طُرُزت على حاشيتها كتابة كوفيّة ، وصورة فهود تهاجم جيّالاً . ويتحدث الكتابُ المسلمون والنصارى المعاصرون لرجار الثاني أو القريبون من زمنه عن أهمية الأثر الإسلامي في قصر الملك النورماني وبلاطه . وما ينطبع في النفس هو أن أسلوب الحياة في بلاطه كان أسلوباً شرقياً لا غربياً . ومن نواحٍ كثيرة ، كانت حياة رجار شبيهة بحياة سلطان مسلم ، فقد كان له حريم وفتيان وقصور تذكّر المرّة بقصور الأُنس في الأندلس ، وبمباهج الحياة

الإسلامية المعاصرة وترفعها^(٥). إلا أن تشالاندون يرى في نعت أمارى لرجار الثاني بأنه «سلطان مُعمَّد» وصفاً مبالغاً فيه ، ويؤكد بأن الأثر اليوناني كان له الصدارة عند النورمان في الدين ، فضلاً عن السياسة والإدارة^(٦). كذلك فإن وجود الحرم أمر مشكوك فيه .

ويمكن القول بصورة أدق أنه تمَّ في بلاط رجار الثاني جمعٌ منسجَمٌ بين التقاليد والمؤثرات اليونانية والعربية واللاتينية . وكانت الإدارة الصقلية مكتبيةً (بروقراطية) إلى حد كبير ، وهى مكتبية ذات طابع شرقي بارز ، وهو طابع بيزنطى وعربي في آن واحد . وكان أطباء رجار من العرب . وكان كتّابه يتكلمون لغات مختلفة ويتداولون سجلات باللغات اللاتينية واليونانية والعربية ، وكذلك كان الحال بالنسبة للعدد الكبير من الكتّبة المتخصصين . وكان بلاطه بمثابة ملتقى للشمال والجنوب والشرق والغرب^(٧) . وكانت محكمته العليا على النمط البيزنطى ، كما كانت أبهة مراسم بلاطه على النمط العربي . وكالسلطين المسلمين ، كان من بين رجال بلاطه الجانب (الياور) والحاجب والسلاحى والجامدار . وكالفاطميين في مصر والعباسيين في بغداد ، كان لنورمان صقلية في قصورهم فتيان على اتصال وثيق ومباشر بالملك النورمانى^(٨) .

وقد ظلَّ التأثير العربي قوياً في البلاط في عهدى وليام الأول ووليام الثاني ، اللذين كانا في الواقع «مسلمين ظاهراً أكثر مما كان رجار»^(٩) ، وكان كلاهما يتكلم العربية بطلاقة . وكان يحيط بوليام الأول حرس من فرسان النورمان ، فضلاً عن حرسه السودان تحت إمرة أحد المسلمين^(١٠) . وكان في الجيش نفس المزيج : فرسان نورمان وجنود مسلمون بأزيائهم الزاهية . وكان الملك نفسه قد أتبع إلى حد كبير نمط حياة المسلمين الذين تغلب عليهم . وإنَّ لين عريكته ، التي قد تكون نتيجة لتأثره بعناصر شتى ، أدَّت تدريجياً إلى إضعاف نشاطه ، وإلى تقويض سلطته^(١١) . وقد خُصَّص جانب من قصره للنساء والوصفاء والخصيان^(١٢) . وقلمًا كانت أنظار رعيته تقع عليه ، وكان يقضى أيامه مترفاً معتكفاً في قصره مع نسائه . وكان يخرج للنزهة في قوارب مزيّنة في البحر أو الأنهار أو القنوات ، تصحبه حظيّاته وعازفو الموسيقى العرب . وقد حذا بارونات النورمان وكبار الموظفين حذو ملوكهم ، وكانت أرباض بلرم مليئة بالمنتزهات والمُنْيات^(١٣) .

وُلِّيَ الرحالة الأندلسي ابن جُبَيْر^(١٥) ، الذي زار صقلية أثناء حكم وليام الثاني ، بعض الضوء على بقاء التراث العربي في بلاطه ، وفي الحياة الصقلية عامة . فكانت علامة وليام الثاني بالعربية (الحمد لله حقَّ حمده) . وكان يرعى الأطباء والمنجِّمين ، وكان بعضهم من المسلمين ، إذ إن ابن جبير يدعو المولى عزَّ وجلَّ أن « يُعيد المسلمين من الفتنة بمنه » ، مع أنه كذلك يمتدح وليام الثاني ، لاستفادته من خبرات المسلمين^(١٦) . ويلاحظ ابن جبير أن وليام الثاني ، في إظهاره لابهته ، كان يشبه ملوك المسلمين^(١٧) . « وأما جواريه وحظاياه في قصره فسلمات كلهن . . . وأن الأفرنجية من النصرانيات تقع في قصره فتعود مسلمة ، تعيدها الجوارى المذكورات مسلمة ، وهنَّ على تكتنٍ من مَلِكهنَّ في ذلك كله »^(١٨) . وحتى في خارج القصر ، كانت النصرانيات في بلرم يقلدن المسلمات « وزىَّ النصرانيات في هذه المدينة زىَّ نساء المسلمين ، فصيححات الألسن ، ملتحفات ، منتقبات ، خرجن في هذا العيد المذكور [عيد ميلاد السيِّد المسيح] وقد لبسن ثيابَ الحرير المذهب ، والتحفن اللحف الرائقة ، وانتقبن بالنَّقب الملونة . . . حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلَّى والتخضب والتعطر^(١٩) . ويبدو أن الفتیان المجابيب كانوا قد تنصَّروا في هذه الآونة ، إلا أنهم كانوا يكتُمون إسلامهم ، وقد تغاضي الملك النورماني عن تأديتهم للصلوات الإسلامية .

وكان الرؤساء المسلمون واليونان وقضاة النورمان وكبار رجال الكنيسة يعملون جنباً إلى جنب في مجلس الملك (curia rigis) أو المجلس الأعظم (magna curia) الذي كان الجهاز الرئيسي بحكومة النورمان . وابتداءً من حكم رجار الثاني ، يردُّ ذكر المجلس (curia) مراراً في الوثائق . وكان الملك يختار من بين أعضاء المجلس أقرب مستشاريه الذين كانوا يُعرفون باسم المقربين (familiares) . ويقع المرء أحياناً في الوثائق على أسماء مسلمين كأبي القاسم [بن حمود] الذي كان عضواً في المجلس وأحد هؤلاء المستشارين^(٢٠) ، ولكنه لا يمكن الجزم ما إذا كان مثل هؤلاء الأشخاص ما زالوا مسلمين أو أنهم كانوا قد تنصَّروا .

وكان اللقب (أمير) أو أميراتوس (amiratus) لقباً أنعم به حتى روبرت جيسكاردي على عدد من ضباطه^(٢١) . وفي مملكة صقلية النورمانية كان الذي يتقلد أسمى المناصب في الدولة ما يزال يحمل اللقب العربي (أمير الأمراء) ، وكان يتقدم على

المستشار^(٢٢). ومن المحتمل أن يكون هذا اللقب قد أُبطل بعد اغتيال الوزير مايو^(٢٣).

وكان العنصر المسلم أكثر بروزاً من العنصر اليوناني بكثير في الإدارة المالية لمملكة صقلية النورمانية^(٢٤). وقد احتفظ النورمان بالديوان المالى العربي المسمى (ديوان التحقيق) ، وأطلقوا عليه باللاتينية الدارجة اسم (dohana de secretis) . ويعتبر أمارى هذا الديوان وغيره من الدواوين ، كالديوان المسمى (dohana baronum) ، تقليداً للنظم الفاطمية^(٢٥) ، بينما يرى غيره من الباحثين ، مثل جريجارىو (Gregario) ، أنها من أصل نورمانى بحت ، وأنها شبيهة بالنظم الماثلة في إنجلترا النورمانية^(٢٦) . ومن بين الدواوين العربية الأخرى التي بقيت في أيام النورمان وحوّرت لتفي بمطالباتهم (ديوان المعمور) أى بيت المال أو الخزانة ، وهو متفرع عن ديوان التحقيق^(٢٧) . وكان يُحتفظ في هذا الديوان بأسماء أهل أو رجال الجرائد (villeins) وبالإيراد المستحق من كل إقليم مالى . أما ديوان الفوائد ، المتفرع هو الآخر عن ديوان التحقيق ، فكان يختص ببيع الأراضي^(٢٨) . وكان ديوان التحقيق في جملته مسؤولاً عن الإدارة المالية كلها في المملكة ، فكان يراقب مراكز الخزانة ويحتفظ بسجلات فيما يتعلق بأقاليم المملكة المختلفة . وكانت هذه السجلات في صقلية تُكتب باللغة العربية^(٢٩) . واحتفظت الإدارة النورمانية بعدد من المصطلحات العربية من بينها التسمية الفاطمية / الكلبية « إقليم » للدلالة على كورة أو مقاطعة عسكرية^(٣٠) وكذلك التسميات لوظائف مختلفة مثل صاحب وكاتب وعامل^(٣١) .

وفي عهود ملوك النورمان الثلاثة الأوائل ، ظلّت العملة الفاطمية (الرُباعي) ، أى ربع الدينار ، متداولة ، وأثّرت في ضرب العملة النورمانية المقابلة لها المسماة بالطرى (tari) ، وكان الطرى يشبه الرُباعي في شكله وله نفس القيمة^(٣٢) .

وقد وصلتنا عدة وثائق صقلية تعود إلى الفترة النورمانية ، وتُعرف باسم defatari أو (دفاتر بالعربية) ، وهى سجلات بالأراضي المزروعة والأراضي الغير قابلة للزراعة ، كما تحتوى على قوائم بأسماء رجال الجرائد (villeins) مع ذكر التفاصيل الخاصة بنوع الخدمات التي عليهم أدائها ، وهذه القوائم احتُفظ بها في ديوان التحقيق والديوان المسمى (dohana baronum) . إن العديد من هذه الوثائق ،

وبعضها يرجع إلى حكم وليام الثاني ، كُتبت بالعربية ، بينما كُتب البعض الآخر منها باليونانية ^(٣٣) . وقد احتفظ بمثل هذه السجلات البيزنطيون ثم الفاطميون من بعدهم ، ولعل الكلبين احتفظوا بها كذلك ، ويبدو أن النورمان ورثوا هذه النظم عنهم ، مع أن سجلات مماثلة كانت مستعملة أيضا في إنجلترا [النورمانية] ^(٣٤) . إن تجنيد المسلمين في الجيش النورماني يعود إلى أيام رجار الأول . وعن المسلمين اقتبس النورمان بعض فنون وأساليب الحرب الإسلامية . وقد عمل بعض المهندسين العسكريين العرب مع النورمان ، وصنعوا لهم المجانيق وأبراج الحصار المتحركة . وحينما أقام رجار الثاني تحصينات مدينة باره (Bari) ، استفاد في تشييدها من مهارة المهندسين العرب وخبرتهم ^(٣٥) .

الفصل الثامن

المسلمون تحت حكم النورمان

إن الفرق الرئيسي بين حرب الاسترداد الأسبانية (reconquista) وبين افتتاح النورمان للجزيرة صقلية يكمن في السياسات التي قام عليها الفتح. فقد كان الكاثوليك الأسبان متعصبين، بينما كان النورمان، إلى حد كبير على الأقل، متسامحين ويعملون على دمج عناصر السكان في الجزيرة.

فروح التسامح والحلم التي أبدتها النورمان سارت جنباً إلى جنب مع الحاس الحربي منذ البداية. وكان تسامح رجار الأول يعود جزئياً إلى عوامل تقتضيها سلامة الدولة، إذ من المحتمل أن المسلمين كانوا يشكلون أكترية سكان الجزيرة آنذاك. وفضلاً عن ذلك، فإن الجنود المسلمين، كمسلمين، كان يمكنه الاعتماد على ولائهم له في حروبه الإيطالية. وكان لا ينال الخطوة لديه المسلمون الذين يتخلون عن دينهم الإسلامي ويتنصرون. ويذكر صاحب سيرة القديس أنسيلم (St. Anselm) أن رجار الأول حظر على القساوسة الكاثوليك تنصير المسلمين من جنده^(١).

إن النتائج الاقتصادية للفتح النورماني لصقلية عادت بالضرر على جميع طبقات السكان المسلمين في الجزيرة منذ البداية. وقد حدث أثناء الفتح النورماني تخريب كبير لقرى المسلمين ومواشيهم. وفُرضت على المسلمين في المناطق الريفية وعلى اليهود ضريبة الرؤوس، التي احتفظ لها بالتسمية الإسلامية (الجزية)^(٢). وهذا يفسر الموجة الأولى من الهجرة من صقلية إلى إفريقية الزيرية. أما الموجة الثانية، فيحتمل أنها ضمت الجنود المسلمين وكذلك أفراد الجند الذين رافقوا قوات ابن تميم بن المعز المتقهرة إلى إفريقية. وتُجمل شكوى الشاعر عبد الحليم [بن عبد الواحد الإفريقي المنشأ الصقلي الدار] مشاعر النخبة العربية إذ يقول:

عشتُ صقليةً يافعاً وكانت كبعض جنان الخلود
فما قدّر الوصلُ حتى اكتهلتُ وصارت جهنم ذات الوقود^(٣)

إن المسلمين من أهل مدن صقلية الذين استسلموا بعد القتال وقّعوا مع رجار

الأول اتفاقياتٍ حدّدت وضعهم وضماناتهم الدينية والاقتصادية ، وقد عُرفوا باسم (محلات) ولم يدفعوا الجزية . وقد نالت بلرم شروطاً مُرضيةً جداً ، ولم يكن كذلك حال قطانية التي مُنحت كإقطاعية لأحد الأساقفة ، وأصبح مسلموها من أهل الجرائد (villeins) . وسقطت القرى والبوادي في أيدي النورمان دون مقاومة كبيرة ، ولم توقّع اتفاقياتٍ من شأنها أن تضمن حقوقها . وقد تدنّى وضعُ مسلمي البوادي إلى مرتبة رقيق أو أقنان أرضٍ للسادة الإقطاعيين ، وأصبح للتسمية agarenius معنى مزدوج : مسلم ، أو رقيق أرض ^(٤) .

وفي عهد رجار الأول انتشر في مختلف أنحاء الجزيرة مسلمون من أصول عرقية مختلفة — كالعرب والمسلمين من أصل صقلّي والمولدين — كانوا يحملون أسماء غريبة ، مثل أحمد بن رومة أو عبد الرحمن بن فرنكة . وكان معظمهم بالطبع في إقليم مازر ، إلا أنه كان يوجد منهم أعداد كبيرة في إقليم نوطس ، وكان بعضهم قد استقر حتى في إقليم دمنش ، الذي كان معظم سكانه من النصارى . وفي بلرم كان ثمة حشد من العرب انتسبوا إلى القبائل القديمة في اليمن وإلى قبس وقريش ، وكذلك إلى أُسر عريقة من قبائل مرموقة من البربر كهوارة وكواتة وزغوة وزناتة . كما كان ثمة عدد قليل من المسلمين من المشرق ومن الأندلس . إلا أنه لم يلبث أن طرأ تغير على الخريطة العرقية والدينية لصقلية . ففي عهد رجار الأول ، كان سيل ثابت من المهاجرين من مقاطعة نورماندى وشمال فرنسا قد بدأ في الاستيطان في صقلية . ويجد المرء في الوثائق النورمانية الأولى عدة أسماء فرنسية من بين أصحاب الإقطاعات والأساقفة وموظفي الدولة النورمان . والأهم من ذلك الهجرة من إيطاليا على نطاق واسع ، وخلال هذه الفترة ، أصبحت الإيطالية لغة سكان الجزيرة . وظهرت في صقلية مستوطنات كبيرة للمبارد ^(٥) . وتمسك بعض السكان النصارى الأصليين في إقليم دمنش بالكنيسة الأرثوذكسية اليونانية وبالثقافة البيزنطية . وكانت هذه الطائفة قد هبّت لنصرة النورمان أثناء فتحهم للجزيرة ، وفي مقابل ذلك أعاد النورمان بعض الكنائس والأديرة اليونانية . وفي القرن الثاني عشر الميلادي قامت الطقوس اللاتينية واليونانية جنباً إلى جنب ، إلا أن الطقوس اللاتينية أخذ الآن نفوذها في الازدياد ^(٦) . وكان قد طرأ تحسن كبير على علاقات رجار بالبابا بعد احتلال الجزيرة . وفي صقلية ، كان المسلمون قد حوّلوا عدة كنائس إلى مساجد ، فكان من

أول الإجراءات التي اتخذها رجار الأول إعادة تحويلها إلى كنائس ، وتعيينُ رئيس أساقفة ، وكان يونانياً^(٧) . وبمقتضى مرسوم بابوى صدر عن البابا جريجورى السابع سنة ١٠٨٣ م ، استبدل رئيس الأساقفة هذا برئيس أساقفة كاثوليكي . وفي سنة ١٠٨٨ م ، زار البابا إربان الثاني صقلية ، إلا أن الخلافات استمرت بين وجهتي نظر البابا ورجار وسياستهما بشأن تنصير مسلمي صقلية^(٨) . ففي حين إن البابا كان يجتهد تنصير المسلمين لأسباب دينية ، فإن التنصير بالنسبة لرجار الأول لم يعن تنصير المسلمين ، وإنما استمرار هجرة النصارى من شبه الجزيرة الإيطالية وإعطاء الدين المسيحي مكان الصدارة بوصفه الدين الرسمي للجزيرة .

وقد استمر استيطان اللمبارد في جزيرة صقلية طوال الفترة النورمانية ، وما إن انتهى القرن الثاني عشر الميلادي حتى كانت هنالك مستوطنات لمباردية كبيرة في بشيرة وبلازا (Plazza) والرنداج (Randazo) وفيكاري (Vicari) وكابيتزي (Capizzi) ونيقوسية (Nicosia) ومانياتشي (Mamiaci) . وقد اقترفت هذه المستوطنات كل ضروب الوحشية ضد المسلمين^(٩) . كما حدثت هجرة إلى الجزيرة من قبل تجار البندقية وجنوة وملف (Amalfi) وعناصر أخرى من جميع أنحاء إيطاليا ، واستمرت هذه الهجرة طوال القرن الثالث عشر الميلادي^(١٠) . ومع الزمن ، أدت هذه الهجرة إلى فقدان العرب الكامل لممتلكاتهم من الأراضي التي آلت ملكيتها الآن إلى الكنيسة ورجال الدين والنبلاء الإقطاعيين والمزارعين النصارى . وقد تأقلمت النخبة من الإقطاعيين النورمان بسهولة في منطقة المزارع الواسعة الخاصة بزراعة القمح ، في حين إن البساتين والجنان في بعض المناطق حلت محلها المراعى الواسعة التي استحوذت عليها الطبقة الأرستوقراطية الجديدة والأديرة^(١١) .

واستمر نظام الرقيق في عهد النورمان ، إلا أن معظم الرقيق أصبحوا الآن من المسلمين . وفي وثيقة بالعربية ترجع إلى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ، يرد ذكر العبيد ، ولعل ذلك إشارة إلى العبيد السود^(١٢) . وكان الأسرى المسلمون الذين وقعوا في يد رجار الأول أثناء فتح صقلية قد أرسلوا إلى إيطاليا وبيعوا عبيداً هناك^(١٣) . أما رجال الجرائد المسلمون الكادحون في الأرض ، والذين يُشار إليهم في الوثائق اللاتينية باسم (servi glebae) ، فكان وضعهم شبيهاً بوضع الرقيق . وكان هذا الوضع يرثه الأبناء عن الآباء . ولم يتمتع رجال الجرائد هؤلاء بالحرية الشخصية ، وكانوا مضطرين إلى تأدية

الخدمة العسكرية حينما يُطلب إليهم ذلك ، كما كانوا يخضعون لنظام السخرة في العمل (١٤) .

وفي مقابل رجال الجرائد (villeins) ، كان ثمة الأفاضل (homines) ، وكانوا أحراراً ، لهم الحق في امتلاك أرضهم امتلاكاً حراً ودائماً . وبخلاف رجال الجرائد ، كانت لهم حرية التصرف بممتلكاتهم كما يشاؤون . وكان بعض كبار الأفاضل المعروفين باسم (boni homines) من المسلمين ، ومن بينهم موظفون مدنيون يختصون بشؤون الهبات والوصايا والبيع والعقود الخ ، وكانوا يساعدون القضاة والموثقين ، كما كانوا في بعض الأحيان يتولون التحكميم بين الأطراف المتخاصمة (١٥) .

وأثناء حكم رجار الثاني ، استمر العمل بالسياسات التي بدأها والده ، بما في ذلك السياسة العسكرية الخاصة بالاستفادة من المسلمين في الجيش إلى أبعد حد . وأثناء معظم فترة حكمه ، كان تنصير الجنود المسلمين عملاً لا يلقى التشجيع ، إذ إنهم كانوا أكثر نفعاً كمسلمين في حروبه في إيطاليا . وكان الجنود المسلمون لا يزالون يحتفظون بشئ من نظام الجند العربي وتشكيله ، وكان منهم المشاة والرماة من على ظهور الخيل (١٦) .

وتميّز الجانب الأكبر من فترة حكم رجار الثاني بالتسامح تجاه المسلمين ، فقد لعبوا دوراً بارزاً في الإدارة ، وأعطوا صبغةً لطابع الثقافة النورمانية الجديدة في صقلية . إلا أن كل ذلك تبدّل في أواخر أيام حكمه . ففي نهاية سنة ١١٥٣ م ، دشّن سياسة قائمة على الاضطهاد الديني . أما أسباب هذا النقص للسياسة الدينية فكانت عديدة ، بعضها شخصي ك وفاة ثلاثة من أبنائه خلال فترة تسع سنوات ، وسوء حالته الصحية ، والبعض الآخر سياسي كقيام الأمبراطور البيزنطي منويل كومنينوس (Comnenus) بالحشد والتعبئة في منطقة البحر الأدرياتيكي ، وظهور الموحدين في شمال إفريقيا كقوة يُحسب حسابها ، وكان لهذا العامل الأخير تأثير كبير على وضع المسلمين في الجزيرة . ففي السنوات الأخيرة من حكمه ، انتهج رجار الثاني سياسة ترمي إلى تنصير المسلمين واليهود (١٧) .

ويمكن أن تُعزى معاملة البارونات النورمان للمسلمين خلال فترة حكم وليام الأول جزئياً إلى التعصب الاجتماعي (١٨) . ومع أن المسلمين ظلّوا على ولائهم للملك ، إلا أنهم اضطُروا إلى دفع ثمن انتصار الموحدين في المهديّة ، بأن جرّدوا من

السلاح في بلرم . ولما تمَّ تجريدهم من السلاح ، وقعوا فريسةً سهلة لسخط البارونات النورمان واللمبارد في سنة ١١٦١ م ، حينما لقي بعض خصيان القصر والموظفين المسلمين مصرعهم . وقام مسلمو بلرم بتحسين أنفسهم في رِيضهم من المدينة ، إلا أنهم تكبّدوا خسائر فادحة جدا (١٩) . لا بل إن حظ المسلمين في المناطق الريفية أثناء ثورة البارونات هذه كان أسوأ من ذلك . وللنجاة من هذه المذابح ، لجأ الكثيرون من المسلمين إلى الاعتصام بالغابات والجبال أو إلى مدن الجنوب حيث كان ما تزال توجد تجمّعات كبيرة من إخوانهم في الدين (٢٠) . ومن ناحية أخرى ، كان لا يزال يوجد عدد كبير من المسلمين في جيش وليام الأول الذي تمكّن في نهاية الأمر من قمع الثورة .

وخلال الفترة التي سبقت بلوغ وليام الثاني سن الرشد ، وبينما كانت والدته الملكة مارغريت وصيةً على العرش ، تلقّى المستشار في سنة ١١٦٧ م شكوى من عناصر نصرانية في بلرم مفادها أن مسلمين عديدين ممّن تنصّروا وكانوا يشغلون مناصب هامة ويحظون بحماية فتيان القصر ، قد ارتدّوا إلى دينهم الأصلي . وكان الشخص الرئيسي الذي وُجّهت إليه هذه التهمة ، هو روبرت كالاتابويانو (Robert of Calataboiano) الذي اتّهم بأنه ، بالتواطؤ مع غيره من المسلمين ، كان له علاقات غرامية مع نساء وصبيان من النصارى . وبالرغم من شفاعة الملكة الوصية على العرش ، اضطر المستشار إلى المضي في محاكمة المتهمين بالارتداد عن العقيدة وبارتكاب الزنا ، وتمّت معاقبتهم بما أَرْضَى سكان العاصمة النصارى ، وخصوصا المستوطنين اللمبارد منهم (٢١) .

وقد قام الرحالة الأندلسي ابن جبير بزيارة صقلية في سنة ٥٨٠هـ/١١٨٥ م ، خلال حكم وليام الثاني ، وروايته تلقي ضوءاً هاماً على وضع الجماعة الإسلامية في تلك المرحلة من تاريخ الجزيرة . فقد تأرجحتُ معاملة المسلمين بين التسامح والريبة . ففي البلاط ، كان الخصيان ، سواء أكانوا مسلمين ، أو مسلمين كاتمين لإيمانهم ، أو مسلمين اعتنقوا النصرانية نوعاً ما ، يحظون بثقة الملك ، وكثيراً ما كان يُعهد إليهم بمناصب سامية في إدارة الدولة (٢٢) . وكان بعض الفتيان المنتصرين يؤدّون الصلوات الإسلامية سرّاً (٢٣) . وبما يسترعى الانتباه ، أن بعضهم اختار أن يكتُم إسلامه . وكان اسمُ الشخص الكاتم للإسلام والذي زُوّد

ابن جبير بالمعلومات عبد المسيح . وكانت صلاة الجمعة محظورة عليهم « ويصلون الأعياد بخطبة دعاؤهم فيها للعباسي » (٢٤) .

وفي بلرم ، كان ما يزال للمسلمين عدة مساجد وأسواقهم الخاصة بهم . « ولهم أرباض قد انفردوا فيها بسكناهم عن النصارى . والأسواق معمورة بهم ، وهم التجار فيها . . . وأما المساجد فكثيرة لا تُحصى ، وأكثرها محاضر لمعلمي القرآن » . وبالجملة فإن عامة المسلمين كانوا ينظرون إلى الموظفين المسلمين في خدمة النورمان نظرة شك وارتباب ، وكانوا يتحاشونهم . وكان المسلمون في بلرم لا يشعرون بالاطمئنان على أموالهم وأعراضهم ومستقبل أبنائهم (٢٥) .

وكان يوجد مسلمون في القرى والمزارع ، وفي عدة مدن كسرقوسة وجفلوذي . وللمسلمين في مدينة ثرمة (Therma) ريف كبير ، لهم فيه المساجد . وكان في قصر سعد (Solanto) ، على فرسخ من بلرم ، قبور كثيرة لصالحاء المسلمين من أهل الزهادة والورع ، والقصر المذكور موصوف بالفضل والبركة مقصود من كل مكان . وبأزائه عين تُعرف بعين الجنونة ارتبطت في أذهان الناس ببعض المزايا الروحية أو الدينية . ويقول ابن جبير انه يوجد في أعلى قصر سعد « مسجد من أحسن مساجد الدنيا بها » ، فبنا في هذا المسجد أحسن مبيت وأطيبه ، وسمعنا الأذان وكنا قد طال عهدنا بسماعه . . وكانت علقمة (Alcamo) ، في منتصف الطريق بين بلرم وأطرابنش (Trapani) ، وبلدة كبيرة فيها السوق والمساجد ، وسكانها وسكان الضياع في الطريق من بلرم إلى أطرابنش كلها مسلمون (٢٧) . وبالقرب من مسينة ، كان المسلمون يعيشون في ممتلكاتهم ومزارعهم ويلقون معاملة حسنة من جيرانهم النصارى ، أما في مدينة مسينة ذاتها فليس فيها « من المسلمين إلا نفر يسير من ذوى المِهْن ، ولذلك يستوحش بها المسلم الغريب » (٢٧) . ويبدو أن أحوال المسلمين في مختلف مدن صقلية أثناء فترة حكم وليام الثاني ، التي سادها السلام والتسامح ، كانت مُرضية وإن لم تكن آمنة تماماً . فكان المسلمون يعيشون في أرباضهم ويتولّى إدارة شؤونهم قوادهم أو قضاتهم ، وكانوا يمارسون عبادتهم في مساجدهم (٢٨) .

ومع ذلك ، وحتى في العهد الرحيم للملك وليام الثاني ، كان المسلمون في صقلية يشعرون بالخوف من المصير المقبل لجماعتهم في صقلية . وكما يقول ابن جبير فإن « أهل النظر في العواقب منهم يخافون أن يتفق على جميعهم ما اتفق على أهل جزيرة

إقريطش [كريت] من المسلمين في المدة السالفة ، فإنه لم تزل بهم الملكة الطاغية من النصارى والاستدراج الشئ بعد الشئ ، حالاً بعد حال ، حتى اضطروا إلى التنصر عن آخرهم ، وفر منهم من قضي الله بنجاته . وكانت طبقة المثقفين المسلمين في صقلية ترى أن الحل الوحيد لمشاكلها هو الهجرة إلى بلاد المسلمين . وكان يرى أن من الأفضل تزويج البنات من زائرين أو مسافرين من بلدان إسلامية أخرى . وكانت أطرابنش [في الطرف الغربي من الجزيرة] الميناء الرئيسي لهجرة المسلمين إلى الأندلس وشمال إفريقيا (٢٩) .

وحتى وليام الثاني ، كان يرغم أحياناً زعيماً مسلماً على التخلي عن دينه . كما أن الموظفين النورمان كانوا أحياناً يُجبرون فقياً كاهن زرعة على اعتناق النصرانية . وفي بعض الأحيان ، كان قائد كاي القاسم بن حمود يُتهم بمخاطبة الموحدين ، فيتعرض للاضطهاد ومصادرة الأموال . وتعرضت الأسر المسلمة المبينة على سلطة الأبوين للتفسيخ والانحلال ، نتيجةً للمغريات نحو التنصر فضلاً عن الضغوط لهذا الغرض . « ومن أعظم ما مُني به أهل هذه الجزيرة أن الرجل ربما غضب على ابنه أو على زوجه . . . فتلحق المغضوب عليه أنفة تؤديه إلى التطارح في الكنيسة فيتنصر ويتعمد » (٣٠) . وفي حين أن تنصر أهل الجرائد (villeins) في الأرياف كان عملية مباشرة ، فإن التنصر في المدن كان يتم من القمة إلى القاعدة . فتنصر قائد أو زعيم مسلم كان يمكن أن يعقبه تنصر آخريين ممن هم تحت سلطته أو نفوذه (٣١) . وبمقتضي قرار أصدره البابا اسكندر الثالث ووجهه إلى رئيس أساقفة بلرم ، فإن المسلم الذي يُتهم باغتصاب امرأة نصرانية كان يُغرم أو يُضرب . أما النصارى فكانوا لا يتعرضون للعقاب حيناً يلقون القبض على نساء المسلمين وأولادهم وبناتهم بحجة تنصيرهم ، وكانوا يبتزون مبالغ كبيرة من المال على سبيل الغرامات التي يفرضونها على أثرياء المسلمين (٣٢) .

وفي نهاية الأمر ، أدى تسامح أسرة هوتيفيل (Hauteville) الحاكمة إلى رد فعل قوى من التعصب بين النصارى في الجزيرة . وبعد خمس سنوات من زيارة ابن جبير ، كانت الخريطة العرقية والسكانية للجزيرة قد طرأ عليها تغير كبير ، لا أمل في تبديله ، على حساب المسلمين . وفي أعمال الشغب التي وقعت في سنة ١١٨٩ م ، كان العنصر المسلم من السكان هدفاً واضحاً ، نظراً لاختلاف زى المسلمين وعاداتهم

وديانهم . وكان ما يزال لبعض المسلمين ممتلكات واسعة ، أو كانوا يشغلون مناصب ذات نفوذ في جهاز الدولة . « إن هؤلاء المواطنين المختلفين عن بقية سكان الجزيرة ، كان من المرجح أن يصبحوا كبش الفداء في أية لحظة تحدث فيها أزمة سياسية أو اقتصادية (٣٣) .

وخلال الفترة التي سادت فيها الفوضى العامة ما بين سنتي ١١٨٩ و ١١٩٤ م ، أصبح الوضع بالنسبة للمسلمين في صقلية حرجاً جدياً . ولم يكن تانكريد يتحلى بما تحلى به أسلافه من تسامح وكياسة . وكان تانكريد في سنة ١١٦٠ م ، قبل مدة طويلة من ارتقائه العرش ، قد قاد بنفسه غارات إبادة ضد المسلمين في مدينة بثرية (Butera) (٣٤) .

وقبل أن يتمكن تانكريد من تدعيم مركزه ، وقعت مذبحة للمسلمين في بلرم في سنة ١١٨٩ م ، ولجأ الباقون على قيد الحياة منهم إلى الجبال الواقعة في الطرف الشمالي الغربي من الجزيرة حيث أعلنوا الثورة ، وقُدِّرَ عددهم بحوالى مائة ألف بما فيهم النساء . وقد نظَّم الثائرون أنفسهم بزعامة خمسة رؤساء ، واستمرت الثورة من أواخر سنة ١١٨٥ هـ / ١١٨٩ م حتى شهر رمضان من سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م . ثم ، باللجوء إلى القوه تارة وإلى الإقناع تارة أخرى ، أُجبر معظم مسلمي بلرم على العودة إلى منازلهم ، كما أُجبر رجال الجرائد (villeins) ، الذين كانوا قد انضموا إليهم ، بالعودة إلى عبيديتهم للسادة الإقطاعيين . وفي سنة ١١٩٠ م ، لما أدرك الثائرون المسلمون أن مركز تانكريد قد توطَّد وقرروا الاستسلام له ، لا بد أن أيام وجود المسلمين في الجزيرة بدت معدودة . وانتهت عندئذ فترة الجمع بين العناصر في جهاز الدولة . إن الوثائق التي وصلتنا باللغة العربية من عهد رجار الأول وعهد رجار الثاني تساوى في عددها الوثائق التي وصلتنا باللغتين اليونانية أو اللاتينية . أما بالنسبة لعهد وليام الأول ، فإنها انخفضت فأصبحت بنسبة وثيقة واحدة إلى سبع وثائق ، وبالنسبة لعهد وليام الثاني أصبحت النسبة وثيقة واحدة إلى عشر وثائق ، وأما في فترة حكم تانكريد القصيرة فإننا نجد أن جميع الوثائق باللغة اللاتينية (٣٥) . وبالتدرّج تبدّد السكان المسلمون الباقون في بلرم وغيرها من المدن ، إما نتيجة للهجرة إلى الخارج إلى بلاد المسلمين ، وإما نتيجة للتنصير ، مع أنه لا بد أن بعض الأفراد المسلمين بقوا في بلرم ، وإليهم يُمكن أن تُعزى معرفة فردريك الثاني باللغة العربية والثقافة

العربية^(٣٦) . وفي المثلث الذى يتكوّن من إقليم مازر ظلّ عددٌ لا يُستهان به من المسلمين في حالة عبودية كطبعة اجتماعية دنيا . وفي سنة ١١٩٩ م ، وجّه البابا إنوسنت الثالث إلى مسلمى صقلية خطاباً وعظاً وإقناعاً . كما وجّه البابا خطاباً مماثلاً آخر في سنة ١٢٠٨ م^(٣٧) .

ولما ضعفت سلطة الملك في أواخر الفترة النورمانية ، أصبح بقاء الإسلام في صقلية أمراً صعباً ، لأن طبقة الإقطاعيين التي احتفظت بالسيادة على من تبقى من السكان المسلمين تحالفت مع الكنيسة الكاثوليكية ، التي اعتبرت التنصير بدورها عملاً دينياً صالحاً^(٣٨) . أما أولئك الأفراد من نخبة المسلمين الذين قاوموا التنصير فإنهم اختاروا الرحيل عن الجزيرة . وكانت هجرة المسلمين من صقلية إلى شمال إفريقيا والأندلس والمشرق قد بدأت في سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٨ م ، واستمرت طوال فترة الفتح النورماني . وبعد فترة قصيرة من الركود ، ازدادت الهجرة بعد أعمال القمع التي حدثت في سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣ م ، وإثر المذابح التي وقعت في سنة ٥٥٦هـ / ٦٠ — ١٦٦١ م ، وتواصلت في عهد وليام الثاني . وازداد الوضع حدة على أثر المذابح والثورة في سنة ٥٨٥هـ / ٨٩ — ١١٩٠ م .

الفصل التاسع

النشاط الفكري العربي أثناء الفترة النورمانية

كان التيار الفكري العربي قد انتقل إلى صقلية من شمال إفريقيا والأندلس ، وبعد الفتح النورماني للجزيرة عاد فانتقل من صقلية إلى البلاد الإسلامية طالما استمرت هجرة علماء صقلية وشعرائها إليها . إلا أن العديد من علماء صقلية وشعرائها اختاروا البقاء في الجزيرة ، وحظى بعضهم ، بما فيهم الشريف الإدريسي الشهير ، برعاية النورمان .

ومع أن العلوم الفكرية التقليدية ، بخلاف العلوم الطبيعية والفلسفية ، ضعفت بين المسلمين أثناء الفترة النورمانية ، إلا أن تقاليدھا استمرت زمناً ما . وينبغي التمييز بين المُقرئ والنحوي الصقلّي الشهير عبد الرحمن بن عتيق المعروف بابن الفحام (ت سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م) وبين سمّيّه الشاعر عبد الرحمن بن أبي بكر السرقوسي^(١) . وقد رحل ابن الفحام إلى مصر ، حيث اعتُبر حجةً في علم القراءات . وأشهر مصنفاته عن دراسة القرآن الكريم وعن الأحاديث النبوية الشريفة كتاب (التجريد في بُغية المريد) وكتاب (مفردات يعقوب)^(٢) . وكان تلميذ ابن الفحام ، عثمان بن علي [بن عمر السرقوسي ، نحويًا وعالمًا بفقہ اللغة] . كما أن عالمًا صقلّيًا آخر هو أبو عبد الله محمد ألف تبسيطاً منظوماً لآيات القرآن الكريم^(٣) .

وأشهر علماء الدين والأخلاق في العهد النورماني ابن ظفر (أبو عبد الله ابن أبي محمد) المنعوت بحجة الدين وبرهان الإسلام . وهو إما من أصل صقلّي وإما من مكة المكرمة وقد زائراً على صقلية . كما ألف في النحو وفقه اللغة [وكان أعلم باللغة من النحو] . وأشهر مؤلفاته (سلوان المطاع [في عدوان الطباع]) ، صنفه لبعض القواد في صقلية ، وقد تُرجم الكتاب إلى اللغات الإنجليزية والإيطالية والتركية^(٤) . والكتاب من النوع الأدبي المعروف بمرايا الأمراء (Mirrors of Princes) ، ويقع في خمسة أجزاء ، وأسلوبه شبيه بأسلوب كتاب (كليلة ودمنة) . ويُنسب إلى ابن ظفر ما مجموعه اثنان وثلاثون مؤلفاً ، وصلنا عشرة منها بما

في ذلك تفسير للقرآن الكريم . وقد جال ابن ظفر في أقطار المغرب واستقر به المطاف في بلاغ الشام . وتوفي فيها سنة ٥٦٥هـ / ١١٧٠ م^(٥) .

ومن بين علماء القرآن الكريم الآخرين أبو طاهر الصقلي ، وهو نحوي ومُقرئ وصاحب (العنوان في القراءات) وكان محمد بن أبي الفرج من مازر (ت سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٦ م) عالماً بالقراءات وفي نحو اللغة العربية وصرفها . وقد انتقل إلى القيروان ودرّس فيها . ويُحتمل أن يكون قد استقر فيها^(٦) .

ومن أشهر المحدثين في هذه الفترة محمد بن علي التيمي المازري (ت سنة ٥٣٦هـ / ١١٤٢ م) وكان كذلك عالماً ذائع الصيت في الفقه المالكي وعلم الكلام ، وكان قد درّس في المهديّة . وأشهر مؤلفاته (كتاب المُعلّم) وهو شرح لصحيح مسلم^(٧) . وقد أدى هذا الشرح إلى ظهور عدد من الشروح الأخرى لصحيح مسلم . ومن مؤلفاته الأخرى شرح الأحاديث النبوية الشريفة التي جمعها الجوزقي . وقد ذُكر أن ابن تومرت المهدي ، مؤسس حركة الموحدين ، كان من بين تلاميذه^(٨) .

ومن بين المحدثين الصقليين الآخرين في هذه الفترة أبو الحسن علي الذي ولّى القضاء بمكة المكرمة ، وهو ممّن روى عنه السمعاني^(٩) ، وأبو بكر بن محمد الذي درّس الحديث في الحجاز ، وعاش بعض الوقت في غرناطة ، وتوفي في مصر في سنة ١٠٨٠ م . وابن الباجي (ت سنة ١٢٠١ م) المحدث والفقيه المالكي ، وعبد الكريم بن يحيى الذي كان أيضاً نحويّاً ، وكثيرون غيرهم هاجروا إلى أقطار إسلاميّة أخرى . كما أن عدداً من الفتيان ، ولعلهم ممّن كانوا يعملون في البلاط النورماني ، درسوا الأحاديث النبوية الشريفة والعلوم الدينية الأخرى .

كما أن عدة فقهاء صقليين هاجروا إلى أقطار إسلاميّة أخرى . فابن مكّي (أبو حفص عمر بن خلف) ، الفقيه واللغوي ومن تلاميذ ابن البر ، كان قاضياً في صقلية ، وهاجر إلى تونس عند بداية الفتح النورماني . وإليه يُنسب كتاب (تثقيف اللسان) ، ومنه يتبيّن أن اللهجة السائدة في صقلية في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي كانت لهجة مغربيّة^(١٠) . ودرّس الفقه المالكيّ في صقلية أبو بكر محمد بن حسن الرباعي ، إلا أنه ارتحل بعد ذلك إلى إفريقية ومصر ، وتوفي في سنة ١١٤٢ م . وثمة فقيه آخر هو أبو عمر عثمان بن حجاج (ت

سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م) من مدينة الشاقّة (Sciacca) في صقلية ، استقرّ في
الأسكندرية ، وترك عدة مصنفات في الفقه المالكي ^(١١) .

وفي فترة حكم النورمان للجزيرة ، نشطت العلوم الفلسفية والطبيعية ، ولقيت
رعاية خاصة من ملوك النورمان . وكانت هذه الحقيقة معروفة في المشرق الإسلامي ،
إذ يُشيد المؤرخون العرب برجار الثاني لمعرفته بالعلوم ورعايته لها ^(١٢) . ويذكر
الأدريسي أن رجار الثاني لم يُول اهتمامه بالعلوم العملية كالرياضيات والإدارة العامة
فحسب ، بل اهتم كثيراً أيضاً بالجغرافيا كعلم يزود المرء بمعلومات عن البلدان وغلاتها
وسكانها ^(١٣) .

وقد ألف الشريف الأدريسي كتاباً (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) عن
جغرافية العالم بأمر من رجار الثاني وتحت رعايته ، ولهذا السبب فإن الكتاب يُعرف
أيضاً بالكتاب الرّجاري . وكان الكتاب شرحاً لدائرة فضية كبيرة للعالم أعدّها
المؤلف نفسه ، وفرغ من تصنيف الكتاب في شوال سنة ٥٤٨هـ/العشر الأول من
يناير سنة ١١٥٤م ، وقد استغرق تأليفه للكتاب خمس عشرة سنة . ومما يسترعى
الانتباه أنه بخلاف المثقفين المسلمين الصقلّيين الذين هاجروا إلى شمال إفريقيا
والأندلس ، فإن الأدريسي ، وهو عربي أندلسي المولد ، اكتسب خبرة واسعة من
رحلاته في شمال إفريقيا [والأندلس والمشرق] ، قرر أن يستقر في البلاط النصراني
في صقلية ^(١٤) . كما وضع الأدريسي مصنفًا جغرافيًا آخر للملك وليام الأول ^(١٥) .
وكان رجار الثاني يؤمن كذلك بالتنجيم وقراءة الطالع ^(١٦) . وكان المنجمون
المسلمون في صقلية النورمانية ، كما كان الحال في بقية العالم العربي ، يخلطون بين علم
الفلك والتنجيم . إلا أنه كان ما يزال يوجد منجمون مرموقون ، من بينهم محمد بن
عيسى بن عبد المؤمن الذي كان كذلك عالماً هندسياً ^(١٧) . وقد وصل إلينا
اصطرابان من فترة حكم النورمان للجزيرة .

وبالنسبة لمعظم الأدباء وفقهاء اللغة وأصحاب الدواوين والنحويين والشعراء ،
فإنه لم يتوفر لهم في صقلية النورمانية الحافز الفكري ولا أمان العيش ولا المستقبل ،
فارتحل معظمهم عن الجزيرة . وأشهر هذه الفئة المهاجرة من المثقفين ابن القطّاع
[علي بن جعفر بن علي الشنتريني السعدي الصقلّي المولد المصري الدار والوفاء] (ت

٥١٥/١١٢١ م) ، الذي وُلد أثناء فترة الحرب الأهلية الكلبية من أسرة من كبار العلماء كانت قد هاجرت إلى صقلية من البرتغال [من مدينة شنترين على نهر تاجه بغرب الأندلس] ^(١٨) . وقد بدأ دراساته في فقه اللغة والنحو في صقلية ، وقرأ على العالم الشهير ابن البر. ولما أشرف النورمان على تملك صقلية ، رحل ابن القطاع عنها أولاً إلى الأندلس ثم إلى إفريقية ، واستقر آخر الأمر بمصر حيث تولى بعض الوقت تأديب أبناء الوزير الفاطمي بدر الجمالي ^(١٩) . وفي مصر ، درّس ابن القطاع علم العروض والنحو وعلم اللغة . وقد ضاعت معظم مؤلفاته بما فيها تاريخ عن صقلية وملاحظات على كتب الحديث الستة وعدة مؤلفات أخرى ^(٢٠) . ولم يصلنا سوى نُسْخ من ديوانه العظيم القيمة عن شعراء صقلية العرب ، الموسوم بكتاب (الدرّة الخطيرة من شعراء الجزيرة) ^(٢١) . والمجموع يتضمّن منتخبات من نظم الشعراء وبعض التراجم ، وقد ذكره أواقبس منه أصحاب المجموعات والدواوين من بعده كالجماد الأصفهاني الكاتب ، في (خريدة القصر) ^(٢٢) . كما وصلنا شرح ابن القطاع لبعض قصائد المتنبي ^(٢٣) ، وكذلك بعض مؤلفاته الأخرى .

وثمة ابن بشرون (عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن جعفر بن بشرون) وأصله من إفريقية ، وقد جمع ديواناً آخر من الشعر [المختار في النظم والنشر لأفاضل أهل العصر] ، وله كذلك كتاب في الكيمياء ^(٢٤) ، وقد شغل منصبا مسؤولاً في جهاز الدولة النورمانية . وكان أشهر فقهاء اللغة العرب في الفترة النورمانية ابن المعلم (علي بن إبراهيم) الذي « أجاد النحو واللغة وقرأ الطب وكان له خط حسن » ^(٢٥) . وسجن رجار الأول النحويّ أبا حفص عمر بن حسن الذي مدحه ، أملاً في أن يُفرج عنه ، بقصيدة وصلتنا بعض أبياتها ^(٢٦) وكان محمد بن أبي الفرج الكتاني [المعروف بالذكي] (٢٧٥٨/٨١١١ ت) عالماً بارزاً آخر بالنحو واللغة وسائر فنون الأدب ^(٢٧) .

ومعظم ما وصلنا من الشعر العربي الصقلّيّ نظمه في الفترة النورمانية شعراء هاجروا من الجزيرة ، إلا أن بعضهم بقي فيها ونظم القصائد في مدح ملوك النورمان ^(٢٨) .

وأثناء فترة الفتح النورماني وبعدها ، هاجر كثير من شعراء صقلية إلى الأندلس البعيدة نسبياً ، لكنها قريبة ثقافياً من صقلية ، وكانت آنذاك تحت حكم ملوك

الطوائف الذين جاءوا إلى الحكم في أعقاب سقوط الخلافة الأموية بقرطبة . وحظى الشعراء برعاية هؤلاء الملوك الذين لمعت أسماء بعضهم [في ميدان الأدب] كالمعتمد صاحب اشبيلية والمعتصم صاحب المرية ^(٢٩) . ومن بين الشعراء النازحين مصعب بن محمد القرشي [المعروف بأبي العرب الصقلّي] ، وُلد في صقلية سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣٢ م ، وهو شاعر كان له تأثير على معاصريه من الشعراء الأصغر منه سناً ، وقد التحق ببلاط المعتمد بن عباد ^(٣٠) . ورحل عن الجزيرة شاعر صقلّي آخر هو أبو سعيد عثمان ابن عتيق ، والتحق في الأندلس ببلاط المعتصم بن صمادح [صاحب المرية] ^(٣١) .

وأشهر شعراء صقلية العرب الذين اختاروا الرحيل عن الجزيرة إطلاقاً هو ابن حمديس (عبد الجبار أبو محمد بن أبي بكر الأزدي) ^(٣٢) . وقد وُلد في سرقوسة في سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥ م على ما يُحتمل ، وقضى أيام شبابه في تلك المدينة . ولعله شارك في الجهاد ضد الغزاة النورمان أثناء افتتاح الجزيرة . ثم غادر صقلية إلى الأندلس في سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨ م والتحق ببلاط المعتمد بن عباد في اشبيلية . ومع أنّ من المستبعد أن يكون ابن حمديس قد شارك شخصياً في وقعة الزلاقة [سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦ م] التي أوقع فيها المعتمد وحليفه القويّ المرابطي يوسف بن تاشفين الهزيمة بأدفونش / ألفونس السادس صاحب قشتالة ، إلا أنه أشاد بالنصر في قصيدة مدح فيها المعتمد بن عباد . ولما خلَعَ السلطان المرابطي ملوك الطوائف بما فيهم المعتمد بن عباد ، فقد ابن حمديس راعيه إذ لم يكن للشعراء ، في تلك المرحلة على الأقل ، مكان في بلاط المرابطين الصارم . فرحل ابن حمديس عن الأندلس إلى شمال إفريقيا ، مجرباً حظه أولاً في بلاط أمراء بني زيري في المهدية ، ثم في بلاط [أبناء عمومتهم] أمراء بني حماد في بجاية . وهناك نظم قصيدة أشاد فيها بانتصار المسلمين على قوة بحرية تابعة لرجار الثاني بالقرب من رأس الديماس سنة ٥١٧هـ / ١١٢٣ م . وتوحي قصيدة له في مديح صاحب جزيرة ميورقة ، بأن ابن حمديس قد يكون قضى في تلك الجزيرة السنوات الأخيرة من حياته قبل وفاته في سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٣ م ^(٣٣) . وفي هذه السنوات في المنفى ، كان ابن حمديس يذكر بشوق وحنين عميقين المناظر الطبيعية والحياة في مسقط رأسه صقلية ، ويتأسى لحنة المسلمين في الجزيرة .

ويستعمل ابن حمديس عبارات نادرة في مفرداته ، وقد لوحظ تأثير المتنبي على أسلوبه . وفي الأندلس لم يلجأ إلى الموشح أو الزجل ، اللذين أجادهما معاصره ابن قزمان ، ولكنه أصبح على اتصال بأغراض الشعر الأندلسي وأشكاله . ولا بد أن ابن حمديس كان على بعض الاتصال بالشعر الأندلسي في أيام شبابه في صقلية ، إذ إن تأثير الشعر العربي الأندلسي كان قد وصل إلى صقلية من شمال إفريقيا . والحيوية الحقيقية لنظمه لا يجدها المرء في فيض مشاعره في ميدان الغزل ، بل في وصفه الدقيق للتفاصيل ، وفي مفرداته التصويرية وتلاعبه في الصورة الخيالية ، وفي ميله إلى استعمال المحسنات (٣٤) .

وقد لاحظ جابريلي أن ابن حمديس وغيره من شعراء صقلية العرب في وصفهم للقصور والآثار الباقية وغيرها من المواضيع الفنية ينحون تماماً منحى الشعراء العباسيين . وتطغى التعابير البيانية الجزلة الجزلة على الجوانب الوصفية . ويتجلى ذلك في وصف ابن حمديس لقصور بني عباد وبني حماد (٣٥) .

وبينا اختار معظم شعراء صقلية العرب العيش في المنفى ، بقي بعضهم في الجزيرة أملاً في أن يظفروا برعاية ملوك النورمان ، ونظموا القصائد تمجيداً لهؤلاء الملوك ومدحاً لقصورهم ومنتزهاتهم . فعبد الرحمن بن أبي العباس الأطرابنشي نظم قصيدة في مدح قصر الفؤارة (Favara) (٣٦) . كما أن سميّه عبد الرحمن بن محمد البشير ، الذي كان من حاملي القرآن ، نظم قصائد يمدح فيها صقلية ، وقصور رجار الثاني ومنتزهاته وجنانه (٣٧) . وكان عبد الرحمن بن رمضان مادحاً لنفس الملك (٣٨) . كما امتدح النحوى أبو حفص عمر بن حسن رجار الثاني في قصائده (٣٩) . ونظم أبو الضوء سراج بن أحمد قصيدة رثى فيها أحد أبناء رجار .

وفي مقابل الهجرة من صقلية ، نجد هجرة أو زيارة إلى صقلية النورمانية من جانب بعض الشعراء والمثقفين من شمال إفريقيا . ومن الزائرين البارزين للجزيرة ابن قلاقس ، الذي زار صقلية في سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٩ م ، ومكث فيها أكثر من عام . وفي صقلية ، حظي برعاية القائد ابن حجر [أبي القاسم بن الحجر بن حمود] ووضع في تمجيده كتاب [الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم] ، كما نظم عدة قصائد في مدحيه . وقد ترك لنا ابن قلاقس وصفا لإقامته في مدن صقلية مختلفة ،

ومن بين رسائله التي لم تُشتر رسالة موجهة إلى جردان (Giordano) أحد وزراء وليام الثاني (٤٠) .

كما التحق بالبلاط النورماني عدد من صغار الشعراء العرب ، من بينهم [أبو الفضل بن جعفر] بن البرون ، وعبد العزيز بن حسين . وقد ادَّعى الأخير نسباً أغلياً ، واختار آخر الأمر الهجرة إلى مصر ، حيث شغل منصباً ناجحاً في البلاط الفاطمي ، وتوفي في سنة ١١٦٥/٥٥٦٠ م .

الفصل العاشر

فردريك الثاني والمسلمون

بافتتاح الإمبراطور الألماني هنري السادس لصقلية في سنة ١١٩٤ م ، انتهت الحقبة النورمانية في تاريخ الجزيرة ، وبدأت الحقبة السوابية (Swabian) ^(١) . ومع أن المسلمين واليهود في الجزيرة كانوا قد خضعوا له ، إلا أن المسلمين ثاروا عند وفاته في سنة ١١٩٧ م . وباختفاء الخصيان من البلاط النورماني ، فقد المسلمون من سكان المدن ومن أهل الجرائد (villeins) في الأرياف الجماعة الوحيدة المناصرة لهم من أصحاب النفوذ ، وأصبحوا الآن تماماً تحت رحمة البارونات والرؤساء الإقطاعيين النصارى . والضرائب التي فرضت لدعم الحرب الصليبية التي نادى بها البابا إنوسنت الثالث أحدثت استياءً كبيراً بين المسلمين في صقلية ^(٢) . وفي الظروف المضطربة التي تلت موت هنري السادس ، جابت الجزيرة جماعات من المسلمين للاستيلاء على ما تستطيع الاستيلاء عليه ، ولما استفحلت ثورتهم ، تمكّنوا من الاستيلاء على بعض القرى والحصون ^(٣) .

وقد تمّ في بلرم في سنة ١١٩٨ م تنويجُ أرملة هنري السادس الملكة كونستانسا ، وهي صقلية المولدة ، مع ابنها فردريك الثاني الذي كان يناهز السنة الثالثة من العمر . وبعد وفاة الملكة في أواخر ذلك العام ، تولّى البابا إنوسنت الثالث الوصاية على فردريك . وقد تأثر فردريك في مرحلة طفولته وصباه بعض الشيء باللغة العربية والثقافة الإسلامية . ويُستنتج من ذلك أنه حتى بعد قمع ثورة المسلمين سنة ١١٨٩/٥٨٥ - ١١٩٠ م ، والهجرة التي تلتها إلى الخارج ، ظلّت بقية من المسلمين في بلرم ، وكانت من الأهمية الثقافية بحيث كان لها تأثير على فردريك في صباه . وتؤكد المصادر الغربية أن فردريك كان يستطيع فهم العربية والتحدث بها ، وأما المصادر الشرقية فلا تذكر شيئاً عن هذا الموضوع ^(٤) .

واستمرت الفوضى والحرب الأهلية في صقلية أثناء فترة طفولة فردريك . وكان الحزبان الرئيسيان هما الحزب الألماني (بزعامه ماركوارد فون أنويلر) والحزب

النورماني الصقليّ . وكان الحزب الألماني يليق مساندة بيش ومسلمي صقلية ، وأما الحزب النورماني فكان يسانده البابا . وقد وقع فردريك الثاني وهو في سن السابعة تحت نفوذ ماركوارد ، إلا أن الأخير توفي بعد ذلك بقليل . وفي تلك المرحلة من العمر ، كانت حياة فردريك حياة فاقة وفقر . ولا يُعرف الشيء الكثير عنه في السنوات الخمس التالية من حياته ، إلا أنه ما إن بلغ الثانية عشرة من عمره حتى حذق حمل السلاح وركوب الخيل ، كما أبدى اهتماماً بالنشاطات الفكرية . وقد عزي اهتمامه بالمسائل الفكرية إلى احتكاكه بمسلمي بلرم ، وبالرسول البابوي جريجوري من بلدة جَلْجانو (Galvano) ^(٥) . ولما بلغ فردريك الثاني الرابعة عشرة من عمره (٢٦ ديسمبر سنة ١٢٠٨ م) وبلغ سن الرشد ، تزوّج من عروسٍ اختارها له البابا هي كونستانسا من أراجون [مملكة أراجون بشمال أسبانيا الشرقي] ، وكانت يومئذ في الرابعة والعشرين من العمر وسبق لها أن تولّت الملك . وجاء إلى صقلية في ركبها فرسانٌ ، وسيداتٌ بلاط ، ومُنشدو التروبادور ، ونحوها ، فردريك الثاني بتأثيرها من جندي خشن إلى ملك مهذب .

وفي سنة ١٢١١ م ، كان أُنُو الرابع ، امبراطور ألمانيا عن حزب الجويلف (Guelfs) قد احتل ممتلكات فردريك في شبه الجزيرة الإيطالية ، ودعاه مسلمو صقلية إلى غزو الجزيرة . وبينما كان أُنُو الرابع يهيم بغزو صقلية ، علّم أن المجلس العام في نورمبيرج قد قرّر عزله ، وقرر انتخاب فردريك الثاني امبراطوراً ^(٦) . وبعد أن توجّج امبراطوراً ، قطع فردريك على نفسه عهداً بالمشاركة في حملة صليبية ، وهو وعد قطعه مرضاةً للبابا . وما إن حلّ عام ١٢٢١ م ، حتى كان فردريك الثاني قد وطّد في معظم صقلية النظام والهدوء اللذين لم تعهدهما الجزيرة منذ وفاة وليام الثاني . ومع ذلك ، فإن المسلمين كانوا في ثورة ضده . وحتى بعد أن توجّج فردريك امبراطوراً لم ير المسلمون فائدةً تُذكر في الخضوع له ، بل رأوا أن خضوعهم له لن يجلب لهم سوى المزيد من الفقر والتبعية الإقطاعية . وفي سنة ١٢١٩ م ، هاجمت جماعاتٌ من المسلمين ونهبت مستشفى القديس يوحنا لمعالجة البرص (Spedale di San Giovanni dé Leprosi) الكائن في ظاهر بلرم ، كما أسروا أسقف مدينة جرجنت . وقد قُدّر عدد النافرين المسلمين في سنة ١٢٢١ م بما يتراوح بين ٢٥,٠٠٠ و ٣٠,٠٠٠ رجل ^(٧) . وكان على رأسهم شخص تسمّى كتب التاريخ المسيحية Mirabetto ،

ويرى أمارى وغيره أنه ابن عباد من بني عيس^(٨). وفي الجانب الغربي من صقلية ، اغتتم المسلمون فرصة الاضطرابات التي عمت المملكة ، فاستولوا على أراضٍ ظلت في قبضتهم أكثر من عشرين عاما . وكان من بين حصون المسلمين حصن إنتيلا (Entella) وحصن جاطو (Giato) ، والأخير قريب جداً من بلرم . وأرسل فردريك الثاني أحد قادته هنرى المالطى ، فاحتل حصن جاطو ، إلا أنه لم يلبث أن فقدة ثانية . وفي أبريل سنة ١٢٢٢ م ، اجتمع فردريك بالبابا في فيرولى (Veroli) وحصل على موافقته بإرجاء الحملة الصليبية إلى أن يفرغ من معالجة أمر مسلمى صقلية . وفي نفس السنة ، احتلت قوات فردريك حصن جاطو نهائياً ، وتم أسر ابن عباد وحليفه المسيحيين وليام بوركو وهيو دى فير . وأعدم ابن عباد ، إلا أن أسطورة ملحمة تقول إن ابنته واصلت المقاومة في حصن إنتيلا ، وعن طريق خدعة حرية أودت بحياة ثلاثمائة من فرسان الأمبراطور اخفقوا في استدراجها إلى كمين نصبوه ، ثم أقدمت آخر الأمر على الانتحار صوناً لشرفها^(٩).

واستمرت ثورة المسلمين ، واضطر فردريك ما بين سنتي ١٢٢٢ و ١٢٢٤ م إلى اللجوء إلى اتخاذ إجراء عسكري عنيف ضدهم . فوجهت عدة حملات في آن واحد ضد المسلمين الذين اضطروا إلى الاعتصام بالجبال العالية حيث انقسموا إلى جماعات منفصلة ، ظلت تحت الضغط المستمر حتى أجبرت آخر الأمر على الاستسلام على دفعات . وعندئذ ، اتخذ فردريك الخطوة الحاسمة والمصيرية لتصفية وجود المسلمين في صقلية بانتهاج سياسة ترحيل مسلمى صقلية الذين استسلموا وأسكنهم في لوشيرة (Lucera) في مقاطعة بولية (Apulia) . وقد قُدر عدد من رُحل بستة عشر ألف شخص . ولما كان مسلمو صقلية قد تلقوا مساعدة من إفريقية ، فإن أسطول فردريك عاث بجزيرة جربة ، ونقل الكثيرين من سكانها أيضا إلى لوشيرة . كما أقام مستوطنتين أصغر من لوشيرة في إيطاليا ، أسكنهما المسلمين ، وهما نصيرة (Nocera) وجيروفالكو (Girofalco) . ومع ذلك فقد بقي بعض المسلمين في صقلية ، وهؤلاء قاموا بثورة بعد نحو عشرين عاما .

وفي سنة ١٢٢٥ م ، تزوج فردريك الثاني من يولندا (Yolanda) وارثة المملكة اللاتينية ببيت المقدس ، واتخذ لنفسه لقب (ملك بيت المقدس) بالإضافة إلى ألقابه الأمبراطورية . وفي سنة ١٢٢٦ م ، وصل إلى بلاط فردريك فخر الدين بن الشيخ

المتبحر في علم الكلام والفلك والبیزرة أو الصيد بالبیزان ، مبعوثاً من قِبَل السلطان الأيوبي الكامل للاستعانة بالأمبراطور ضد أخيه المعظم وحليف الأخير جلال الدين الخوارزمي . وقد طالبت إقامة المبعوث الأيوبي في صقلية ، حيث أنعم عليه فردريك برتبة فارس . وأوفد فردريك سفارةً رداً على السفارة الأيوبية ، برئاسة رئيس أساقفة بلرم والكونت توماس الأكرّي (Thomas of Acerra) ، ومعها هدايا ثمينة . وقد نجحت هذه السفارة في الحصول على موافقة السلطان الكامل على التنازل عن بيت المقدس للأمبراطور إذا أمكن انتزاعها من يد أخيه المعظم .

وقد أصدر البابا جريجوري التاسع ، الذي خلف هنوريوس الثالث ، قرارَ الحرمان (excommunication) ضد فردريك في سنة ١٢٢٧ م ، وتوفيت الأمبراطورة يولندا في العام نفسه . وفي نفس السنة ، توفي الملك المعظم أيضاً ، واحتل السلطان الكامل بيت المقدس ونابلس . وبعد ثلاث عشرة سنة من حملته الصليب ، قرر فردريك الثاني أخيراً الشروع في حملته الصليبية يحدوه في ذلك هدفٌ سياسي في المقام الأول ، وهو أن يحظى بالاحترام والهيبة في العالم المسيحي ، بالرغم من صدور قرار البابا بجرمانه . ولدى وصوله إلى عكا ، أوفد فردريك الثاني الكونت توماس الأكرّي وباليان الصيداوي (Balian of Sidon) مبعوثين عنه إلى السلطان الكامل يحملان هدايا ثمينة ، ورسالةً إلى السلطان يدعوه فيها إلى البر بوعده بتسليم بيت المقدس . وقد كانت المفاوضات الدبلوماسية التالية ، التي تنم عن الدهاء ، معارك فطنة وحضور بديهة . وكان فردريك والكامل تجمعها اهتمامات فكرية وسياسية مشتركة . وأرسل فخر الدين مرة ثانية في سفارة من قِبَل الكامل الذي رفض تسليم بيت المقدس بادئ الأمر بحجة أن عملاً كهذا من شأنه أن يجلب سخط المسلمين ضده . وكان السلطان الكامل على علمٍ باستمرار معاداة البابا للأمبراطور ، مما أدى إلى ظهور انشقاق في معسكر الأمبراطور . كما أن اضطرابات حدثت في ممتلكات فردريك في أوروبا . وكانت المراكب التي تنقل المؤن إليه قد تحطمت في البحر مما عرّض جيشه البالغ عدد أفرادهِ أحد عشر ألف رجل للموت جوعاً . كما أن الكامل أيضاً كانت تواجهه مشاكل خطيرة . وكان في حاجة إلى محالفة الأمبراطور . ولم يكن قد نجح في حصاره لمدينة دمشق ضد ابن أخيه ، وكان الخوارزميون يهدّدون جناحه . فقبلَ الكاملُ المقترحات التي أتى بها مبعوثا الأمبراطور في زيارتهما الثانية له ، وتنازل

الكامل بمقتضاها عن بيت المقدس والناصرة ومجر إلى البحر عند يافا ، وبقي المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة في بيت المقدس في أيدي المسلمين . وقد أثارت المعاهدة عاصفة من السخط في العالم الإسلامي .

لقد كانت الحملة الصليبية التي قام بها فردريك الثاني تطوراً عميقاً للتأثير الإسلامي على ذوقه الفكري والفني وعلى أسلوب حياته . وأتخذ من قبة الصخرة نمطاً حذاً حذوه عند تشييد قصره في صقلية المعروف بقلعة الجبل . وفي هذه المرحلة تعلّم استعمال غطاء الرأس للنبزان في الصيد . وكانت نساء قصره يتنقلن في هودج مغطاة يرافقهن الحشيان كما تفعل نساء المسلمين^(١٠) . وكانت حاشيته تضم فتياناً مسلمين أثناء الحملة الصليبية ، وكان جيشه يضم على الأقل بعض الجنود المسلمين^(١١) .

وعند عودة فردريك الثاني إلى أوروبا أبدى حزماً في معالجة أعدائه في الداخل والخارج ممن حرّضهم البابا ضده . وفي سنة ١٢٣٠ م ، عقد البابا جريجوري التاسع اتفاقاً معه ، ورفع عنه قرار الحرمان . وفي سنة ١٢٣١ م ، عقد فردريك الثاني هدنة مع السلطان الحفصي أبي زكريا يحيى^(١٢) نصّت على أن يحكم جزيرة قوصرة (Pantellaria) والى مسلم يسميه الإمبراطور^(١٣) . وأوفد السلطان الكامل إليه مبعوثاً للتوسط لمسلمي صقلية لكي يتركوا وشأنهم أو يسمح لهم على الأقل بالهجرة إلى مصر . إلا أن هذا الطلب لم يؤدّ إلى أية نتائج عملية^(١٤) وفي حين إن السياسة الداخلية لفردريك المتفتح ظلّت قائمة على الكبت والقمع تجاه المسلمين ، فإنه ظلّ يتبادل السفارات الثقافية مع السلاطين المسلمين في منطقة البحر المتوسط وما وراءها . ففي سنة ١٢٣٢ م ، قدمت إليه سفارة أوفدها سلطان دمشق ومعها جهاز في خيمة يمثل حركات الكواكب كانت تتحرك فيه الأجرام الفلكية ، المصنوعة من الذهب والفضة ، في مداراتها بفعل آلة خفية^(١٥) . لا بل إن فردريك أوفد مبعوثاً إلى مقر الحشاشين في بلاد الشام [حصن مصباد / مصبات على السفح الشرقي لجبل النصيرية] يحمل هدايا إلى رئيس طائفة الإسماعيلية في قلعة ألاموت [الواقعة قرب تبريز في الجنوب الغربي لبحر قزوين] . وقد قام رئيس الطائفة في بلاد الشام [الملقب بشيخ الجبل] بمصادرة هذه الهدايا^(١٦) .

وأصدر البابا جريجوري الثاني قرار الحرمان ثانية ضد فردريك من سنة ١٢٣٧ إلى

سنة ١٢٤١ م ، متهماً إياه ، في جملة ما اتهمه ، بإنكار ولادة مريم العذراء وإعلانه أن موسى والمسيح عليهما السلام دجالان^(١٧) . ويحمل ابن الجوزي نفس الفكرة عن فردريك ، ويسميه دهرياً يلهو بالتظاهر بالمسيحية^(١٨) .

أما سياسة فردريك الثاني الداخلية ، فكانت قائمة على التزامه بإنهاء كل أثر للوجود الإسلامي في الجزيرة . وإن نقله للمسلمين إلى بلدة لوشيرة (Lucera) في الفترة ١١٢٥-٣ م وما بعدها لم يعن ترحيل كافة المسلمين من سكان صقلية . فحتى عام ١٢٤٢ م ، ظلّ المسلمون يشكلون نسبة مثوبة عالية من سكان مدينة جفلوذي (Cefalu) وكان لا يزال يوجد رعاة مسلمون في إقليم مازر . وفي سنة ١٢٤٣ م ، ثارت من جديد البقية الصغيرة المتبقية من المسلمين في صقلية — ولعلّ ثورتها كانت لأسباب اقتصادية — وقاومت القوات الأبراطورية لمدة ثلاث سنوات ، إلا أن الثائرين أُجبروا آخر الأمر على الاستسلام جوعاً ورُحّلوا للانضمام إلى إخوانهم في الدين في لوشيرة^(١٩) ، وبذلك انتهى تماماً الإسلام والوجود الإسلامي في صقلية . وإنه لمن سخرية التاريخ أن يتم ذلك على يد امبراطور كان شديد الإعجاب بالثقافة الإسلامية الفكرية والمادية ، وكان مشاركاً فيها شخصياً بطرق شتى .

وفي سنة ١٢٤٢/٥-١٢٤٤ م ، استردّ المسلمون بيت المقدس . وعرض فردريك ، بتحريض من بطريق أنطاكية ، أن يقود حملة صليبية أخرى ، إلا أن ذلك لم يتحقق قط ، ورفض مجمع ليون هذا الاقتراح . وقد اتهم فردريك من قبل معاصريه النصاري بمعاشرة المسلمين أكثر من معاشرته النصاري^(٢٠) ، وهي تهمة تبدو سخيصة من الناحية التاريخية ، مع أنها لم تكن دون أساس من الحقيقة . ولما توفي فردريك الثاني في سنة ١٢٥٠ م ، دُفن ، وقد كُفّن بأثواب عربية ، في مسجد كان قد حوّل إلى كاتدرائية^(٢١) . وقد أطلق المؤرخون المسلمون على فردريك الثاني وخلفائه لقب (الأنبراطور)^(٢٢) ، أى الأمبراطور ، وقد كان كذلك بكل معنى الكلمة .

وقام السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (حكّم ١٢٦٠-١٢٧٧ م) بإيفاد المؤرخ ابن واصل في سفارة إلى بلاط منفريد (Manfred) الابن غير الشرعي لفردريك وآخر ملوك أسرة هوهنشتاوفن في صقلية^(٢٣) . وكان منفريد شاعراً وراعياً لمُنشدي التروبادور (troubadours) ، فضلاً عن كونه منفتحاً على جميع المؤثرات الإنسانية

العربية واليونانية واللاتينية . وبعد أن أدانته البابا بأنه « سلطان لوشيرة » و« ملك العرب » تعرّض منفريد لهجوم شارل صاحب أنجو الذي هزمه وقتله سنة ١٢٦٦ م . وأصبحت صقلية ، التي لم يبقَ فيها مسلمون الآن ، من ممتلكات سيدٍ جديدٍ لم يُبدِ تسامحاً حتى تجاه وجود النازحين المسلمين الأبرياء في لوشيرة .

الفصل الحادى عشر

انتقال التراث الفكرى العربى عن طريق صقلية وإيطاليا

إن دور صقلية وإيطاليا في انتقال التراث الفكرى العربى دورٌ صغير إذا ما قورن بدور الأندلس في هذا المضمار . ومع ذلك ، فإن عظمة مملكة النورمان في صقلية في القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادى كان بها كذلك عنصر فكرى معاصر لقيام حركة النهضة الإيطالية في ذلك القرن . وهذه النهضة اكتسبت معلومات جديدة من بيزنطية ومن العرب في الأندلس وصقلية . ومع إن صقلية لم تكن مهمة نسبياً كمعبر للاتصال الفكرى فإنه ، كما بين هاسكينز ، « لم تقم في أى مكان آخر غير صقلية الحضارات اللاتينية واليونانية والعربية جنباً إلى جنب في جو يسوده السلم والتسامح ، ولم يُعبر في أى مكان آخر عن النهضة بوضوح أكثر مما عبرت عنه سياسة الحكّام »^(١) .

كانت اللغة العربية لغة العلم في القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادى ، وترجمات المؤلفات اليونانية من العربية إلى اللاتينية سبقت ترجمتها من اليونانية مباشرة . وكان للشروح والتعليق العربية على مؤلفات جهاذة اليونان تأثير عميق على الفكر الأوروبي . كما تُرجمت كتب علمية كثيرة من تاليف العرب والمسلمين أنفسهم ، وخصوصاً في ميادين الطب والرياضيات والفلك . وفي إيطاليا ، اتصل علماء اللاتينية اتصالاً وثيقاً بروح التفانى في دراسة العلوم والانكباب عليها ، وهى الروح التى تميّز بها العلماء العرب والعلماء اليهود المتعربون ، ونهلوا من معينها . « ومع الاهتمام جاءت الوسيلة : إخضاع الأمور لحكم العقل والطبع التجريبي »^(٢) . ومع إن جيرارد الكريموني (Gerard of Cremona) (١١١٤-١١٨٧ م) ينتمى إلى « مدرسة طليطلة » ، إلا أنه ينبغى أن لا يغرب عن البال أنه كان إيطالياً وأن اهتمامه بالطب اليونانى — العربى بدأ في إيطاليا وأدى إلى دراساته في الأندلس وإلى ترجمته لعدد وافر من الكتب من اللغة العربية .

وقد ساهم أطباء بلرم في نمو مدرسة الطب في سالرنه ، وهى مدرسة يكتنف تاريخها المبكر شىء من الغموض . وقد بدأت ترجمة المؤلفات الطبية من العربية في إيطاليا منذ مطلع القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى لفائدة مدرسة الطب في سالرنه أو لغرض آخر . وكان من أوائل المترجمين قسطنطين الإفريقى الذى وُلد في قرطاجنة سنة ١٠١٥ م ، وتوفي راهباً من رهبان القديس بنديكت في مونتي كاسينو سنة ١٠٨٧ م . ومن المترجمين من العربية أفلاطون التيفولى وهو من أصل إيطالى قام في الأندلس ، بالتعاون مع عالم يهودى مستعرب إبراهيم بن حيا ، بترجمة كتاب البتاني في علم الفلك ومؤلفات الفرغاني وغيرهما (٣) . وفي سنة ١١٢٧ م ، يذكر اسطفان الأنطاكى ، الذى ترجم مؤلفات المجوسى [على بن العباس المجوسى ، صاحب الكُنَاش الملكى الذى يُعرف كذلك باسم كامل الصناعة الطبية] أن علماء الطب كانوا يوجدون في الدرجة الأولى في صقلية وسالرنه ، وكانوا إما من اليونان وإما أشخاصاً ملّمين باللغة العربية . وكان أطباء سالرنه ، كالأطباء العرب ، يتجنبون تشريح الجسم البشرى ويشرحون الحيوانات بدلاً منه (٤) ووفد على صقلية من بجاية في القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى طبيب مسلم اسمه نقي الدين .

وتحت رعاية فردريك الثاني ، تقابل التياران الأندلسي والصقلّى لنقل التراث العربى إلى أوروبا وامتزجا إلى حد ما ، مع أن التيار الأندلسي ظل ينقل هذا التراث مباشرة من شبه جزيرة إيبيريا أيضاً . وكان التأثير العربى في بلاط فردريك الثاني أقوى من التأثير اليونانى ، وقد ازداد إثر زيارته إلى المشرق ونمو العلاقات السياسية والفكرية مع سلاطين شمال إفريقيا والشرق الأدنى . ومن صقلية انتشر هذا التأثير إلى حد ما إلى شمال إيطاليا وألمانيا ومقاطعة بروفانس [بجنوبي فرنسا] (٥) . وكانت مكتبة فردريك الثاني تزخر بالكتب اليونانية والعربية . كما كان فردريك على اتصال شخصى أو بالمكاتبة بالعلماء العرب المبرزين في العلوم العربية الإسلامية ، وقد أحال إليهم للبحث مسائل مختلفة في الرياضيات والطبيعة والفلسفة . ومن هؤلاء العلماء عَلم الدين الحنفي ، وهورياضي مرموق وعالم ، أوفده السلطان الأيوبي الكامل إلى بلاط فردريك الثاني (٦) . وكان فردريك قد أرسل إلى الكامل خطاباً تضمّن سبعة أسئلة تناولت ثلاثة منها عَلم البصريّات (optics) ، وقد وصلتنا هذه الأسئلة وأجوبتها . كما

أن فردريك الثاني كان مهتماً بعلم الحيوان والطب والميكانيكا وعلى أوصاف الكون (cosmography) والرياضيات ، وترجم له ميخائيل سكوت (Michael Scot) وثيودور الأنطاكي كتاباً عربيّة في علم الحيوان^(٧) . وأوفد فردريك أحد كتّابه جوفائيّ البلرمي مبعوثاً عنه إلى تونس في سنة ١٢٤٠ م ، وكان هذا المبعوث على ما يُحتمل متمكناً من العربية^(٨) . وكانت الرياضيات الميدانَ الرئيسيَّ لاهتمام جوفائيّ . وكان من بين الرياضيين البارزين في بلاط فردريك ، الإيطاليّ ليناردو فيبوناتشي (Leonardo Fibonacci) الذي كان قد درس في الأندلس وفي المشرق ، وإليه يرجع الفضلُ في إدخال الأرقام العربية إلى الغرب . وقام فيلسوف عربيّ صقلّيّ هو ابن الجوزي بمرافقة فردريك في حملته الصليبية ، وألقى عليه دروساً في علم المنطق^(٩) .

وكان الاهتمام كبيراً بعلم الفلك في بلاط فردريك ، وخاصة ما ألفه بطلميوس ، الذي كان كتابه المجسطي (Almagest) قد ترجم إلى اللاتينية من العربية منذ سنة ١١٣٨ م ، وما ألفه الفرغاني^(١٠) . كما أوّل فردريك اهتمامه أيضاً بالتنجيم والكيمياء والسحر ، كما عرفها العرب ، وبسبب هذا الاهتمام ، وضع دانتي ميخائيل سكوت ، الذي كان يحظى برعاية فردريك ، في جهنّم . وقد أهدى فردريك إلى جامعة بولونية [بشمال إيطاليا] مؤلفات في المنطق والطبيعة أمرَ بترجمتها من العربية . وأنشأ في مدرسة الطب بسالرنه أول قسم للتشريح في أوروبا^(١١) . كما أسّس جامعة في نابولي في سنة ١٢٢٤ م . وكان لفردريك اهتمام شخصي كبير بالفلسفة العربية . ويرى البعض أنه تأثر بفلسفة ابن سينا أكثر من تأثره بفلسفة ابن رشد . كما كان قد درس مؤلفات ابن ميمون (Maimonides) ، ولعلّه كان يعرف شيئاً من العبرية^(١٢) .

وكان أبرز أعلام الفكر في بلاط فردريك ميخائيل / مايكل سكوت (Michael Scot) الذي كان صلةً الوصل بين بلاطه في صقلية وبين مركز الترجمة الكبير في طليطلة . وكان مايكل سكوت قد درس في طليطلة من سنة ١٢١٧ إلى سنة ١٢٢٠ م ، ثم انتقل إلى بولونية [بشمال إيطاليا] ، وابتداءً من عام ١٢٢٧ م بقي في البلاط الإمبراطوري . وفي هذا البلاط ، ترجم سكوت ، بالإضافة إلى مؤلفات قيّمة أخرى ، العديد من شروح ابن رشد (Averroes) وتعليقاته على كتابات أرسطو طاليس . كما ترجم أجزاء من مؤلفات ابن سينا (Avicenna) . وأعدّ نصّاً منقّحاً لكتاب جونديسالفي (Gondisalvi) De Divisione philosophiae الذي كان

بدورة تفصيلاً لما كتبه الفارابي وغيره . وإلى مايكل سكوت يرجع الفضل في المقام الأول في تعريف الغرب بمؤلفات ابن رشد .

وكان أشهر عالم بعد مايكل سكوت في بلاط فردريك ثيودور الأنطاكي الذي أرسله إليه السلطان الكامل في سنة ١٢٣٦ م . وكان ثيودور قد درس في الموصل وبغداد ، وكان متمكناً من العلوم العربية المشرقية تمكن مايكل سكوت من العلوم العربية الأندلسية . وفي السجل الخاص بعام ١٢٣٩-١٢٤٠ م ، نجد مسودات حررها ثيودور لرسائل الأمبراطور العربية إلى سلطان تونس . ومن بين المترجمين والكتبة الآخرين في حلقة فردريك جوفائي وموسى الهرمى .

وفي سنة ١٢٣٢ م ، قام يهودى اسمه يعقوب ، من أبناء « أبا مري » ، هاجر من فرنسا إلى نابولي ، بترجمة شروح ابن رشد وتعليقه على أربعة من كتب أرسطوطاليس إلى العربية ، كما ترجم كتاب الفرغاني في علم الفلك ^(١٤) . ووفد على إيطاليا في سنة ١٢٤٧ م يهودى آخر من أصل أندلسي اسمه يهودا كوهين . وهو صاحب موسوعة علمية كبيرة بالعربية ، ترجمها أيضاً إلى العربية ^(١٥) . وفي سنة ١٢٥٥ م ، ترجم اليهودى بوناكوساً (Bonacossa) ، من مدينة بادوا ، كتاب ابن رشد (الكليات في الطب) . وبعد ذلك بخمس وثلاثين سنة ، ترجم بارافيكوس (Paravicus) ، في مدينة البندقية ، كتاب (التيسير) لابن زهر (Avenzoar) الأندلسي ^(١٦) .

وكان فردريك الثاني قد طرح مسائل علمية ورياضية على العلماء في مناسبات عديدة — على ليناردو فيوناتشي في سنة ١٢٢٦ م ، وعلى مايكل سكوت في سنة ١٢٢٧ م ، وعلى السلطان الكامل أثناء الحملة الصليبية ، وعلى عدة علماء آخرين . ومع ذلك فإن « لمسائله الصقلية » أهمية خاصة . وكانت هذه المسائل قد وُجّهت أولاً إلى مصر والشام والعراق واليمن ، وأُرسلت آخر الأمر إلى الخليفة الموحدى عبد الواحد الثاني الرشيد (حكّم ٣٣-١٢٤٢ م) . وكان السؤال الأول يتعلق بقول أرسطوطاليس إن العالم أزلى ، فسأل الأمبراطور عن الأدلة التي استند عليها أرسطوطاليس ومنهج بحثه . أما السؤال الثاني فكان عن مجال العلوم الدينية وفرصياتها الأولية إن وجدت . وأما السؤال الثالث فكان يدور حول « المقولات العشر » . ولم يصلنا النص الكامل للسؤال الرابع ، ولكنه بدأ بطلب الاستدلال على

خلود الروح . وكان السؤال الخامس يتعلّق على وجه التحديد بالفقه الإسلامى ، وفيه يستفسر عن الحديث الشريف القائل إن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن . وأحال والى الخليفة الرشيد هذه الأسئلة على ابن سبعين (عبد الحق بن إبراهيم) ، وهو صوفي وفيلسوف من مدينة مُرسية [بالأندلس] ذو ميول أفلاطونية جديدة . وكان في شرح شبابه ، حينما نَزَحَ عن مسقط رأسه وأقام في مدينة سبتة لاجئاً ، إذ كان يُشبهه في أن « وحدانيته » ضرب من الهرطقة . وفيما بين سنتي ١٢٣٧ و ١٢٤٢ م كتب ابن سبعين رسالته الشهيرة (الأجوبة عن المسائل الصقليّة) ردّاً على أسئلة الأباطور . والرسالة تدلّ على علم غزير للشاب ابن سبعين ، وفيها يتمسك كل التمسك بوجهة النظر الإسلامية ، وينبذ وجهة نظر أرسطوطاليس حيثما تتعارض مع وجهة نظر الدين ^(١٧) . ومن المشكوك فيه من إذا كانت (الأجوبة) قد تركت أثراً على الغرب في القرون الوسطى . ومهما يكن من أمر ، فإن الخليفة الموحدى أوفد في سنة ١٢٤٣ م أخاً لابن سبعين ، هو عبد الله ، مبعوثاً عنه إلى البابا إنوسنت الرابع الذى قد يكون على علم بما انطوت عليه أسئلة فردريك من هرطقة ومروق عن الدين .

وقد ورث منفريد عن أبيه شغفه بالتراث الفكرى الإسلامى واليونانى . وفي سنة ١٢٦٠ م ، أوفد السلطان المملوكى الظاهر بيبرس القاضي الشافعى جمال الدين محمد ابن سليم إلى بلاط منفريد ، وسجّل القاضي انطباعاته عنه . وكلف منفريد بارتولوميو المسينى بترجمة كتاب (الأخلاق) لأرسطوطاليس إلى اللاتينية ، كما أن ألمانيا يُدعى هيرمان ترجم للأباطور التعاليق العربية على ذلك المصنّف وعلى غيره من مؤلفات الفيلسوف اليونانى ^(١٨) . لا بل إن شارل صاحب أنجو الذى أنهى ، مع ابنه ، حكم أسرة هوهنشتاوفن في صقلية ، والمستوطنة الإسلامية في لوشيرة ، يُنسب إليه مع ذلك رعاية الترجمة التي أعدها لمصنّف الرازى (Rhazes) الطيبي الموسوعى ، وهو كتاب (الحاوى) المسمّى باللاتينية (Continens) ، فرجّ بن سالم ، وهو يهودى من مدينة جرجنت . وبعد ذلك بزمان طويل ، أضاف شرحاً للجزء التاسع من الكتاب فرارى دا جرادو (Ferrari da Grado) ، من مدينة بافيا ، وكان متبحراً في العلوم الطبية العربية ، ويقال إنه أول كتاب طبي موسوعى يتمّ طبعه ^(١٩) .

إن رغبة فردريك في نقل أحد العلوم العربية المتصلة برغد العيش انتهت لسوء

الحظ به . وكان هذا العلم هو علم الببزة أو الصيد بالبيزان ، وفيه وضع مدرّب صقورة "Maomin" (مؤمن ؟) كتاباً ترجم إلى اللاتينية ، وقد استفاد منه الأمبراطور في كتابه عن الصيد بالبيزان المسمّى (De arte venendi cum avibus) .

أما فيما يتعلق بالتأثير اللغوي للعربية ، فإن بعض آثارها الصغيرة قد بقيت في اللهجة الصقلية من اللغة الإيطالية ، وتشتمل على بعض المفردات المستعارة وبعض التعابير . أما الكلمات المستعارة ، فيتعلّق معظمها بالأشياء الريفية وصناعات المدن والملابس والطعام والقانون والنظام ^(٢٠) . ولعلّ خير تحليل يمكن الاعتماد عليه لهذه المفردات المستعارة التحليل الذي أعدّه دى جريجاريو (de Gregario) وسيبولد (Seybold) ^(٢١) اللذان أحصيا نحواً من مائتي كلمة عربية مستعارة في اللهجة الصقلية . وكان لبعض هذه المفردات انتشار محلي فقط في جزيرة صقلية . وتفوقها في الأهمية تلك المفردات التي انتقلت إلى اللغة الإيطالية في شبه الجزيرة الإيطالية ، ومنها إلى اللغات الأوروبية الأخرى . على أن المرء ينبغي أن يلتزم جانب الحذر في هذه الناحية ، إذ إننا نجد أن الكلمة العربية المستعارة الواحدة قد انتقلت أحياناً إلى الأسبانية أو البرتغالية فضلاً عن الإيطالية ، ومن الصعب الجزم ما إذا كانت الكلمة قد انتقلت إلى اللغات الأوروبية الأخرى عن طريق إيطاليا أو عن طريق شبه جزيرة أيبيرية .

ومن الكلمات العربية المستعارة المألوفة التي انتقلت إلى اللغة الصقلية الإيطالية ثم انتقلت منها إلى اللغات الأوروبية الأخرى الكلمة العربية (أمير) التي أصبحت Ammiragghiu في الصقلية ، و ammiraglio في الإيطالية ، و admiral في الإنجليزية . والكلمة الفارسية (بازار) التي انتقلت عن طريق العربية إلى الصقلية bazzariotu . والكلمة العربية (قهوة) أصبحت في الصقلية caffè ومنها جاءت الكلمة coffee في الإنجليزية ومشتقاتها في كل اللغات الأوروبية الرئيسية الأخرى تقريباً . والكلمة العربية خرشوفة التي أصبحت في الصقلية 'carciõffa' ، وفي الإيطالية 'carciofo' ، وفي الإنجليزية artichoke . والكلمة الفارسية كرقان انتقلت عن طريق العربية [قيروان] إلى الصقلية 'carvana' ، والإيطالية carovana ثم إلى اللغات الأوروبية الأخرى . والكلمة العربية فُستق هي أصل الكلمة — عن الصقلية — pistachio . والكلمة العربية مخزن أصبحت magazzino في الإيطالية ، و magazine

في الإنجليزية . والكلمة *tariff* في الإنجليزية مشتقة من الصقلية / الإيطالية *tariffa* ، وهي مشتقة من العربية تعريفة . والكلمة العربية قائد — ولعلها اختلطت بكلمة قاضي — انتقلت إلى الصقلية على صورة *caitu, caytu, gaitu* ، وإلى الأسبانية على صورة *cayado* أو *gayato* . والكلمة العربية القبة أصبحت في الصقلية *cubba* ، أما صورتها الفرنسية *cupole* فيحتمل أن تكون قد جاءت عن طريق أحد أشكائها بالأسبانية *al-cubilla* . والكلمة العربية ليمون انتقلت عن طريق صقلية وعن طريق أسبانيا والبرتغال [وإلى هذه الأقطار أدخل العرب زراعة شجر الليمون] فأصبحت *lemon* في الإنجليزية . وكلمة *muslin* يمكن أن تكون قد انتقلت إما عن طريق أسبانيا أو صقلية أو كليهما للدلالة على اسم قماش كان يُصنع في مدينة الموصل .

وخلافاً للكلمات المستعارة ، فإن مسألة تأثير الشعر العربي على الشعر الإيطالي مسألة أكثر تعقيداً . ويرى أماري أن ثمة صلة بين الشعر العربي الذي نُظم في صقلية النورمانية — لا بل ومن الممكن حتى في صقلية السوابية — وبين ظهور الشعر الإيطالي المبكر الذي نُظم في صقلية . وكان الشعر في اللهجة العامية الدارجة يُنشد في بلاط فردريك الثاني على الطريقة البروفنسالية [نسبة إلى مقاطعة برفانس بجنوبي فرنسا] وهذه الطريقة ، كما يرى عدة مستشرقين ، أوحى بها التقليد العربي الأندلسي ، خصوصاً ذلك الغناء الذي كان يُعبر عنه عن طريق الموشحات والأزجال . وقد شاعت القوافي الجديدة في بلاط فردريك عن طريق الإنشاد والغناء (٢٣) . وغرض الشاعر هو الحب غير المتبادل ، وهو غرض ، مع أنه غرض عام ، نجده يتردد كثيراً في الشعر العربي الأندلسي وفي أشعار التروبادور والشعراء الإيطاليين من طبقة (*dolce stil nuovo*) (٢٤) . كما ذكر البعض أن بحر الشعر الشعبي المبكر الذي نُظم في إيطاليا ، كأغاني الكارنيفالات (*carnivals*) والقصائد الروائية (*ballata*) مثلاً ، يشبه كثيراً بحر الشعر الشعبي في الأندلس (٢٥) . ومن ناحية أخرى فقد يكون نمو الشعر باللهجة الدارجة الصقلية قد تأثر بالشعر الشعبي العربي الذي نُظم في الجزيرة ذاتها (٢٦) .

وتقوم بعض الصعوبات في وجه هذه النظريات . ولم يصلنا شيء يذكر من الشعر العربي الصقلي الشعبي (٢٧) ، باستثناء زجلي لعل بن عبد الرحمن . وقد ظهر بعض الشك مؤخراً حول الوحي العربي للشعر الشعبي الصقلي ، إذ يبدو أن نظم الشعر

العربي في المجموعات التي وصلتنا ثوقف بعد عهد رجار الثاني ، وعلى ذلك فإنه يكون قد انقضى ثلاثة أرباع القرن ما بين نظم النماذج المتبقية الأخيرة من الشعر العربي في الجزيرة ومولد الشعر الشعبي الصقلّي في القرن الثالث عشر الميلادي . ولذلك ، فإن من الصعب إقامة الدليل على صحة الافتراض الخاص بالمعرفة والتقليد المباشرين (٢٨) .

لا بل وأكثر تعقيداً من ذلك مسألة تحديد طبيعة ومدى معرفة دانتي بالإسلام على وجه التحديد ، وما يتعلق بالآخرة في الدين الإسلامي وتراث الإسلام الفكري . وكان ميغيل آسين بلاثيوس (Miguel Asín Palacios) في أوائل هذا القرن قد طرح نظرية مثيرة ، ولو أنها موضع خلاف ، مفادها أن (الكوميديا الإلهية) لدانتي متأثرة إلى حد بعيد بما يتعلق بالآخرة في الدين الإسلامي ، وأنه يظهر فيها تأثير (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري وكذلك تأثير كتاب (الفتوحات المكيّة) وغيره من مؤلفات ابن العربي [بحي الدين محمد الفيلسوف والصوفي الأندلسي المتوفي سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م] ، وكلاهما ملئ بالأوصاف المتعلقة بالآخرة . كما أن غيرها من المؤلفات العلمية المماثلة والمصنّفات الإسلامية الرائجة بين الناس قد تكون من المصادر التي تأثر بها دانتي (٢٩) .

وقد انتقدت النظرية بشدة من قِبَل علماء اللغات الرومانسية [أى المشتقة من اللاتينية] بحجة عدم وجود دليل مباشر على معرفة دانتي بهذه المؤلفات بالذات . ومهما يكن من أمر ، فإن نظرية ميغيل آسين لها أساس ملموس بوجود تأثير إسلامي عام على (الكوميديا الإلهية) وغيرها من مؤلفات دانتي (٣٠) . ولا شك في أن دانتي كان على علمٍ بعدة ترجمات لاتينية لكتابات الفلاسفة العرب ، كما أنه كان على دراية بوجهة النظر القائمة على الجدل العنيف في القرون الوسطى حول الإسلام ، وهو في نظره إلى النبي صلى الله عليه وسلم ينحو المنحى المسيحي التقليدي السائد في القرون الوسطى . وفي كتاب (Convito) يشير دانتي إلى أبي معشر البلخي وإلى الفرغاني والغزالي وعالم الفلك العربي الأندلسي البطروجي (٣١) . وثمة إشارة إلى ابن سينا في كلٍ من (الكوميديا الإلهية) وكتاب (Convito) (٣٢) . ولا شك في أن دانتي كان على معرفة بهؤلاء المؤلفين عن طريق الترجمات اللاتينية لمؤلفاتهم . وكان دانتي على معرفة أكثر بمؤلفات ابن رشد التي لا شك في أنه كان على دراية حسنة

بها ، إذ نجد في العديد من مؤلفاته إشاراتٍ إلى ابن رشد (٣٣) . ويضع دانتي كلاً من ابن سينا وابن رشد في المَطْهَر (Purgatory) حيث يضع كذلك الفلاسفة اليونان . إن رحلة إلى الفردوس والمَطْهَر وجهنم هي رحلة رمزية للروح عبر هذه الأماكن بعد الموت . وقد كتب قصةً مماثلةً مؤلفٌ مجهول الاسم باللغة اللاتينية في البلاط الصقلّي أو القطالوني في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي (٣٤) . ولا يُعرف على وجه التحديد ما إذا كان دانتي يعرف هذه القصة ، إلا أن من المؤكد أن الرحلات الرمزية في الآخرة في الكتابات الفلسفية العربية كانت تشكّل مادة مصنّفٍ أدبي كُتب في جنوبي أوروبا قبل دانتي بزمن قصير . ولعلّ دانتي ، في حديثه عن المَطْهَر ، كان على معرفة بالمجموعة الطليطلية المسماة (Collectio) .

وقد أُضيفت أبعاد جديدة وتعرّزت النظرية عن مدى صلة دانتي بالآثار الإسلامية على أثر الدراسة التي قام بها مونيوز (Muñoz) وشيرولي (Cerulli) ، وخصوصاً الأخير منها ، للكتاب الموسوم بكتاب المعراج (Il libro della Scala) . وكان الكتابُ قد ترجمه من العربية إلى القشتالية طيبتٌ يهودى اسمه إبراهيم الفاقيم (al-Fagūm) في عهد الملك الفونس العاشر [الحكيم (حَكَم)] (١٢٥٢-١٢٨٤ م) . ثم تُرجم الكتابُ إلى اللاتينية باسم (Liber Scalae Machometi) ، وإلى اللغة الفرنسية القديمة باسم (Livre de l'eschiele Mahomet) . ولم يكتف شيرولي بملاحظة وتسجيل أوجه التشابه والتوافق ، مبنىً وروايةً ، بين هذا الكتاب الإسلامي الأصل عن الآخرة وبين (الكوميديا الإلهية) ، بل لاحظ أيضاً أن ثمة توافقاً في التفاصيل (٣٥) .

فهل عرف دانتي كتاب المعراج ، وإذا كان الأمر كذلك ، فإلى أى حدٍ كانت معرفته به ؟ ولدينا النقاط التالية التي تؤيد الافتراض الإيجابي . إن فازيو الأبرتي (Fazio degli Uberti) كان يعرف الكتابَ معرفةً حسنة . وقد كان الكتابُ معروفاً في إيطاليا ومتداولاً لقرون عديدة ، وحتى في القرن الخامس عشر الميلادي نجد أن روبرتو كاراكيولو (Caracciolo) يذكر الكتابَ بالتفصيل . إن كَوْن الكتاب قد توفّر وتُرجم إلى ثلاث لغات أوروبية يوحى بأنه كان واسع الانتشار في أوروبا في القرون الوسطى (٣٦) .

وفضلاً عن كتاب المعراج ، كانت أيضاً تتوفر في أوروبا في القرن الثاني عشر —

الثالث عشر الميلادي عدة روايات عن قصة الأسراء والمعراج . ومن هذه مجموع
نصوص (Codex) يرجع إلى القرن الثالث عشر الميلادي ألفه أنكاستيلو (Uncastillo)
والرواية التي سجلها رودريجو خيمينيث (Rodrigo Ximénez) في القرن الثالث عشر
الميلادي أيضا . وثمة رواية جدلية ، ولكنها أوسع انتشاراً نسبياً عن قصة الأسراء
والمعراج ، كتبها ريكولدو من مونتي كروشي (Ricoldo of Monte Croce) ، وهو مبشر
توجه إلى المشرق الإسلامي وزار بغداد في سنة ١٢٩١ م^(٣٧) . وثمة رواية شعرية عن
قصة الإسرائء والمعراج ، تقوم على كتاب المعراج (Il Libro della Scala) في كتاب
(Dittamondo) من تأليف فازيو الأبرتي ، وهو كتاب يكاد يكون من المؤكد أن
دانتي كان على معرفة جيدة به . وحتى بعد زمن دانتي ، نجد مؤلفات إيطالية في
القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين تدل على معرفة أصحابها بقصة الإسرائء
والمعراج .

كما أن فكرة المسلمين عن الجنة انتقلت عن طريق مصادر أخرى ككتاب
ثيوفونوس (Theophonus) البيزنطي الذي عُرف في غرب أوروبا ما بين القرنين التاسع
والخادي عشر الميلاديين ، وكتاب الحانخام الأرجوني بيتر الفونسو (Peter Alfonso)
في القرن الثاني عشر . وكتب بطرس المبعجل (Peter the Venerable) في القرن نفسه عن
الحياة الآخرة من وجهة النظر الإسلامية . وخلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر
الميلاديين ، ظهرت كتابات أخرى ذات طابع جدلي عن فكرة المسلمين عن
الجنة^(٣٨) . ويمكن الافتراض بأن دانتي لا بد وأنه كان على معرفة بمعظم هذه
المؤلفات .

على أن ما كتبه المسلمون عن الآخرة لم يكن بحال مصدر إلهام دانتي الوحيد أو
حتى المصدر الرئيسي . فقد كان للكتاب الكلاسيكية وما كُتب عن الكتاب
المسيحي المقدس تأثير عليه حتى أكثر عمقاً وتفصيلاً . ولعل بعض أوجه التشابه بين
ما كتبه المسلمون عن الآخرة وبين ما كتبه دانتي عنها جاءت من قبيل الصدفة .
فكتاب (الكوميديا الإلهية) هو أساساً كتاب ذو جذور عميقة في العقيدة المسيحية .
كما يرى شيرولي أن المادة العربية انتقلت عن طريق اللغة الأسبانية في القرون
الوسطى إلى كتابة القصة (Novella) الإيطالية . فالأقصوصة (Novellino) من تأليف
فيورينزيولا (Fiorenziola) ودوني (Doni) يمكن تتبع أصولها إلى مصادر عربية ، إلا أن

هذا الميدان ككل يحتاج إلى مزيد من الدراسة المستفيضة . واستمر التأثير العربي على كتابة الحكايات الإيطالية من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر الميلادي (٣٩) .

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، لفت فاليرجا (Valerga) الانتباه إلى بعض أوجه التشابه في الأفكار بين قصائد ابن الفارض [عمر بن الفارض الشاعر الصوفي المتوفى سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م] ومثالية الحب في شعر بترارك (Petrarch) . إلا أن طبيعة الحب في قصائد ابن الفارض ، كما لاحظ جابرييلي (Gabrieli) ، طبيعة صوفية بحتة ، بينما هي في شعر بترارك طبيعة دنيوية . ويُحتمل أن يكون بترارك قد عرف شيئاً عن الشعر العربي ، ولعل ذلك تم عن طريق بعض الترجمات إلى اللغة اللاتينية أو الإيطالية ، إلا أنه لم يحده موافقاً لذوقه وهواه (٤٠) .

الفصل الثاني عشر

الفنون الجميلة

إن رجار الأول الذي قُضِيَ ثلاثين عاماً في افتتاح صقلية أطرى جبال فن البناء العربي في الجزيرة والمهارة العجيبة في تشييده . إن حمّامات جفلوذي (Cefalu) وبقايا القصور والحمّامات [في القصر الملكي قرب بلرم] المعروف بالبحر العذب (Dolce Mare) هي أقدم الآثار المعمارية العربية التي ما زالت باقية في صقلية . ويلاحظ أن بناء هذه الحمّامات وزخرفتها لا يختلفان كثيراً عن بناء وزخرفة الحمّامات العربية في الأندلس وفي العراق على عهد العباسيين . وتشاهد عليها خطوط ملتوية خارجة عن المألوف ، وكتابات كوفية منمّقة مع زخرفة أرايسكية على شكل أوراق شجر متشابكة .

وباستثناء بقايا مسجد بلرم يقع بالقرب من كنيسة القديس يوحنا شفيع النّسك (San Giovanni degli Eremiti) فإنه لم تَبَقَ في الجزيرة مبانٍ دينية ترجع إلى الفترة العربية . كما أن المباني المدنية قد زالت كلّها تقريباً .

والأثر المعماري البارز الوحيد الذي بقي من هذه الفترة هو قصر الفوّارة (Favara) في بلرم ، ويرى أماري أنه يعود إلى عهد الأمير جعفر الكلبي (حَكَمَ ٩٩٨ — ١٠١٩ م) ^(١) . وكان في الأصل مجموعة مبانٍ حول ساحة تحيط بها من جوانبها الثلاثة بركة اصطناعية . ويوحى اسم القصر (الفوّارة) بأنه كان يحتوي على نوافير تستمدّ مياهها من أحد الجبال المجاورة . ولا تزال واجهة القصر تحمل بعض البواكي (arcades) ، وهو مظهر يتكرّر في فن العمارة النورماني — العربي فيما بعد . وعلاوة على قصر الفوّارة ، فإن على المرء أن يعتمد على المباني من الفترة النورمانية لكي يدرس فيها على وجه التحديد مظاهر الفن المعماري الصقلي الإسلامي ^(٢) . وثمة في بلرم أثر صغير ولكنه يعود إلى تاريخ متأخر ، وقد تغيّر كثيراً مع مرور الزمن ، وهو الباب المعروف بباب النصر ^(٣) .

وتفيد الدلائل الشرقية والغربية المعاصرة الباقية أن معظم صقلية ظلَّ يحمل طابع الثقافة العربية في الفن المعماري حتى نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي . وكانت معظم المدن ما تزال تحوي مساجد وحمّامات ومباني فخمة أخرى شُيّدت على الطراز الإسلامي ^(٤) . وفي زمن الشريف الأدريسي [منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي] كانت بلرم تنقسم إلى قسمين : القصر ، والمنطقة المسوّرة التي سمّاها النورمان « المدينة » (borgo) . وكانت منطقة القصر تشتمل على قصور وكنائس ومساجد وحمّامات ومتاجر ومنازل كبار التجار . وكان النورمان قد حوّلوا المسجد الجامع إلى كاتدرائية مسيحية . أما « المدينة » (borgo) فكادت أن تكون مدينةً أخرى ، وكانت المدينة القديمة ، وهي تضمّ الخالصة من أيام المسلمين ، كما كانت تشغل مساحةً واسعةً ، وبها المنازل والمتاجر والحمّامات والمساجد ^(٥) . وفي عهد رجار الثاني ، يبدو أن قطانية قد احتفظت بطابعها الإسلامي حتى أكثر مما احتفظت به بلرم ، وكان بها عدّة مساجد وحمّامات وفنادق ^(٦) .

ويلاحظ المرء مظاهر عربية في الفن المعماري بالمنطقة الساحلية في مَلَفْ (Amalfi) وسالرنه في شبه الجزيرة الإيطالية ^(٧) . إن تعاقب الحجارة الداكنة اللون والباهتة اللون على التوالي في خطوط أفقية هو مظهر يوجد بكثرة في الفن المعماري في القاهرة . مع أنه قد يكون من أصل روماني أو بيزنطي . ويظهر هذا التأثير القاهري في بعض واجهات المباني المخطّطة في المدن الإيطالية مثل بيش (Pisa) وجنوة وفلورنسة وسينا ، في حين إن المنارة الإسلامية ، وخصوصاً طرازها المغربي ، قد تكون ذات أثر في تصميم أبراج أجراس الكنائس الإيطالية ^(٨) .

إن البرج المسمّى « برج بيش » بالقصر الملكي النورماني في بلرم مقتبس من قصر المنار في قلعة بني حمّاد الذي شُيّد في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي . وللبرج محور مربع في وسطه كالنواة ، وتوجد غرفة في كل طابق ، وحول المحور المركزي دهليز يقع بينه وبين الجدار الخارجي المحيط به ^(٩) . وفي مدينة رقيْلُو (Ravello) بإيطاليا يبدو أن الأحواض في كنيسة القديس جوفاني ذات البرج (San Giovanni del Toro) تأثرت بالتصميم الفاطمي أو الأيوبي ^(١٠) . وقد يكون ثمة عنصر عربي في عدد من القلاع الخربة في إقليم مازر كقلاع بونفاط (Bonifato) ^(١١)

وَأَنْتَلَّة (Entella) ، حيث استمرت مقاومة المسلمين أطول مدة ، و [قلعة العربي ؟] (Galatamauro) ، فضلاً عن بعض الحصون في إقليم نوطس (١٢) .

إن المظهر العام لفن المعمار النورماني في صقلية هو مظهر نورماني ، إلا أن الفنانين اليونان والعرب هم الذين قاموا بأعمال الفسيفساء وجمّلوا داخل الجدران ، ونقشوا الرسوم على السقوف والجدران وزخرفوا « بمزيج من الألوان الزاهية مباني كانت ستظل في الشمال [شمال أوروبا موطن النورمان] مباني فخمة ولكنها بسيطة عارية عن كل زخرف » (١٣) . وتبدي المظاهر الطولية لكاتدرائية مونريالي ، التي شُيّدت حوالي سنة ١١٧٤ م ، تأثيراً بيزنطياً في الزخرف الهندسي والتشابك الدائري ، كما تُبدي تأثيراً عربياً في زخرفها الأرابيسكي ، على شكل أوراق شجر متشابكة ، وفي تشابكها متعدد الأضلاع . وإن غزارة الألوان وتناسقها الدقيق يشهدان بطغيان المؤثرات الشرقية (١٤) . وقد تمّ تقليد هذا الطراز في سالرنه وعدة أماكن أخرى في جنوب إيطاليا . وفي وسط الأعمدة البيزنطية برواق كاتدرائية مونريالي نافورة مغربية تذكر المرة بغرناطة وأشبيلية .

إن ضريح بوهند في كانوسا ، بتصميمه الهندسي ذي الأضلاع الأربعة وقبته ، يبدو تقليداً مباشراً للأضرحة الإسلامية . كما يوجد في بلرم كنيسة أخرى يظهر فيها تفوق التأثير العربي . وهاتان الكنستان هما كنيسة القديس يوحنا شفيع النسك (San Giovanni degli Eremiti) التي بُدِيء بتشييدها في عهد رجار الثاني ، وكنيسة القديس كاتالدو (San Cataldo) ، التي بناها الوزير مايو (Maio) على ما يُحتمل . وفي كنيسة القديس يوحنا ثلاثة صحن ، تفصل بينها أعمدة دقيقة من الرخام ، تنتهي بثلاثة تجاويف نصف دائرية ، والتجاويف الأوسط منها أطول من التجويفين الآخرين . وتتعلّق البواكي الحادة المقامة على الأعمدة ، وتُسند قبة . وفي كنيسة القديس كاتالدو تعلو الصحن الرئيسي ثلاث قباب تتخلّلها نوافذ وتسندها أعمدة دقيقة من الرخام ترتكز عليها الأقواس المزدوجة ذات الزوايا الحادة . ويعلو الجدران عرف من الحجر المنحوت ، وهو ضرب من السور المزخرف في ظاهرة خروم دقيقة (١٥)

وفي كنيسة القديسة ماري ، [التي شيّدها مقدّم الأسطول النورماني جورج الأنطاكي في عهد رجار الثاني] وهي المعروفة باسم لامرتورانا (la Martorana)

وكذلك في بعض الكنائس الأخرى من الفترة النورمانية ، يجد المرء القوس المنحني المسنن العربي وقد شُوِّعَ أعلاه . ومن بين المظاهر المعمارية المقتبسة عن المعمار في شمال إفريقيا الأعمدة المزخرفة ذات الأطواق المنحوتة البارزة في أعلاها . ويوجد عمودان من هذا القبيل في كنيسة لامرتورانا ، كما يوجد عمودان آخران في متحف بلرم . أما الزخرف المنحوت على أبواب كنيسة لامرتورانا فهو من أصل مصري (١٦) .

وإلى العرب يعود الفضل في نقل تقليد وأساليب تشييد المباني وسط البساتين والجنان إلى جزيرة صقلية . وكان يحيط ببلرم النورمانية حزام من المباني المشيدة وسط البساتين كقصري العزيزة (La Ziza) والقبة (La Cuba) . وترتم الشعراء المادحون لرجار الثاني ويشيدون بالبساتين ذات القنوات المليئة بالأسماك والطيور محلقة فوقها (١٧) .

إن طابع شخصية رجار الثاني ، وكذلك التأثير العربي في درجات متفاوتة ، ظاهران في المعالم المختلفة التي ترجع إلى عصره ككاتدرائية جفلوذي (Cefalu) وكنيسة القصر الملكي في بلرم وأقبية كاتدرائية بلرم ، حيث بقي اسمه في كتابة عربية منقوشة (١٨) .

أما قصر القبة (La Cuba) ، فقد شيده وليام الثاني من الحجر الجيري الجيد القطع . والتفاصيل المعمارية لهذا القصر المستطيل الشكل تذكّر المرء بقصور بني حماد . وترتفع تجاويف الحائط من أرض القصر إلى سقفه ، وتقسّم واجهة البناء وتحيطها حاشية مزخرفة كما هو الحال في مباني الفاطميين في المهديّة . وترتكز الأقواس عند القاعدة على أربع منصّات من الأضلاع . والأجزاء العليا من الأقواس مزينة بطاقات طويلة تعلوها صدفات حلزونية ذات قنوات زاهية اللون . وفي أسفلها حاشية نقش عليها بخط مشبك اسم وليام الثاني والتاريخ ١١٨٠ م . وحسب خطة البناء الأصلية كان داخل قصر القبة يشتمل على قاعة في الوسط وقاعتين جانبيتين . أما القاعة الوسطى ، التي كانت تطلّ عليها الطاقات المستطيلة الشكل ، فكانت تعلوها قبة ، ومن هنا اشتق اسم القصر . وقد بقيت إلى يومنا هذا مباني قصر القبة في دار البحر في قلعة بني حمّاد (١٩) .

وقد بُدِيَءَ بتشيد قصر العزيزة (La Ziza) في عهد وليام الأول ، وفُرج من بنائه في عهد وليام الثاني . وكقصر القبة ، فإن قصر العزيزة هو الآخر بناية مستطيلة

الشكل ، ولكنه أكثر منه اتساعا . والقصر مزين من الخارج — الواجهة الأمامية والجوانب الثلاثة الأخرى — بثلاث منصات من الأقواس المنحنية ذات رؤوس مشوّهة في إطار مستطيل الشكل . وعلى الواجهة حاشية عليها كتابة منقوشة . وفي الداخل توجد قاعتان كبيرتان إحداهما تعلو الأخرى ، وتحيط بالقاعتين وعلى جوانبهما حجرات أصغر حجماً وأقل ارتفاعاً ، وهي تشكّل مرحلة متوسطة . وكان بالقاعة في الطابق الأرضي قبو ذو كوى . وكانت القاعة في الطابق الأول مغطاة بالكوى كقصور بني حمّاد . والقبو ذو المظلات مقتبس عن الطراز المعاري الصنهاجي ، إلا أن المظهر المستحدث في طراز قباء هذا القصر الصقلي هو العارضة المقرّنة التي لا تغطي كوى القاعة في الطابق الأرضي فحسب بل تغطي أيضا كوى الحجرات الجانبية فوقها (٢٠) .

وكانت توجد في الكوة المقابلة للمدخل نافورة ، وكان الماء ينساب في قناة رخامية إلى القاعة لتلطيف الهواء . وهذه الفكرة لقناة ينساب مائها إلى قاعة مستمدة من مدينة القسطنطينية . وقد ترك ليناردو ألبرتي (Leonardo Alberti) الذي زار صقلية في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي وصفاً شيقاً لقصر العزيزة (La Ziza) . فعبّر بوابة ذهبية يدخل المرء بهواً ، ومنه يمر عبر باب آخر إلى فناء مربع مسور ، به كوى صغيرة على جوانب الثلاثة ، ويعلوه سقف على شكل قبو ذي أقواس . وكانت جدران السور المحيط مغطاة بالرخام . وكان في القاعة نافورة ذات حوض رخامي ، تعلوها أشكال من الفسيفساء لنسر وطاووسين ورجلين يحملان قوسين ونبالاً ، وهما يصوبانها على طيور . وكانت ثمة جداول صغيرة جميلة تنقل الماء من حوض النافورة إلى أحواض صغيرة أخرى إلى أن ينساب الماء كله إلى بركة صغيرة مليئة بالأسماء أمام القصر (٢١) . وتدل الكتابات العربية المنقوشة المتشابهة في كل من قصر القبة وقصر العزيزة على أن معظم الفنانين الذين قاموا بنقشها هم من المسلمين .

والقُبَيْبَةُ (Cubula) سرادق صغير يقع في حديقة قصر القبة ، وهو شبيه بفناء المسجد الفاطمي في مدينة صفاقس ، وتقوم قبة نصف كروية على أساس كالطوق يقوم بدوره على أربعة أعمدة ترتكز عليها أربعة أقواس « متقطعة » . أما كنيسة القصر الملكي (Capella Palatina) ، فقد تمّ تشييدها وزخرفتها ما بين

عامي ١١٣٢ و ١١٤٣ م . وكما يقول كوت (Cott) ، فإن سقف صحنها يتكوّن من صفّين من الزخارف الوردية الشكل ذات صور متناثرة وزخرفة أرابيسكية على شكل أوراق شجر متشابكة ، في إطار من النجوم المثمنة الزوايا ، تحتوي ثماني عشرة منها على كتابات كوفية وأما الجزء الأدنى من السقف ، وهو تصميم نموذجي إسلامي مُقرّنس ، فيتكوّن من حوامل حواشي لا عدّها لها الواحد منها فوق الآخر . ويشتمل الممرّ الجانبي المنحدر على عدد من القنوات العميقة ، تنتهي في أنصاف دوائر تزيّنها تماثيل نصفية لأشكال بشرية . ويحيط بجميع التصميمات الزخرفية خطوط سوداء ، والسقف بُرّمته مطلي بالألوان الحمراء والزرقاء والخضراء والبيضاء والذهبية الزاهية (٢٢) .

وقد نوّه مُنوريه دو فيلار (Monneret de Villard) بوجود بعض التشابه في بناء سقف كنيسة القصر الملكي ، وبين بناء المسجد الجامع في قرطبة . إلا أنه يمكن القول إجمالاً بأن هذا النمط من البناء ليس شائعاً في المغرب . ولعلّ تصميم السقف على شكل خلایا النحل انتقل إلى صقلية مباشرة من المشرق في أوائل القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، قبل أن يحظى بالقبول في شمال إفريقيا . وفي الجانب الشرقي من السقف ، يلاحظ المرء أن السطح الأسفل للعوارض مزخرف بسلسلة من الزخارف الصغيرة على شكل وردات تشبه الجصّ الزخرفي في سامراء [سرّ من رأى] . كما أن عدداً من الأشكال الزخرفية الأخرى في السقف ، يمكن إرجاعها آخر الأمر إلى التصميمات الزخرفية في تلك العاصمة العباسية (٢٣) .

ويمكن إرجاع بعض الكتابات الزخرفية العربية في السقف إلى النمط الفاطمي . وبالجملة ، يمكن التمييز بين أربعة أنواع من الخطوط في هذه الكتابات في كنيسة القصر الملكي هي : النسخ ، الكوفي الفاطمي ، وكتابة كوفية بحروف أكبر ، وكتابة أخرى ذات حروف دقيقة متشابكة (٢٤) .

ولم يبقَ جانب من الصور الأصلية التي رسمها الفنانون العرب على السقف . وقد أعيد رسم بعض الصور كلية في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، وتضرّرت كثيراً بعض الصور الباقية . ومع ذلك ، فإنه بقي من عمل الفنانين والمزخرفين العرب ما يكفي لإعطائنا فكرة واضحة عن فنهم وأساليبهم . وتنتمي هذه الرسوم على سقف كنيسة القصر الملكي إلى المدرسة الفاطمية في مصر . وهذا التقليد

في مصر يرجع إلى أيام الطولونيين . وقد ازدهرت مدرسة نشيطة للرسم في مصر في عهد الفاطميين^(٢٥) . وهذا التقليد الفاطمي تأثر بدوره بأسلوب سامراء ، وهو إلى حد كبير مظهر من مظاهر الهلينية الآسيوية التي تأثرت كثيراً بالأنماط الساسانية^(٢٦) . وقد قام مونوريه دو فيلار بتحليل مفصل للصور في هذه الرسوم^(٢٧) . إن مادة الصور في كنيسة القصر الملكي مادة غنية إلى حد ما . وتتكرر كثير من هذه الصور . ويلاحظ أن الطبيعة الزخرفية البحتة لهذه الرسوم تتمشى مع التقليد الإسلامي ، وتختلف كل الاختلاف عن الرسوم الحائطية المسيحية . ويبدو أن رسامي الصور على سقف كنيسة القصر الملكي كانوا مولعين بتصوير الحيوانات ، وخصوصاً الطيور . وكثيراً ما يحمل الطائر المرسوم ورقة في منقاره ، وهي فكرة ساسانية . وأكثر الطيور المرسومة هو الطاووس ، مما يعكس التقاء التقاليد العباسية والبيزنطية . وفي تمثيل الطيور ، يجد المرء نفس الأفكار الموجودة في الفنون الإسلامية الصغرى والمنسوجات الإسلامية . ويحتل الأسد مكان الصدارة بين الحيوانات المرسومة ، ونجد أحياناً رسماً له وهو يصارع ثعباناً . وفكرة أخرى هي الباز أو الصقر وهو ينقض على حيوان كالأرنب أو الظبي . وهذه فكرة فارسية تعود إلى أيام الأمباطورية الفارسية في عهد الأسرة الأخمينية . وشجرة النخيل أكثر الأشجار ظهوراً في الصور ، وهي مرسومة حسب نمط معين .

ومعظم الرسوم البشرية على سقف كنيسة القصر الملكي هي لأشخاص في مجالس الأنس والمرح . وبعضهم يرتدي غطاء رأس المسلمين كالعمامة أو القلنسوة . كما تظهر راقصات في الرسوم ؛ ويظهر العازفون تصحبهم آلات موسيقية معروفة في العالم الإسلامي . ويمكن إرجاع رسوم الراقصات على سقف كنيسة القصر الملكي إلى تقليد سامراء ، حيث اقتبس عن الساسانيين . وإجمالاً فإن هذه الرسوم الراقصة تعطي انطباعاً عن الحركة الجامدة أفضل مما تُعطيها نظائرها في الفن الإسلامي المبكر . وثمة مشاهد مصارعة ، وصور لأشخاص يشرحون حيواناً كالغزال أو الطاووس ، ومدرّبون للصقور . كما أن ثمة صورة لرجل يتناول الطعام على الطريقة الأوروبية ، ويتولى الخدم حمل الطعام إليه . وهناك رسوم عديدة أخرى لأشخاص تُلقي بعض الضوء على الحياة البومية للنورمان والعرب وغيرهم في صقلية النورمانية . وثمة مجموعة أخرى من الرسوم في كنيسة القصر الملكي لمخلوقات أسطورية كأي

الهول على صورة أسد ورأس امرأة ، وعنقاوات ، وحوريات ، ومخلوقات شرسة لها وجه امرأة وجناحا طائر ومخلباه . أما الفارس الذي يصارع ثيئناً ، فقد يكون مظهرأً فنياً أوروبياً وقد لا يكون كذلك ، إذ إنه يظهر أيضاً في الفن الإسلامي المبكر . ولا تعطي هذه الصور انطباعاً عن وجود فكرة لرسم الصور وفق نظام خاص ، إذ إننا نجد لها متناثرة على السطح حسبما يحلو للفنانين ، وتتميز أساليب هؤلاء الفنانين المجهولين بالفردية إلى حد كبير . ويرى مونوريه دو فيلار أن هؤلاء الفنانين يمكن تقسيمهم إلى فئات مختلفة : من مزخرفين ، إلى رسامين لصور الحيوانات بينهم وبين فناني المنسوجات تشابه كبير ، ورسامين للأجسام البشرية تتميز رسوماتهم بأن لها تأثيراً ذا بُعد مزدوج (٢٨) .

وعن طريق المدن التجارية الإيطالية كجنوة وبيش والبندقية أدخلت المظاهر الزخرفية للفن الإسلامي على فن الرسم الإيطالي ، وخصوصاً في النماذج الأولى لمدرسة سينا وفي فن تسكانيا . فإن جيوتو (Giotto) والراهب أنجليكو (Fra Angelico) والراهب ليو (Fra Lippo) استعملوا في أعمال الزخرفة لرسوماتهم حروفاً عربية صحيحة أو غير صحيحة . وقد تكون هذه المظاهر الزخرفية عُرفت في إيطاليا عن طريق استيراد الحرير والقناديل والأواني النحاسية من المشرق (٢٩) .

ويشك مونوريه دو فيلار في وجود دور طراز عربية لصناعة الأقمشة الفاخرة في عهد النورمان ، ويعتبر الصناعة من أصل بيزنطي (٣٠) . إلا أن عباءة رجار الثاني ، التي ما زالت محفوظة في متحف كونسيشتوريستش (Kunsthistorisches) في فيينا ، ليست الدليل الباقي الوحيد على وجود دور طراز نورمانية عربية . فقد وصلنا كذلك رداء حريري أبيض اللون لوليام الثاني ، وهذا الرداء مزين بحاشية كبيرة مخيطة ذات لون أرجواني وذهبي ، وعليها كتابة باللغتين اللاتينية والعربية بألقاب وليام الثاني والسنة ١١٨١ م (٣١) . ولن نجانب الصواب إذا نحن استخلصنا بأن الحائكين الإيطاليين حصلوا على معلوماتهم عن صناعة القماش الحريري الرفيع وزخارفه من دور الطراز النورمانية العربية ، التي يكاد يكون من المؤكد أنها كانت قائمة في الجزيرة . ولا شك في أن هذا التقليد العربي قد تم توليفه وجمعه مع التقليد البيزنطي ، وخصوصاً بعد سنة ١١٤٧ م ، حينما وقع الحاكمة اليونان في الأسر أثناء غارات النورمان في منطقة بحر ايجه ، وأحضروا إلى صقلية (٣٢) . وما إن أطل القرن الثالث

عشر حتى أصبحت صناعة نسج الحرير صناعة رئيسية في عدة مدن إيطالية (٣٢) .
وقد لاحظ كوت (Cott) وجود أوجه شبه بين تصاميم زخارف المنسوجات
النورمانية العربية وأساليبها وألوانها وبين تصاميم زخارف وأساليب وألوان المصنوعات
العاجية التي أنتجها الصناع العرب في صقلية النورمانية إبان القرن السادس
الهجري / الثاني عشر الميلادي . ومعظم هذه المصنوعات العاجية هي على هيئة
صناديق أو أسفاط أو صناديق كبيرة للعرائس ، وقد احتفظ بها في كنائس أوروبية
مختلفة . وكان لهذه بدورها تأثير على مجموعة أخرى من العاجيات المصنوعة في شمال
إيطاليا إبان القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي والتي لها طابع قوطي أكبر .
والأسفاط العاجية مستطيلة الشكل أو ذات أشكال أخرى ، ولها أغطية ذات
مفصلات ، ولهذه الأغطية أشكال مسطحة أو هرمية مبتورة . والأسفاط الكبيرة منها
عبارة عن لوحات رقيقة من العاج داخلها من الخشب ، وأما الصغيرة منها فهي من
العاج الصرف بدون داخل خشبي . ومن هذه المصنوعات العاجية صناديق أسطوانية
الشكل مصنوعة من قطعة واحدة من العاج بدون وسط داخلي من الخشب ، وقعر
الصندوق وغطاؤه من قطع العاج المنفصلة . وثمة تشابه كبير بين أساليب الألوان
والمعلومات المتصلة بمظاهر الزخرفة الفنية ، وبين مظاهر الزخرفة الفنية والتصاميم
الزخرفية والألوان في سقف كنيسة القصر الملكي (٣٤) . والاتجاه الزخرفي للمصنوعات
العاجية يقوم على التناسق وعلى التقيد بأسلوب معين ، والقليل منها واقعي التصوير .
وبعض هذه المصنوعات العاجية ذات تصاميم زخرفية مجردة وهندسية « تزيئها أشكال
زخرفية منفصلة صغيرة ، وهي عبارة عن دوائر محززة منقطة أو دوائر ذات مركز
واحد » . والتصاميم الزخرفية عبارة عن رسوم أزهار أو حيوانات أو بشر ، والرسوم
البشرية منها تمثل الصيد وحياة البلاط وصوراً للقديسين النصاري (٣٥) .

الفصل الختامي

لوشيرة

بقي آخر بضعة آلاف من مسلمي صقلية بعد نقلهم من الجزيرة بضعة عقود من الزمن في موطنهم الجديد في مدينة لوشيرة (Lucera) في هضبة بولية (Apulia) [إلى الشمال الشرقي من مدينة نابولي] حيث مارسوا الزراعة كسباً لأقواتهم . وما أن كفوا عن الثورة ، حتى أخذ في تجنيدهم في جيش فردريك الثاني . وقد رافقت الأباطور في حملته الصليبية فرقة من هؤلاء المسلمين من لوشيرة . كما أن فردريك عهد إلى مسلمين بحراسة الحصن الضخم الذي كان قد شيده في لوشيرة ، واستخدم المسلمين رماة في جيشه . وزوده صنّاع المسلمين بأسلحة وسهام مسمومة من صنعهم ، ليستعملها جنوده في حروبهم في البلاد المسيحية . وفي حصن لوشيرة ، كان يوجد جانب من الخزانة الأباطورية وراقصاته من السبايا العربيات . وقد قاوم فردريك كل الضغوط الصادرة عن الكنيسة لتنصير مسلمي لوشيرة بالإكراه ^(١) .

كانت مدينة لوشيرة أشبه ما يكون بجزيرة صغيرة ذات هوية عربية وسط بحر من المؤثرات والضغوط الإيطالية . وحتى بعد زوال حكم أسرة هوهنشتاوفن [الألمانية] وقيام حكم أسرة أنجيفين (Angevin) [الفرنسية] ^(٢) ، ظلت المدينة تحتفظ بشيء من ثقافتها العربية . وقد وصلتنا وثيقة ^(٣) تُختم ببيانات عربية ، يرُد فيها اسم ريكاردو اللوشيري (Riccardo of Lucera) الذي كان ، بالرغم من اسمه المسيحي ، ما يزال مسلماً على ما يُحتمل ، وتولّى في سنة ١٢٧٢ م منصب (miles) ، أي أنه كان موظفاً تابعاً للشرطة في لوشيرة . كما يرُد اسمه في وثائق أخرى تتعلق باستخدام الجنود العرب في لوشيرة . ثم فقد ريكاردو الخطوة لدى شارل الثاني صاحب أنجو ، وصودرت ممتلكاته وُزجَّ به في السجن حيث توفي في سنة ١٢٨٩ م . وكان لابنيه حجّاج وعلي اسمان مسلمان . إن هذه الوثيقة على جانب من الأهمية ، إذ إنها تبين أن العرب ، حتى آخر أيام مستوطنة لوشيرة تقريباً ، كانوا يستطيعون الكتابة بلغتهم ، ويكاد يكون

من المؤكد أنهم كانوا يتكلمون العربية فيما بينهم ، بالرغم من انقطاعهم الطويل عن عالم الإسلام .

يبدُ أن سياسة أسرة أنجيفين كانت تستهدف تنصيرَ مسلمي لوشيرة باللجوء إلى الإقناع وشيء من الضغط أولاً ، ثم باللجوء إلى الإكراه آخر الأمر . وعُهد إلى المسلمين المنتصرين بمناصب ذات مسؤولية ، حتى مع أنهم احتفظوا إلى حد ما بهويتهم العربية . ففي سنة ١٢٩٣ م ، عُيِّن جوفاني سراسينو (Giovanni Sarraceno) مسؤولاً عن ميناء مفريدونيا (Manfredonia) ^(٤) . وكانت زيارة ريمون لل ^(٥) (Raymond Lull) للوشيرة في سنة ١٢٩٤ م تحت رعاية شارل الثاني صاحب أنجو وبتشجيع كبير منه ، وجاء في الأمر [الملكي] الذي أصدره إلى هنري جيرارد (Girard) متولي لوشيرة قوله : « حينما يصل الرجلُ الرفيعُ الشأنُ ريمونَ لُلَّ إلى مقاطعة لوشيرة المذكورة أعلاه ، للتداول مع مسلمي لوشيرة ، بشأن العقيدة الكاثوليكية ، فإنه إنما يفعل ذلك بإذننا وبعلمنا ، ونحن نأمركم ، أيها السيد الفاضل ، أمراً أكيداً بقوة وعلى وجه السرعة — فالسيد ريمون المذكور أنفاً قد فُوِّض تفويضاً صحيحاً للقيام بهذه الأمور — بأن تقدّموا له ، لدراسة هذه الأمور المذكورة أعلاه ، كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، حسنَ ودِّكم ومساعدتكم ومشورتكم في الوقت المناسب » ^(٦) .

وقُضي آخر الأمر على المستوطنة العربية في لوشيرة بأمر من شارل الثاني صاحب أنجو ما بين يومي ٢٨ ذي القعدة و٧ ذي الحجة عام ٦٩٩ هـ / ١٥ — ٢٤ أغسطس سنة ١٣٠٠ م . فتمَّ تنصيرُ مسلمي لوشيرة عنوةً وكرهاً ، وانتهى بذلك تماماً الوجود الإسلامي في صقلية وإيطاليا ^(٧) .

الفصل الأول

- (١) أمارى ٢٣٢/١ وما بعدها .
- (٢) البلاذرى : فتوح البلدان ٣٢٥ . ابن أبي دينار : المؤنس ، تحت سنة ٣٣ ، في (المكتبة) ص ٥٢٦-٥ . ابن عذارى : البيان المغرب ، تحت سنة ٣٣ ، في (المكتبة) ص ٣٥٣-٢ .
- (٣) فاسيلييف : البيزنطيون والعرب (بالفرنسية) ص ٦٢ .
- (٤) البلاذرى : فتوح البلدان ٢٣٧-٥ . النويرى : نهاية الأرب ، تحت سنة ٣٣ ، في (المكتبة) ص ٤٢٦-٥ . هوينريخ : « الملاحه الاموية في البحر المتوسط . . » ص ٩٨٧٧ ، انظر (Hoenerbach) في ثبت المراجع .
- (٥) ج . ب . برى (Bury) : « السياسة البحرية للإمبراطورية الرومانية تجاه الولايات الغربية . . » في (ذكرى أمارى (Centinario) ، ٢ (١٩١٠) ص ٢٤-٢٥ .
- (٦) أمارى ٢١٩-١٩٥/١ . فاسيلييف (Vasiliev) : البيزنطيون والعرب (بالفرنسية) ص ٦٣ .
- (٧) أمارى ٢/١-٢٤٣ ، ٢٩٠ .
- (٨) فاسيلييف ٦٣ .
- (٩) أمارى ٢٤٨/١ ، ٢٩٥-٤ .
- (١٠) فاسيلييف ٦٣ .
- (١١) أمارى ٢٩٧/١ .
- (١٢) ابن الأثير ١٤٢-١/٥ . ابن خلدون : كتاب العبر ١٨٩/٦ . النويرى : نهاية الارب ، (المكتبة) ص ٤٢٧ . ج . مارسنيه (Marçais) : المغرب الاسلامى (بالفرنسية) ص ٤٦ .
- (١٣) ابن الاثير ٣٤٩/٥ . فاسيلييف ٦٤ . برى (Bury) ، انظر في موضعه في (ذكرى أمارى) ٢٦/٢ .
- (١٤) ابن الأثير ٣٣١/٥ ، ٩٦-٩٢/٦ . ياقوت : معجم البلدان ٣٧٤/٥ . مارسنيه (Marçais) : المغرب الإسلامى ٥٢ ، ٦٤ .
- (١٥) أمارى ٣٣٢/١ ، ٢-٣٤٣ ، ٢٧١ .
- (١٦) نفس المصدر السابق ٢/١-٣٥٣ . فاسيلييف ٦٤ .
- (١٧) أمارى ٣٥٧-٣٥٠/١ . فاسيلييف ٦٤ .

الفصل الثاني

- (١) ج. ب. بى (Bury): « السياسة البحرية للأمبراطورية الرومانية تجاه الولايات الغربية . . » ، في (ذكرى أمارى (Centanaria)، ٢٦/٢ .
- (٢) ف. جابوتو (Gabotto): فيسى والحركة الانفصالية في إيطاليا البيزنطية (بالإيطالية) . فاسيليف ٦٦-٦٩ . انظر ابن الاثير ٢٣٦/٦ .
- (٣) فاسيليف ٧٠ .
- (٤) ابن الاثير ٢٣٦/٦ . المالكي : رياض النفوس ، في (المكتبة) ص ١٨٠ . النويرى : نهاية الأرب ، في (المكتبة) ص ٧-٤٢٨ . فاسيليف ٧٢ .
- (٥) ابن الاثير ٢٣٦/٦ . ابن عذارى ٩٥/١ . ابن خلدون : كتاب العبر ٢٥٣/٣ . النويرى : نهاية الأرب ، في (المكتبة) ص ٤٢٨ . المالكي : رياض النفوس ، في (المكتبة) ص ٣-١٨٦ . أمارى ٤/١-٣٩٩ . فاسيليف ٧٣ .
- (٦) فاسيليف ٦١ .
- (٧) ابن الاثير ٢٣٧-٦/٦ . ابن عذارى ٩٥ . أمارى ٤/١-٤٠٩ . فاسيليف ٧٩-٨١ .
- (٨) ابن الاثير ٢٣٨-٧/٦ . أمارى ٤١٠/١-٤١٦ . فاسيليف ٨٢-٨٧ .
- (٩) ابن عذارى ٩٧/١ . ابن الاثير ٢٣٨/٦ . أمارى ١/١-٤٢٢ . فاسيليف ٨-١٢٩ .
- (١٠) ابن الاثير ٢٣٨/٦ . فاسيليف ١٢٩-١٣١ .
- (١١) أمارى ٤٣١/١ .
- (١٢) ابن الاثير ٢٣٨/٦ . أمارى ٦/١-٤٢٧ .
- (١٣) و. ج. تيشسين (Tychoesen) ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، ٤٣/١ .
- (١٤) ابن الاثير ٢٣٩-٨/٦ . ابن عذارى ٩٧/١ . أمارى ٤٣١/١ . فاسيليف ١٣١ .
- (١٥) ابن الاثير ٢٣٩-٨/٦ . أمارى ٢/١-٤٣٧ . فاسيليف ١٣٣ .
- (١٦) ابن الاثير ٢٣٩/٦ .
- (١٧) ابن الاثير ٢٣٩/٦ . أمارى ١/١-٤٣٨-٤٤١ . فاسيليف ٤/١٣٥ .
- (١٨) فاسيليف ٥-١٣٦ .
- (١٩) أمارى ٢/١-٤٤٧ . فاسيليف ٧-١٨٨ .
- (٢٠) ابن الاثير ٣/٧ . فاسيليف ٤-٢٠٥ .
- (٢١) ابن الاثير ٣/٧-٤ . تاريخ كمبردج ، في (المكتبة) ص ١٦٦ .
- (٢٢) فاسيليف ٢٠٦ .
- (٢٣) نفس المصدر السابق ٢٠٧ .
- (٢٤) ابن الاثير ٤/٧ .
- (٢٥) نفس المصدر السابق ٤/٧-٥ . أمارى ٤٥٥/١ .

- (٢٦) ابن الاثير ٧/٤٠-٤٢ . أمارى ١/٤٥٥-٤٧٢ .
- (٢٧) ابن الاثير ٧/٤٢ . ابن عذارى ١/١٠٦ . ف. أميقو (Amico) : المعجم الطوبوغرافي ١/١١٨-٥ . أمارى ١/٢-٤٧٣ . فاسيلييف ١-٢٢٢ .
- (٢٨) ابن الاثير ٧/٨-٦٩ .
- (٢٩) نفس المصدر السابق ٧/٦٩ .
- (٣٠) فاسيلييف ٢٦٣ .
- (٣١) ابن الاثير ٧/٦٩ .
- (٣٢) فاسيلييف ، ينظر في موضعه .
- (٣٣) ابن الاثير ٧/٧٠ .
- (٣٤) أمارى ١/٥٣٣ .
- (٣٥) نفس المصدر السابق ١/٥٣٧ .
- (٣٦) ثيودوسيوس ، النص اللاتيني في و. جايتاني (Gaetani) : حياة قديسي صقلية ، بلرم ١٦٥٧ . ب. لافانيني (Lavagnini) مقال بعنوان « احتلال العرب لبلرم ورسالة الراهب ثيودوسيوس » (بالإيطالية) ، مجلة (Byzantion) ، مجلد ٢٩-٣٠ (١٩٦٠-٥٩) ص ٢٦٧-٢٧٩ .
- (٣٧) ابن الاثير ٧/٢٥٢ .
- (٣٨) نفس المصدر السابق ٧/٢٥٨ .
- (٣٩) أمارى ٢/٨١-٨٤ .
- (٤٠) نفس المصدر السابق ٨٥-٩٢ .
- (٤١) ر. ه. دولي (Dolley) : « قائد البحر الأعلى يوستاثيوس أرجيروس وتسليم طبرمين غدارا للعرب الافارقة في سنة ٩٠٢ » ، مقال (بالإنجليزية) في كتاب (ذكرى امارى (Centenario) ، ٢/٣٤٠ .
- (٤٢) نفس المصدر السابق ص ٣٤٠-٣٤٢ .
- (٤٣) أمارى ٢/١٠٤ .
- (٤٤) موراتوري (Muratori) ، يُنظر الكتاب تحت اسمه في ثبт المراجع ، ١/٢ ، ٧٤ .
- (٤٥) أمارى ١/٦-٦٠٧ .
- (٤٦) نفس المصدر السابق ٢/١٦٥ حاشية رقم ٣ .
- (٤٧) ج. جاي (Gay) : إيطاليا الجنوبية والأمبراطورية البيزنطية (بالفرنسية) ١/٥٠ .
- (٤٨) ج. دياكونو (Diacono) : Chronicon Venetum في بيرتر Scriptores ٧/١٧ . ابن الاثير ١/٣٥٠-٥٢ . جاي (Gay) ١/١-٥٢ .
- (٤٩) برى (Bury) ، في كتاب (ذكرى امارى (Centenario) ٢/٢٧ . جاي (Gay) ١/٢٥-٦٩ . فاسيلييف ٢٠٩-٢١٢ . بيرترز (Pertz) ٣/٢٤٧ .

- (٥٠) برى (Bury)، يُنظر في موضعه ص ٣٠-٣١.
- [الجراجمة، ويسميه المسلمون المردة لكثرة تمردهم وعصيانهم، كانوا يسكنون في الأصل منطقة جبل اللكام في إقليم الثغور الشامية. وقد أحسن العرب معاملتهم فاعفوه من دفع الجزية ومنحوهم بعض الاستقلال الذاتي، إلا أنهم كثيرا ما تواطأوا مع الروم ضد المسلمين. وفي عهد عبد الملك بن مروان، تم ترحيلهم إلى أراضي الدولة البيزنطية آسيا الصغرى، وكان ذلك لأغراض تتعلق بأمن الدولة العربية وسلامتها. وكان الباقون منهم أحد جذور المجتمع الماروني في لبنان — المعرب].
- (٥١) دياكونو (Diacono): «تاريخ كنيسة نابولي» في كتاب موراتوري (Muratori)، يُنظر تحت اسمه في ثبث المراجع، ٢/١، ٣١٥. بيرتز (Pertz) ٨/٣-٥١٠ فاسيليف ٩-٢١٠.
- (٥٢) ب. لوير (Lauer): «القصيدة عن تدمير رومة...» (بالفرنسية) في (de l'Ecole de Rome) (Mélanges) مجلد ١٩ (١٨٩٩) ص ٣٠٧ وما بعدها.
- (٥٣) فاسيليف ٢١٠-٢١٢.
- (٥٤) جاي (Gay) ٤٩/١. [يسمى المؤلف «مراكز للقرصنة» ونوثر أن نسميها «مراكز للغزو البحري» إذ إن الغزو البحري ضد مراكز أعدائهم الروم وأراضيهم هو ضرب من الجهاد المشروع في وقت كانت فيه الحروب قائمة بين المسلمين والروم، ولا يرد في المصادر ذكر لغارات قام بها غزاة البحر المسلمون على مراكز أو أراضي إخوانهم في الدين — المعرب].
- (٥٥) [تختلف عن ذلك رواية ابن الأثير فهو يقول تحت أحداث سنة ٢٢٦ هـ: «وقام رجل يسمى الفرج بن سالم ففتح أربعة وعشرين حصنا واستولى عليها. وكتب إلى والي مصر يعلمه خبره وأنه لا يرى لنفسه ومن معه من المسلمين صلاة إلا بأن يعقد له الإمام على ناحيته ويؤليه إياها ليخرج من حد المتغلين» — ابن الأثير، في (المكتبة) ص ٢٣٩. المعرب].
- (٥٦) جاي (Gay) ٦٤-٧٦.
- (٥٧) برى (Bury)، يُنظر كتاب (ذكرى أماري) (Centenario) ٢/٣٢-٣٣.
- (٥٨) جاي (Gay) ٩٦-٩٧.
- (٥٩) أماري ٦/١-٥٢٩. جاي (Gay) ١٠٣/١.
- (٦٠) أماري ١/٥٧٨-٥٩٨. جاي (Gay) ١/١٠٩-١٣٤.
- (٦١) جاي (Gay) ١/١٣٢-١٤٦.
- [يقول ابن الأبار عن القائد العربي مُجَبَّر بن إبراهيم إنه «كان من أهل الشرف والثروة، وولاه إبراهيم بن أحمد الأريس وغيرها... ثم أخرجه إلى صقلية وولاه العسكر الذي بمسني وأرض قلورية. فخرج في شتّى يريد قلورية، فأسرته الروم وحُمل إلى القسطنطينية فأت بها. وله قصيدة طويلة بحث بها من حبسه عند الروم رواها في أيام بني الأغلب أكثر الناس» وقد أورد ابن الأبار ستة من أبياتها. يُنظر ابن الأبار: الحلة السرياء، القاهرة ١٩٧٣، الجزء الأول ص ١٨٦-٥. المعرب].

- (٦٢) أمارى ٥٤-٣/٢ .
 (٦٣) نفس المصدر السابق ٦٢٥-٦١٣/١ .
 (٦٤) نفس المصدر السابق ٦٣٠-٦٢٧/١ .
 (٦٥) ب . لاجومينا (Lagumina): قائمة بالعملة العربية الواردة في مكتبة بلدية بلرم (باليطالية) ،
 بلرم ١٨٩٢ .
 (٦٦) أمارى ١٤/٢ .
 (٦٧) د.م. سميث (Smith): تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ، لندن ١٩٦٨
 ص ٦ .
 (٦٨) أمارى ٤٧٧-٦/١ ، ٣٣/٢ .

الفصل الثالث

- (١) أمارى ١٦٧/٢ .
 (٢) ابن الأثير ٣٨/٨ .
 (٣) نفس المصدر السابق ، يُنظر في موضعه .
 (٤) أمارى ١٨٣-١٧٥/٢ .
 (٥) ابن الأثير ٥٥/٨ .
 (٦) أ. ريتسيتانو (Rizzitano): «مصدر عربي جديد عن تاريخ مسلمي صقلية» مقال
 (باليطالية) في مجلة الدراسات الشرقية (RSO) ، مجلد ٣٢ (١٩٥٧) ص ٣١-٥٥٥ .
 (٧) أمارى ٢١٦-٥/٢ .
 (٨) ابن الأثير ٢٥٣/٨ .
 (٩) ابن الأثير ، في (المكتبة) ص ٢٥٦ .
 (١٠) أ. هويثي ميراندا ، يُنظر الفصل الذي كتبه في (تاريخ كمبردج الإسلامي) (CHI) ٤٣٥/٢ .
 (١١) لوتبراند (Luitprand) في موراتوري (Muratori) ١/٢ ص ٤٤٠ .
 ج.ت. رينو (Reinaud): غزوات العرب في فرنسا وسافوى وييدمنت وسويسرا ، أمستردام
 ١٩٦٤ (الترجمة الإنجليزية ه.ك. شرواني ، لاهور ١٩٦٤ ص ١٣٤) .
 (١٢) جاي (Gay) ١٦٣-٥٩/١ .
 (١٣) نفس المصدر السابق ٢٠٣-١/١ .
 (١٤) أمارى ٢٥٢ ، ٢٤٨/٢ .
 (١٥) نفس المصدر السابق ص ٢٦٤ .

الفصل الرابع

- (١) ابن أبي دينار، تحت سنة ٣٣٦هـ في (المكتبة) ص ٥٢٩-٥٣٠.
- (٢) ابن الأثير ٤٠٣/٨. أبو الفدا: كتاب المختصر في اخبار البشر، في (المكتبة) ص ٤٠٨.
- ستيفانو دى كيارا (Stefano di Chiara): Opuscoli، بلم ١٨٨٥ ص ١٦٨.
- (٣) [٥ التراقيون نسبة إلى مقاطعة تراقية إلى الغرب من القسطنطينية. هذا، ويذكر النويرى أن القوة البيزنطية كانت تضم كذلك الجيوش الذين يعني بهم مؤرخو المغرب والأندلس النورمان من أهل الشمال، وموطنهم الأصلي اسكندناوة — النويرى: نهاية الارب، في (المكتبة) ص ٤٣٩ — المغرب].
- (٤) جاي (Gay) ٢/٠-٢٩١. أمارى ٢/٢٩٨-٣١١.
- (٥) أمارى ٢/٢٧٦، ٣٠-٣٣١.
- [يسمى ابن خلدون «ملوك صقلية القائلين فيها بدعوة العبيديين» — (المقدمة)، طبعة القاهرة، بدون تاريخ ص ٢٥٤. أما ابن حوقل فيدعوهم بالسلطين — (صورة الأرض)، بيروت، بدون تاريخ، ص ١١٤. المغرب].
- (٦) ابن عذارى ٢٥٥/١.
- (٧) أمارى ٢/٤١١-٤٠٥.
- (٨) جاي (Gay) ٢/٨-٤٢٩.
- (٩) مالك سميث (Smith): تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ١٠.
- (١٠) جاي (Gay) ٢/٤٣٦، ٤٥٠-٤٥٢.
- [هكذا ورد اسم الأمير في كتاب (المؤنس) لابن أبي دينار، (المكتبة) ص ٥٣٣، لا كما أورده المؤلف «حسن الصمصام». والأمير معروف باسم الصمصام بن يوسف — المغرب].
- (١١) ابن الأثير ٧/٣٧٠. جاي (Gay) ٢/٣-٢١٤.
- (١٢) جاي (Gay) ٢/٤-٣٢٦.
- (١٣) نفس المصدر السابق ٢/٥-٣٣٨. كيرتيس (Curtis): رجاء صاحب صقلية والنورمان في إيطاليا الجنوبية (بالإنجليزية)، نيويورك ١٩١٢ ص ١٦.
- (١٤) جاي (Gay) ٢/٨-٣٦٩.
- (١٥) ف. نوفاتي (Novati)، يُنظر مقاله عن الصراع بين العرب وبيشه (بالإيطالية) في (ذكرى أمارى (Centenario)، المجلد ٢ (١٩١٠) ص ١٦.
- (١٦) نفس المصدر السابق ٢/١٣.
- (١٧) أمارى ٣/١-١٣.
- (١٨) [أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامري من الصقلية موالى العامريين، كان قد قدمه عبد الرحمن بن أبي عامر على دانية والجزائر الشرقية، ثم بعد سقوط الدولة العمارية انتزى — كغيره من ملوك الطوائف في الأندلس — على ما في يده. وهو يشتهر بغزواته البحرية الجريئة في غربي

- البحر المتوسط ، وخاصة على جزيرة سردينيا التي غلب على أكثرها في سنة ١٠١٦/هـ ٤٠٧-٦ م وغنم وسبي من الروم ما لا يأخذه حصر ، ثم اختلفت عليه أهواء الجند وتداعى عليه ملوك النصارى من الأرض الكبيرة واستجاشوا وغلبوا على أكثر مراكبه . وكان موته بدانية في سنة ٤٣٦/هـ ٤-١٠٤٥ م . يُنظر عنه ابن عذارى ١٥٦/٣ . ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، بيروت ١٩٥٦ ص ٧-٢١٩ . الضبي : بغية الملتمس ، مدريد ١٨٨٥ ترجمة رقم ١٣٧٩ . المعرب [.
- (١٩) أمارى ١/٢-٤٠٢ .
- (٢٠) جاي (Gay) ٣/٢-٤٣٤ .
- (٢١) نفس المصدر السابق ٢/٤٣٥ .
- (٢٢) نوفاتي (Novati) ، في (ذكرى أمارى Centenario) ١٧/٢-٢٠ .
- (٢٣) سي . أنالينو (Nallino) : « بعض شواهد القبور العربية التي عثر عليها في جنوب إيطاليا » ، مقال في (Miscellanea Salinas) . بلرم ١٩٣٧ ص ٢٤-٤٣٨ .
- (٢٤) ف . جابرييلي (Gabrieli) : « تاريخ وثقافة صقلية العربية » ، مقال (بالإيطالية) نُشر في مجلة (Libia) ٤/١ (١٩٥٣) ص ٥ .
- (٢٥) أ . ريتسيتانو (Rizzitano) ، تُنظر مادة (ابن التينة) في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) ٣/٩٥٦ .
- (٢٦) أمارى ٢/٦١٤ .
- (٢٧) أ . ريتسيتانو (Rizzitano) ، تُنظر مادة (ابن التينة) في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) ٣/٩٥٦ .
- (٢٨) ابن الأثير ١٠/١٣٢ . ابن خلدون ٧/٤-٣٠٨ . أيمي (Aimé) : تاريخ النورمان (بالفرنسية) ٥/الفصل ٨ . جوفريدوس مالاتيرا (Malaterra) ، يُنظر كتابه تحت اسمه في ثبت المراجع ، بولونية ١٩٢٧ ، ٢/الفصل الثالث .
- (٢٩) ابن أبي دينار : المؤنس ، تحت سنة ٤٨٤ في (المكتبة) ص ٤٤٨ .
- (٣٠) أمارى ٢/٥-٤١٦ .
- (٣١) ماك سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ١١ .
- (٣٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٣٨ .
- (٣٣) ماك سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٩ .
- (٣٤) نفس المصدر السابق ص ٧ .
- (٣٥) نفس المصدر السابق ص ٨ . أمارى ٦/٢-٥١٢ .
- (٣٦) ماك سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٧ .
- (٣٧) أمارى ٢/٤-٥١٥ . كرتيس (Curtis) ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، ص ١٦ .
- (٣٨) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، في (المكتبة) ص ١١٥ .

- (٣٩) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ٨٢ .
 (٤٠) نفس المصدر السابق ٨٥-٨٦ .
 (٤١) المقدسي : احسن التقاسيم ١٨٣ .
 (٤٢) امارى ٣٥٣/٢ .
 (٤٣) ابن حوقل ٨٦ .
 (٤٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣٠٦/٥ .
 (٤٥) مؤلف مجهول الاسم : كتاب هيئة أشكال الأرض ، في (المكتبة) ص ١٢ .

الفصل الخامس

- (١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ٣٧٦/٥ .
 (٢) (المكتبة) ص ١٥٢ ، ٣٧٦-٧ .
 (٣) عن التاريخ الفكرى لصقلية في عهده الأغالبة والكلبيين، يُنظر إحسان عباس: العرب في صقلية ص ٨٥-١٢٦ . كذلك أ. ريتسيتانو: « مساهمة العالم العربي في الدراسات العربية الصقلية » ، مقال (بالإيطالية) في مجلة الدراسات الشرقية (RSO) ، مجلد ٣٤ (١٩٦١) ص ٧١-٩٣ . ومقال (بالإيطالية) لنفس المؤلف بعنوان « شرح ابن القطاع الصقلى لبعض قصائد المتنبي » ، في مجلة الدراسات الشرقية (RSO) ، مجلد ٣٠ (١٩٥٥) ص ٢٠٧-٢٢٧ .
 (٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥٠/١ . المقرئى : كتاب المقتفى ، في (المكتبة) ص ٦٦٤ .
 (٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٣٤/١ . حاجى خليفة : كشف الظنون ١٢٣-٢/١ .
 (٦) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ينظر كتاب (ذكرى أمارى Centenario) ٣٦٩/١ .
 [عند الكلام عن قلورية يقول ياقوت « يُنسب إليها فيما أحسب أبو العباس القلورى » ، (المكتبة) ص ١٣٣ . المرءب] .
 (٧) المقرئى : كتاب المقتفى ، في (المكتبة) ص ٦٦٣ .
 (٨) القاضي عياض ، في كتاب (ذكرى أمارى Centenario) ٣٦٩/١ .
 (٩) السمعاني : كتاب الأنساب ٣٣٤ .
 (١٠) الحميدى : جذوة المقتبس ، في (المكتبة) ص ٥٧٨ .
 (١١) أمارى ٥٤٣/٢ .
 (١٢) المالكي : رياض النفوس ، (المكتبة) ص ١٨٠ . أمارى ١/١-٣٨٤ . ابن شنب في (ذكرى أمارى Centenario) ٢/١-٢٤٣ . ريتسيتانو في (مجلة الدراسات الشرقية RSO) ، مجلد ٣٦ ص ٣-٤ ، ٢٦-٢٣٧ . ج. مارسيه (Margais) ، دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) ٦٨٥/١ .

- (١٣) الحميدى : جذوة المقتبس ، القاهرة ١٩٥٢ ترجمة رقم ٨٩٩ . المالكى : رياض النفوس ، (المكتبة) ص ١٨٨ .
- (١٤) الذهبي : كتاب العبر في خبر من عبر ، (المكتبة) ص ٨-٦٤٩ .
- (١٥) ابن عذارى ١/١٣٨ .
- (١٦) المالكى : رياض النفوس ، (المكتبة) ص ١٩٢ .
- (١٧) حاجى خليفة : كشف الظنون ٤/٣٩٨ . أمارى ٢/٥٥٢ .
- (١٨) حاجى خليفة : كشف الظنون ٢/٤٧٩ . القاضي عياض : ترتيب المدارك في كتاب (ذكرى أمارى Centenario) ١/٣٧٦ . الندوي ٢/٩-٢٧٠ . أمارى ٢/١-٥٤٥ .
- (١٩) أمارى ٢/٣-٥٥٤ .
- (٢٠) الندوي ٢/٥-٢٨٦ .
- (٢١) الشيرى : الرسالة ص ٣٢ . الشعراي : الطبقات الكبرى ص ١-١٢٢ . سي . ف . سيبولد (Seybold) ، « مختارات عربية إيطالية » في كتاب (ذكرى أمارى Centenario) ٢/٥-٢٠٦ .
- (٢٢) المالكى : رياض النفوس ، في (المكتبة) ص ١٩٤ .
- (٢٣) السمعاني : كتاب الأنساب ص ٣٥٤ .
- (٢٤) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ٨٥ .
- (٢٥) حاجى خليفة : كشف الظنون ٢/١٣٥ .
- (٢٦) العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، في (المكتبة) ص ٥٨٩-٥٩٠ .
- (٢٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٦/٢٦٦ .
- (٢٨) جرافيني (Graffini) ، يُنظر كتاب (ذكرى أمارى Centenario) ١/٤٥ .
- كذلك حسن حسني عبد الوهاب في نفس الكتاب ٢/٦-٤٨٨ .
- (٢٩) أمارى ٢/٣٨٩-٣٩٣ .
- (٣٠) نفس المصدر السابق ٢/١-٥٦٢ .
- (٣١) المقرئى : المقفّى ، في (المكتبة) ص ٤-٦٦٥ .
- (٣٢) القفطى ، في (المكتبة) ص ٥-٦٤٦ .
- (٣٣) طبعة القاهرة ١٩٥٥ .
- (٣٤) ش . بو يحيى ، دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) المجلد الثالث ص ٣-٩٠٤ . الندوي ٢/٣٢٨-٣٣٢ .
- (٣٥) ريتسيتانو (Rizzitano) ، يُنظر المجلد الثالث ، ص ٨-٧٣٩ ، من دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) .
- (٣٦) عماد الدين الأصفهاني : خريدة القصر ٤/١ ص ٥-١٣٨ . وعن دراسة تحليلية للشعر العربي في صقلية ، انظر إحسان عباس : العرب في صقلية ص ١٦٧-٣٢١ .
- (٣٧) (المكتبة) ص ٥٩٢ .

- (٣٨) العماد الأصفهاني : خريدة القصر ١/٤ ص ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٧ .
- (٣٩) نفس المصدر السابق ٢٩-٣٦ ، ٣٧-٤٧ .
- (٤٠) ريتسيتانو (Rizzitano)، يُنظر المجلد الثالث ، ص ٨٣٨ ، من دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) . إحسان عباس : صقلية العربية ص ٢٠٧-٢٢٣ .
- (٤١) العماد الأصفهاني : خريدة القصر ١/٤ ص ١١٠-١١٢ .
- (٤٢) نفس المصدر السابق ص ١٠١-١٠٤ . أمارى ٢/٥٨٥ .
- (٤٣) أمارى ٢/٥٨٤ .
- (٤٤) العماد الأصفهاني : خريدة القصر ١/٤ ص ٢٢-٢٣ ، ٥٠ .
- (٤٥) إجناتسيو دى ماتيو (Ignazio di Mateo): « ديوان الشعراء العرب الصقليين الذين أوردتهم ابن القطّاع » ، مقال (بالإيطالية) في المحفوظات التاريخية لصقلية ، مجلد ١ (١٩٣٥) ص ٩٥-٩٨ .
- (٤٦) ف. جابرييلي (Gabrieli): « عرب صقلية وعرب الأندلس » ، مقال (بالإيطالية) في مجلة (الأندلس) ، مجلد ١٥ (١٩٥٠) ص ٣٣-٣٧ .

الفصل السادس

- (١) تاريخ كمبردج للقرون الوسطى (CMH) . مجلد ٥ ص ١٦٨-١٦٩ .
- (٢) سي. هاسكينز Haskins : النورمان في التاريخ الأوروبي (بالإنجليزية) ص ١٩٩ .
[النورمان ، كما يُستدل من اسمهم Norsemen ، هم أصلاً من أهل شمال أوروبا أى اسكندناوه ، ويُعرفون أيضاً باسم فايكنجز (Vikings) . وقد دأبوا منذ مطلع القرن التاسع الميلادى على شن غارات بحرية سريعة وخاطفة على سواحل أوروبا الغربية ، بما فيها الأندلس (حيث عُرفوا باسم المجوس) ، واستقر بعضهم في شمال فرنسا في مقاطعة نورماندى (Normandy) التي ما زالت تحمل اسمهم . وقد قدم نورمان جنوب إيطاليا من مقاطعة نورماندى هذه ، وعملوا بادئ الأمر فرساناً مرتزقة في صفوف الجماعات المتحاربة هناك ، واشتهر فرسانهم بالجرأة والإقدام ، وإن لم يكن القوم على حظٍ من الحضارة . العرب] .
- (٣) تاريخ كمبردج للقرون الوسطى (CMH) ، ١٧٢/٥ .
- (٤) نفس المصدر السابق ٢/٥-١٧٤ .
- (٥) نفس المصدر السابق ٥/٥-١٧٦ .
- (٦) ف. تشالاندون (Chalandon): تاريخ سيطرة النورمان على إيطاليا وصقلية (بالفرنسية) ١٩١/١ .
- (٧) أمارى ١/٣ ص ٦٥ .

- (٨) تشالاندون (Chalandon): تاريخ سيطرة النورمان على إيطاليا وصقلية ص ١/٢-١٩٣ .
- (٩) ايمى من موني كاسينو (Aimé): تاريخ النورمان (بالفرنسية) ١٣٢٠/٥ . مالاترا (Malaterra) ١٣-٨/٢ . تشالاندون (Chalandon) ١٩٥/١ .
- (١٠) أمارى ١/٣ ص ٧١ .
- (١١) تشالاندون (Chalandon): تاريخ سيطرة النورمان على إيطاليا وصقلية ١٩٦/١ .
- (١٢) ايمى (Aimé): تاريخ النورمان ٢٣/٥ . مالاترا (Malaterra) ١٧/٢ .
- (١٣) مالاتيرا (Malaterra) ٢٢/٢ .
- (١٤) نفس المصدر السابق ٢٩/٢-٣٠ .
- (١٥) تشالاندون (Chalandon) ٢٠٦/١ .
- (١٦) مالاتيرا (Malaterra) ٤٥/٢ . أيمى (Aimé) ٢/٧ . تشالاندون (Chalandon) ٢٠٨/١ .
- (١٧) مالاتيرا (Malaterra) ٣٠/٤ .
- (١٨) ينبغي أن لا يُخلط بينه وبين ابن عباد آخر (Mirabetto) ثار فيما بعد على فردريك الثاني .
- (١٩) مالاتيرا (Malaterra) ، يُنظر في موضعه .
- (٢٠) نفس المصدر السابق ١٢/٣ . تشالاندون (Chalandon) ٣٤٠/١ .
- (٢١) ف. جابرييل (Gabrieli): « السياسة العربية للنورمان في صقلية » مقال (بالإيطالية) في مجلة الدراسات الإسلامية (SI) ، مجلد ٩ (١٩٥٨) ص ٨٣ .
- (٢٢) تاريخ كمبريدج للقرون الوسطى (بالإنجليزية) (CMH) ١٨٤-٣/٥ .
- (٢٣) ر. بيرو (Pirro) ، يُنظر الكتاب تحت اسمه في ثبوت المراجع ، ٣٨٤/١ .
- س. كوسا (Cusa) ، يُنظر الكتاب تحت اسمه في ثبوت المراجع ، ٥٤٤/١ . تشالاندون (Chalandon) ٣٤٨-٧/١ .
- (٢٤) أمارى ١/٣ ص ١٩١-٠ .
- (٢٥) تاريخ كمبريدج للقرون الوسطى (بالإنجليزية) (CMH) ١٨٤/٥ ، ١٨٦ .
- (٢٦) [جورج/جرجي الأنطاكي (ت ١١٥٢/٥٥٤٦ م) كان قد هاجر من بلاد الشام والتحق بخدمة الأمير الزيرى تميم بن المعز ، الذى حَكَّمه في دخله وخرجه ، وكان يُجيد العربية . فلما مات تميم (١١٠٧/٥٥٠١ م) خاف الأنطاكي من يحيى بن تميم ، فاتصل سرّاً بصاحب صقلية رجار الثاني ، الذى دبر له قطعةً فرّ من المهديّة على ظهرها خلسةً . وقد عمل في بلاط رجار الثاني سفيراً ومقدّماً على الأسطول نحواً من أربعين عاماً . وهو الذى استولى على طرابلس الغرب (١١٤٦/٥٥٤١ م) ثم المهديّة (١١٤٨/٥٥٤٣ م) وغيرهما من مدن الساحل الأفريقي . وقد أفاد الأنطاكي في حروبه ضد المسلمين بما سبق أن اكتسبه من معلومات وخبرة عملية عن طبوغرافية إفريقية وأحوال سكانها . انظر رحلة التجاني ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ ص ٣٣٣ — المعرّب] .

(٢٧) ابن الأثير ٤٣١/١٠ ج. مارسيه (Marçais) : المغرب الإسلامي . . . (بالفرنسية) ص ٢٢٣-٢. تاريخ كمبريدج للقرون الوسطى (CMH) ١٨٥-٤/٥ .

(٢٨) ج. مارسيه (Marçais) ، المصدر السابق ص ٢٢٣ .

(٢٩) ابن الأثير ، في (المكتبة) ص ٢٨٦ .

(٣٠) [عن هذه الحملة في نهاية سنة ٥٣٧هـ/صيف سنة ١١٤٣ م ، يقول ابن الأثير (المكتبة ص ٢٨٧) : « في هذه السنة سارت مراكب الفرنج من صقلية إلى طرابلس الغرب فحاصروها . وسبب ذلك أن أهلها في أيام الأمير الحسن صاحب إفريقية لم يدخلوا يدا في طاعته ولم يزالوا مخالفين مشايق له قد قدموا عليهم من بني مطروح مشايخ يدبرون أمرهم ، فلما رآهم ملك صقلية كذلك جهز إليهم جيشا في البحر فوصلوا تاسع ذى الحجة [٢٥ يونيو ١١٤٣ م] ففتزلوا البلد وقاتلوه وعلقوا الكلاب في سوره ونقبوه . فلما كان الغد وصل جماعة من العرب نجدة لأهل البلد ، فقوى أهل طرابلس بهم ، فخرجوا إلى الاسطولية فحملوا عليهم حملة منكرة ، فانهزموا هزيمة فاحشة ، وقتل منهم خلق كثير ، ولحق الباقون بالأسطول ، وتركوا الأسلحة والاقبال والدواب فنهبا العرب وأهل البلد ، ورجع الفرنج إلى صقلية »] .

(٣١) ابن الأثير ، في (المكتبة) ص ٢٨٩-٢٩٠ . أمارى ٢/٣ ص ٤١٦ .

(٣٢) [بالنسبة لتفاصيل استيلاء النورمان على المهديّة ، يُنظر ابن الأثير ، تحت حوادث سنة ٥٤٣ هـ ، وفي (المكتبة) ص ٢٩٢ وما بعدها] .

(٣٣) مارسيه (Marçais) : المغرب الإسلامي (بالفرنسية) ص ٢٢٥-٤ .

[مما حفز رجار الثاني على الاستيلاء على موانئ الساحل الإفريقي أن المسلمين ما انفكوا يغيرون منها على مراكب النصارى وعلى سواحل صقلية ، تماما كما حدث بعد ذلك بأربعة قرون بالنسبة لمراكب الأسبان وسواحل الأندلس على أيدي النازحين الأندلسيين . فكما أن الأسبان سعوا في أوائل القرن السادس عشر إلى الاستيلاء على عدد من موانئ الشمال الإفريقي ، أملا في وضع حد لغارات هؤلاء النازحين ، كذلك فعل النورمان في منتصف القرن الثاني عشر بالنسبة لموانئ إفريقية . ولا شك في أن مما يسر الأمر بالنسبة للنورمان ، فضلاً عن سوء الأحوال الاقتصادية في إفريقية بسبب توالى أعوام الجفاف والقحط ، انشغال المرابطين في تلك الفترة بقيام الموحدين الذين قضوا نهائياً على دولة المرابطين (٥٣٩هـ/١١٤٦ م) ، ولم يتفرغ الموحدون للنورمان إلا بعد ذلك ببضع عشرة سنة ، حينما توطّد سلطانهم . المغرب] .

(٣٤) [يقول ابن أبي دينار صاحب كتاب (المؤنس في أخبار إفريقية وتونس) إن رجار « جبي خراج رعايتها برفق منه وإحسان ، واستمال الناس وسار فيهم سيرة حسنة بالرفق بهم » ، (المكتبة) ص ٥٣٩-٥٤٠ . المغرب] .

(٣٥) م. كنارد (Canard) : « كتاب من الخليفة الفاطمي الحافظ إلى رجار الثاني » ، مقال (بالفرنسية) ، يُنظر في ثبوت المراجع تحت اسم الكاتب ، ١/١٢٥-١٤٦ .

(٣٦) ابن الأثير ١٠/١٣٣ .

- (٣٧) ي. كيرتيس (Curtis) : رجار صاحب صقلية (بالإنجليزية) ص ٣٠٩-٣١٢ .
- (٣٨) نفس المصدر السابق ص ٣١٩ .
- (٣٩) ماك سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٢٥ .
- (٤٠) تشالاندون (Chalandon) ١٠٣/٢ .
- (٤١) ه. فالكاندوس (Falcandus) : تاريخ مملكة صقلية . . . ، يُنظر تحت اسمه في ثبت المراجع ، ص ٢٧ ، ٤٢ ، وفي مواضع متكررة . تشالاندون ١٨٠/١ .
- (٤٢) ابن الأثير ١٢٥/١١ . ج.ب. سراجوسا (Siragusa) : حكم وليام الأول في صقلية (بالإيطالية) ، يُنظر تحت اسم المؤلف في ثبت المراجع ، ص ٤٦-٤٧ .
- (٤٣) ابن الأثير ، في (المكتبة) ، تحت سنة ٥٥٥هـ ، ص ٣٠٨ .
- (٤٤) كيرتيس (Curtis) : رجار صاحب صقلية والنورمان في جنوب إيطاليا (بالإنجليزية) ص ٦-٤٢٧ .
- (٤٥) تاريخ كمبردج للقرون الوسطى (بالإنجليزية) ١٩٧/٥ .
- (٤٦) تشالاندون (Chalandon) ٣٩٣/٢ . تاريخ كمبردج للقرون الوسطى (CMH) ١٩٩/٥-٢٠٠ .
- (٤٧) أ.س. اهرنكروتز (Ehrenkreutz) : صلاح الدين (Saladin) ، نيويورك ١٩٧٢ ص ٤-١٢٥ .
- (٤٨) ابن جبير : الرحلة ٩-٣١٣ ص ٣٠٩-٣١٣ .
- [سافر ابن جبير من سبتة على ظهر مركب « للروم الجنوبيين » إلى الإسكندرية . وبعد تأدية فريضة الحج ، سافر ابن جبير من عكا في مركب رومي « مدبره رومي جنوى » . ومن ميناء اطرابنش بغربي صقلية ، عاد ابن جبير إلى الأندلس في أحد مراكب الروم ، واجتمع في طريق العودة ببعض أصحابه من الحجيج الأندلسيين قادمين من الاسكندرية « في مركب جنوى » — رحلة ابن جبير ، بيروت ١٩٦٨ ص ٨ ، ٢٥٧ ، ٢٨٢ . المغرب] .
- (٤٩) دانتي : الفردوس (Paradiso) ٦٦/٢٠ .
- (٥٠) أماري ٢/٣ ص ٥٤٧-٥ .
- (٥١) تاريخ كمبردج للقرون الوسطى (بالإنجليزية) (CMH) ٤٦٢/٥ .

الفصل السابع

- (١) ف. جابرييلي (Gabrieli) : « السياسة العربية للنورمان في صقلية » ، مقال في مجلة الدراسات الإسلامية ، مجلد ٩ (١٩٥٨) ص ٩٥ .
- (٢) سورة النحل ، آية ١٢١ .

- (٣) س. كوسا (Cusa) : وثائق يونانية وعربية صقلية (بالإيطالية) ١/٣-٥٦٤ .
- س. سبينيلي (Spinelli) : نقود كوفية ٤١ ، ٤٣ ، ٤٧ . أماري ٢/٣ ص ٤٥٩-٧ .
- (٤) (المكتبة) ص ٥٨٤ . [ويعرف منتزه المعتزة كذلك باسم الفؤارة] .
- (٥) ج. ماسون (Masson) : فردريك الثاني من أسرة هوهنشتاوفن ص ٣٣-٢ .
- (٦) تشالاندون (Chalandon) ٧٢١/٢ .
- (٧) سي. ه. هاسكتز : نهضة القرن الثاني عشر (بالإنجليزية) ص ٦٠ .
- (٨) ابن الأثير ١٣٣/١٠ .
- (٩) جابرييلي : « السياسة العربية للنورمان في صقلية » ، مقال في مجلة الدراسات الإسلامية (SI) ص ٩٥ .
- (١٠) كيرتيس (Curtis) ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، ص ٤١٩-٤٢٠ .
- (١١) فالكاندوس (Falcandus) ص ٩٨ .
- (٢١) تشالاندون (Chalandon) ٧٣٩/٢-٧٤٠ .
- (١٣) فالكاندوس (Falcandus) ١٧٨ .
- (١٤) تشالاندون ٧٤٠/٢-٧٤٢ .
- (١٥) [مرحلة الأندلسي ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكتاني) بجزيرة صقلية في عهد النورمان ، بعد قرن من انتهاء السيادة العربية على الجزيرة ، في طريق عودته من تأدية فريضة الحج ، وكان وصوله إلى مسينة في ٣ رمضان سنة ٥٨٠هـ / ٨ ديسمبر ١١٨٤ م ، وبارح الجزيرة من ميناء اطرابنش عائداً إلى الأندلس في ١١ ذى الحجة سنة ٥٨٠هـ / ١٥ مارس ١١٨٥ م ، أى أنه أمضى في الجزيرة ثلاثة شهور ونصف الشهر . وما يذكره ابن جبير عن أحوال المسلمين في صقلية النورمانية يُعد وثيقة على جانب كبير من الأهمية للباحث والمؤرخ . المعرب] .
- (١٦) ابن جبير : الرحلة ٧-٢٩٨ .
- (١٧) نفس المصدر السابق ، يُنظر في موضعه .
- (١٨) نفس المصدر السابق ٢٩٩ .
- (١٩) نفس المصدر السابق ٣٠٧ .
- (٢٠) كوسا (Cusa) ٤٨٤/١ . [انظر عن ابن حمود هذا إحسان عباس : العرب في صقلية ص ١٣٣-٢] .
- (٢١) كوسا ٤٠٩/١ .
- (٢٢) نفس المصدر السابق ١١٧/١ ، ٥١٦ ، ٥٢٤ .
- (٢٣) فالكاندوس (Falcandus) ص ١٠٩ .
- (٢٤) تشالاندون (Chalandon) ٧١٣-٢/٢ .
- (٢٥) أماري ١/٣ ص ٣٢٩ .

- (٢٦) جريجاريو (Gregario) ، ينظر تحت اسمه ، ٢/فصل ٤ . جروفي (Garufi) ينظر تحت اسمه في
 ثبت المراجع ، النظام الإداري النورماني في صقلية ص ٢٢٥-٢٦٣ . هاسكينز (Haskins) :
 « إنجلترا وصقلية في القرن الثاني عشر » ، مقال (بالإنجليزية) في (المجلة التاريخية الإنجليزية) ،
 مجلد ٢٥ (١٩٠١) ص ٣٣-٤٤٧ ، ٦٤١-٦٥٥ .
 (٢٧) جروفي (Garufi) . يُنظر في موضعه .
 (٢٨) تشالاندون (Chalandon) ٢/٨-٦٤٩ .
 (٢٩) بيرو (Pirro) ، يُنظر تحت اسمه في ثبت المراجع ، ٣٨٤/١ .
 (٣٠) أماري ٢/٥٢٠-٥٢٥ ، ٣/٣ ص ٨٣٧ .
 (٣١) كيرتيس (Curtis) ، يُنظر تحت اسمه في ثبت المراجع ، ص ٢-٣٤٥ .
 (٣٢) أماري ٢/٥٢٠-٥٢٥ ، ٣/٣ ص ٨٣٧ .
 (٣٣) ل . جينواردي (Centenario) : « الدفاتر النورمانية » في (ذكرى أماري (Centenario)
 ١/٥٩-١٦٤ .
 (٣٤) بيرو (Pirro) ، ينظر تحت اسمه في ثبت المراجع ، ٣٨٤/١ . تشالاندون ٢/٥٢٠-٥٢٢ .
 (٣٥) أماري : ٣/٣ ص ٧٠٦-٧٠٧ .

الفصل الثامن

- (١) تشالاندون (Chalandon) ١/٣٣٠ .
 (٢) س . كوسا (Cpsa) : وثائق يونانية وعربية صقلية (بالإيطالية) ١/١١١ .
 (٣) (المكتبة) ص ٥٨٢ .
 (٤) أماري ١/٣ ص ٢٧٧ . كيرتيس (Curtis) : رجار صاحب صقلية والنورمان في جنوب إيطاليا
 (بالإنجليزية) ص ٤١٩ .
 (٥) أماري ١/٣ ص ٢١٤-٢٢٤ .
 (٦) ج . جاي (Gay) : « ملاحظات حول الهلينية الصقلية من الفتح العربي حتى الفتح النورماني »
 (بالفرنسية) ، يُنظر تحت أسم الكابت في ثبت المراجع ، ص ٢٧-١٣٥ .
 (٧) مالاتيرا (Malaterra) ٢/٤٥ .
 (٨) تشالاندون (Chalandon) ١/٤-٣٤٧ .
 (٩) فالكاندوس (Falcandus) ص ٧٠-١٥٥ . [كان هؤلاء الوافدون الجدد من اللنبارد شديدي
 التعصب ضد المسلمين ، وهم في ذلك شبيهون بالوافدين الجدد من الصليبيين إلى بلاد الشام
 الذين يتحدث أسامة بن منقذ عن شدة تعصبهم نحو المسلمين ، كما لمس ذلك هو بنفسه في بيت
 المقدس ، إذ يقول « كل من هو قريب العهد بالبلاد الأفرنجية أجفى أخلاقاً من الذين قد تلبّدوا

وعاشروا المسلمين» — أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ، تحقيق فيليب حيتي ، مطبعة جامعة برنستون ، الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٣٠ ص ١٣٤ . المغرب [.

- (١٠) تشالاندون (Chalandon) ٤٣٩/١-٣٥٠ .
- (١١) ماك سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٢٢ .
- (١٢) كوسا (Cusa) : وثائق يونانية وعربية صقلية (بالإيطالية) ٥٤١/١ .
- (١٣) أماري ١/٣ ص ٢٤٠ .
- (١٤) تشالاندون (Chalandon) ٥٢٨/٢ ، ٥٣٥-٣ .
- (١٥) نفس المصدر السابق ٥٤٩/٢ وما بعدها ، ٦٧٤-٣/١ .
- [انظر كذلك إحسان عباس : العرب في صقلية ص ١٤٤] .
- (١٦) كيرتيس (Curtis) : رجار صاحب صقلية والنورمان في جنوب إيطاليا (بالإنجليزية) ص ٩٥ ، ٣٠٨ .
- (١٧) أماري ٢/٣ ص ٤٤٦ .
- (١٨) ماك سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٣٧ .
- (١٩) أماري ٢/٣ ص ٤٩٦-٥ .
- (٢٠) فالكاندوس (Falcandus) ص ٤٤٠ .
- [من بين ضحايا هذه المذابح التي حلت بالمسلمين الشاعر القفصي يحيى بن التيفاشي . ومن الممكن أن الأدرسي كان من ضحاياها أيضا . المكتبة ص ٥٩٩ يُنظر إحسان عباس : العرب في صقلية ص ١٤٩ والحاشية رقم ٢ بنفس الصفحة] .
- (٢١) فالكاندوس السابق ص ٨٦-٥ ، ١١٨-٦ .
- (٢٢) ابن جبير : الرحلة ٢٩٨-٧ .
- (٢٣) نفس المصدر السابق ٢١٧-٣٠٠ .
- (٢٤) نفس المصدر السابق ٣٠٥ .
- [إن ملاحظة ابن جبير هذه ذات دلالة جدية بالاهتمام . فالخطبة في العيدين في الحاضرة بلرم كانت الدعوة فيها للخليفة العباسي ، وكان ضعيفا نائبا في بغداد ، ولم تكن للخليفة الموحدى القوى في المغرب الأقرب إلى صقلية من الخليفة العباسي ، وذلك لأن العداء كان على أشده بين الموحدين والروم في كل من صقلية والأندلس . وكان الموحدون آنذاك في أوج قوتهم في عهد الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور (حكّم ٨٠-٥٩٥هـ/٨٤-١١٩٩ م) الذى كان سلطنة يشمل المغرب بأسره من برقة إلى المحيط ، فضلا عن الأندلس ، وكان قد عقد العزم على مواصلة الجهاد في الأندلس ، ومن بعدها صقلية دون شك ، لاستعادة ما فقده المسلمون من أراض في أواخر أيام دولة المرابطين . المغرب] .
- (٢٥) رحلة ابن جبير ٣٠٦-٥ .
- (٢٦) نفس المصدر السابق ٣٠٧-١ .

- (٢٧) نفس المصدر السابق ٢٩٧ .
- (٢٨) كوسا (Cusa) : وثائق يونانية وعربية صقلية (بالإيطالية) ٤٨٨/١ .
- تشالاندون (Chalandon) ٦٠٩/٢ .
- (٢٩) ابن جبير : الرحلة ٣١٦/٤ .
- (٣٠) نفس المصدر السابق ٣١٢-٣١٥ .
- (٣١) ف. جابرييلي (Gabrieli) : « السياسة العربية للنورمان في صقلية » ، مقال (بالفرنسية) في مجلة الدراسات الإسلامية (SI) ، مجلد ٩ (١٩٥٨) ص ٨٧-٨٨ .
- (٣٢) أمارى ٢/٣ ص ٥٤٣ .
- (٣٣) ماك سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٤٥-٤٦ .
- (٣٤) كيرتيس (Curtis) : رجار صاحب صقلية . . . (بالإنجليزية) ص ٢-٤١٣ .
- (٣٥) نفس المصدر السابق ص ٤١٧ :
- (٣٦) ف. جابرييلي (Gabrieli) : « السياسة العربية للنورمان في صقلية » ، مقال (بالفرنسية) في مجلة الدراسات الإسلامية (SI) ، مجلد ٩ (١٩٥٨) ص ٣-٩٤ .
- (٣٧) أمارى ٢/٣ ص ٥٨٩-٥٩٠ ، ٥٩٧ .
- (٣٨) ف. جابرييلي (Gabrieli) : « السياسة العربية للنورمان في صقلية » ، مقال (بالفرنسية) في مجلة الدراسات الإسلامية (SI) ، مجلد ٩ (١٩٥٨) ص ٩٢ .

الفصل التاسع

- (١) خلط أمارى بين العالمين (٥٣٦-٥/٢) : وقد أثبت ريتسيتانو أنها شخصان مختلفان (أ. ريتسيتانو Rizzitano) : « ابن الفحام المقرئ الصقلي » ، مقال (بالإيطالية) في دراسات المستشرقين تكريماً للمستشرق ليني ديلا قيدا ، رومة ١٩٥٦ ص ٤٠٣-٤١٩ .
- (٢) حاجي خليفة : كشف الظنون ٢٥٥/١ ، ٤٨٨/٢ . ريتسيتانو (Rizzitano) تُنظر المادة عن ابن الفحام في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) ٧٦١-٧٦٠/٣ .
- (٣) أ. ليني بروفنسال : مخطوطات الأسكوريال ، باريس ١٩٢٨ ، ٦٧/٣ .
- (٤) حاجي خليفة : كشف الظنون ٦٦١/٢ . بروكلان : تاريخ الآداب العربية (GAL) ٤٣١/١ .
- فكتور شوفان (Chauvin) : ثبت بالمؤلفات العربية (بالفرنسية) ، ليج/ليبسك ١٨٧-١٧٥/٢ .
- (٥) ريتسيتانو ، دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) ٩٧٠/٣ .
- (٦) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، في كتاب (ذكرى أمارى Centenario) ٣٨١/١ .
- (٧) [الاسم الكامل للكتاب هو (المُعَلِّم بفوائد كتاب مُسَلِّم) ، وقد أخطأ المؤلف إذ حسبه (المُعَلِّم) بتشديد حرف اللام — يُنظر حاجي خليفة ، (المكتبة) ص ٧٠١ ، المُعَرَّب] .

- (٨) الزركشي : تاريخ الدولتين ، في (المكتبة) من ٥٢٢ ابن خلكان ٢/٢١٦ ، ٢٨٧ .
المقريري : المقني ، في (المكتبة) ص ٦٦٥ . فانيان (Fagnan) ، يُنظر كتاب (ذكرى أماري
(Centenario) ٩٢/٢ .
- (٩) السمعاني : كتاب الأنساب ٣٥٤ .
- (١٠) أ. ريتسيتانو (Rizzitano) ، تُنظر المادة في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية
(بالإنجليزية) ٨٥٩/٣-٨٦٠ .
- (١١) ياقوت الحموي ٢٣٧/٣ .
- (١٢) مثال ذلك العمري ، القطعة المستخرجة من (مسالك الأبصار) في (المكتبة) ص ١٥٢ .
- (١٣) الإدريسي : نزهة المشتاق ، القطعة المستخرجة في (المكتبة) ص ١٦ .
- (١٤) [الأدريسي من مواليد سبتة في المغرب ، وعلى ذلك فهو مغربي المولد والمنشأ — انظر حسين
مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، مدريد ١٩٦٧ ص ١٦٩ — المغرب] .
- (١٥) ج. أومان (Oman) : مادة «الأدريسي» في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية ،
بالإنجليزية ، ١٠٣٢/٣-١٠٣٥ .
- (١٦) أماري ٢/٣ ص ٤٦٩ .
- (١٧) الروزني : تاريخ الحكماء ، في (المكتبة) ص ٦١٩ .
- (١٨) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٠٩/٥ .
- (١٩) [الأصح ما يرويه السيوطي وهو أن ابن القطاع « اقام بالقاهرة يعلم ولد الأفضل ابن أمير
الجيوش » بدر الجالي — انظر السيوطي : كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،
القطعة المستخرجة من الكتاب في (المكتبة) ص ٦٧٦] .
- (٢٠) أ. ريتسيتانو (Rizzitano) : « ملاحظة عن ابن القطاع الصقلي ... » ، مقال
(بالإيطالية) ، يُنظر الكتاب الذي نُشر فيه ضمن ثبوت المراجع ، ص ٢٦٠-٢٩٤ . انظر
كذلك المادة لنفس الكاتب عن « ابن القطاع » في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية
(بالإنجليزية) ، ٨١٩-٨/٣ .
- (٢١) العماد الأصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء المغرب) ، تونس ١٩٦٦
ص ٥١-١٦٤ .
- (٢٢) العماد الأصفهاني ١/٤ ص ٥١-٥٥ ، ٤١٠ .
- (٢٣) ريتسيتانو (Rizzitano) : « تعليق لابن القطاع الصقلي على بعض أشعار المتنبي » ، مقال
(بالإيطالية) في مجلة الدراسات الشرقية ، مجلد ٣٠ (١٩٥٥) ص ٢٠٧-٢٢٧ .
- (٢٤) حاجي خليفة : كشف الظنون ١٤٦/٤ ، ٥٩٥/٣ .
- (٢٥) الذهبي : أنباء النحاة ، قطعة في (المكتبة) ص ٥-٦٤٦ ص ٥٨٧ . [« ذكر أنه شيخ لغة
ونحو ... حصل في اعتقال الأفرنج في صقلية ، وسم أنواع البلية ... وله قصيدة في مدح رجار
صاحب صقلية وهو في قبضة الإسار ... »] .

- (٢٦) العماد الأصفهاني خريدة القصر قطعة في المكتبة .
- (٢٧) السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، في (المكتبة) ص ٢-٦٧٣ .
- (٢٨) إحسان عباس : العرب في صقلية ٢٦٥-٢٨٣ .
- (٢٩) ف. جابرييلي (Gabrieli) : « عرب صقلية وعرب الأندلس » ، مقال (بالإيطالية) في مجلة الاندلس (Al-Andalus) ، مدريد — غرناطة ، مجلد ١٥ (١٩٥٠) ص ٣٩ .
- (٣٠) أ.ف. فون شاك (von Schack) : الشعر والفن عند العرب في الأندلس وصقلية ، الترجمة الأسبانية ، اشبيلية ١٨٨١ ص ٨-١٣٩ .
- (٣١) أماري ٦٠٢/٢ .
- (٣٢) ديوان ابن حمديس ، تحقيق سي. سكيابريي ، رومة ١٨٩٧ . ديوان ابن حمديس ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٠ . إحسان عباس : العرب في صقلية ٢٣٥-٢٦٢ . أماري ٥٩٢/٢-٦٠٢ . فون شاك (von Schack) ، الشعر والفن عند العرب في الأندلس وصقلية ، الترجمة الأسبانية ، ص ١١٨-١٣٥ .
- الندوي ٣٦٥-٣٤٩/٢ . ريتسيتانو ، دائرة المعارف الإسلامية ، ٧٨٣-٢/٣ .
- (٣٣) يقول ابن خلكان إن ابن حمديس توفي « بجزيرة ميورقة ، وقيل ببجاية ، ودفن إلى جنب ابن اللبانة الشاعر المشهور ، وكان قد عمي » ، وفيات الأعيان ، في (المكتبة) ص ٢٢٦ .
- (٣٤) ف. جابرييلي « صقلية والأندلس في حياة وشعر ابن حمديس » مقال (بالإيطالية) يُنظر في المراجع تحت اسم الكاتب ، ٣٢٣-٣٢٧ .
- (٣٥) ف. جابرييلي (Gabrieli) : « قصر بني حماد في بجاية كما وصفه ابن حمديس » مقال (بالإيطالية) ، يُنظر في المراجع تحت اسم الكاتب ، ص ٥٤-٥٨ .
- نفس الكاتب : « الصلات بين الأدب والفن في الحضارة الإسلامية » ، يُنظر في المراجع تحت اسم الكاتب ، ص ٥٥-٥٧ .
- (٣٦) العماد الأصفهاني : خريدة القصر ١/٤ ص ٢٦-٢٧ .
- (٣٧) نفس المصدر السابق ١/٤ ص ٢٤-٢٥ .
- (٣٨) نفس المصدر السابق ١/٤ ص ٢١ .
- (٣٩) نفس المصدر السابق ١/٤ ص ٤٨-٤٩ .
- (٤٠) أ. ريتسيتانو (Rizzitano) : المادة عن (ابن قلاؤس) ، دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) ، ٨١٥-٤/٣ . إحسان عباس : العرب في صقلية ٢٨٧-٢٩٥ .
- (٤١) العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، ١/٤ ص ١٧-١٨ .

الفصل العاشر

- (١) [نسبة إلى مقاطعة سوابيا (Swabia) في الجنوب الغربي من ألمانيا غربي مقاطعة بقاريا . وتعرف

الأسرة الألمانية كذلك بأسرة هوهنشتاوفن نسبة إلى قلعة كانت تمتلكها الأسرة في جنوب ألمانيا .
[المغرب] .

(٢) [فرض ملك فرنسا لويس السابع عام ١١٤٧ م ضريبة لتمويل الحملات الصليبية . وحذا ملك إنجلترا هنري الثاني حذوه ففرض ضريبة أصبحت تعرف بضريبة صلاح الدين (Saladin tithe) كان لا يُعنى منها إلا المشاركون في الحملات الصليبية ، وهي شبيهة بضريبة الجهاد عند المسلمين . وفي سنة ١٢١٥ م ، فرض البابا انوسنت الثالث ضريبة مماثلة على رجال الكنيسة ، ظلَّ معمولاً بها حتي نهاية القرن السادس عشر ، وكان لها دورٌ في تمكين الأسبان من القضاء على مملكة غرناطة الإسلامية . المغرب] .

(٣) ماك سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ١-٥٢ .
(٤) ف. جابرييلي (Gabrieli) : « فردريك الثاني والثقافة الإسلامية » ، فصل في كتاب (الشرق والغرب (East and West) ص ٥٣ .

(٥) ج. ماسون (Masson) : فردريك الثاني من أسرة هوهنشتاوفن (بالإنجليزية) ، ص ٣٢ .
(٦) [لم يكن منصبُ الملك في ألمانيا وراثياً بل انتخابياً ، فيتولى الأمراء انتخاب أحدهم ملكاً ، ولا يحمل لقبَ امبراطور إلا بعد تتويج البابا له . وكان الألمان في هذه الفترة ، التي اشتدَّ فيها الصراع بين الباباوات والباطرة الألمان ، ينقسمون إلى حزبين يُعرف الحزب المناصر للبابا منها باسم الجويلف (Guelfs) ويُعرف الحزب المناصر للامبراطور باسم الجيبيلين (Ghibellines) .
المغرب] .

(٧) أمارى ٢/٣ ص ٤-٦٠٨ .
(٨) ينبغي أن لا يُخلط بينه وبين ابن عباد الذي كان قد حارب رجار الأول . ومن المحتمل أن الأخير لم يكن صقلياً بل واداً من تونس (انظر جابرييلي Gabrieli في فصله بعنوان « فردريك الثاني والثقافة الإسلامية » في كتاب : الشرق والغرب (بالإنجليزية) ص ٥٥) .
(٩) أ. ليفي بروفنسال : « بطلان المقاومة الإسلامية في صقلية في مطلع القرن الثاني عشر » ، مقال (بالفرنسية) في مجلة الشرق الحديث (Oriente Moderno) ، مجلد ٣٤ (١٩٥٤) ص ٢٨٣-٢٨٨ .

(١٠) ماسون (Masson) ، يُنظر الكتاب في ثبوت المراجع ، ص ١٣٥-١٤٥ .
(١١) جابرييلي (Gabrieli) ، ص ٥٣ من فصله بعنوان « فردريك الثاني والثقافة الإسلامية » في كتاب (الشرق والغرب) . ماسون (Masson) ص ١٢٨ .

(١٢) [أخطأ المؤلف إذ ذكر أن السلطان الحفصي هو أبو اسحاق ، والصواب ما أثبتناه . وقد حكم السلطان أبو زكريا يحيى ، وهو أول سلاطين الحفصيين ، من سنة ١٢٢٨ إلى سنة ١٢٤٩ م وتوفي قبل عام من وفاة فردريك الثاني . المغرب] .

(١٣) هاسكينز (Haskins) ، يُنظر الكتاب في ثبوت المراجع ، ص ٢٥٢ . كيرتيس (Curtis) ، يُنظر الكتاب في ثبوت المراجع ، ص ٤٥٠ .

- (١٤) جابرييل (Gabrieli) ، ص ٥٤ من المرجع المذكور في الحاشية رقم ١٢ .
- (١٥) ماسون (Masson) ، يُنظر الكتاب في ثبت المراجع ، ص ٢٥٠ .
- (١٦) أبو الفضائل الحموي : التاريخ المنصوري ، يُنظر في ثبت المراجع ، الورقات ١٦٠ ب — ١٧٠ ب . بيرنارد لويس (Lewis) : « الحشاشون في بلاد الشام والاسماعيلية في بلاد فارس » ، يُنظر تحت اسمه في ثبت المراجع ، ص ٥٧٦-٥ .
- (١٧) ماسون (Masson) ، يُنظر الكتاب في ثبت المراجع ، ص ٢٣١ .
- (١٨) ذكر ذلك جابرييل في الفصل المشار إليه في الحاشية رقم ١٢ ، ص ٥٦ . وعن وجهة نظر مخالفة ينظر دى ستيفانو (De Stefano) : الفكرة الامبراطورية لفردريك الثاني (بالإيطالية) ، يُنظر في ثبت المراجع ، ص ١٨٩-٢١١ .
- [يقول صاحب كتاب جامع التواريخ (اليافعى أو العيني) « والظاهر من كلامه [فردريك] انه كان دهرى ، وإنما كان يتلاعب بالنصرانية » ، (المكتبة) ص ٥١٥ .
- (١٩) أمارى ٢/٣ ص ٦٢٩-٧ . ماك سميث (Smith) ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، ص ٥٩ .
- (٢٠) ماثيو باريس (Matthew Paris) : الحولية الكبرى (Chronica Majora) ، ٥٢٠/٣ ، ٢٦٨/٤ ، ٥٦٧ وتكرر التهمة مراراً .
- هاسكينز (Haskins) : العلوم في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٢٥٢ .
- (٢١) جابرييل (Gabrieli) ، الفصل المشار إليه في الحاشية رقم ١٢ ، ص ٦١ .
- (٢٢) هانس ل . جوتشالك (Hans L. Gottschalk) ، مقال بعنوان « الأنباطور/امبراطور » في مجلة (Der Islam) ، مجلد ٣٣ (١٩٥٧) ص ٣٠-٣٦ .
- (٢٣) [أوفد الظاهر بيبرس ابن واصل رسولا عنه إلى منفرد ، ويقول ابن واصل عنه ما يلي : « وكان الأنباطور من ملوك الفرنج فاضلاً محباً للحكمة والمنطق والطب ، ماثلاً إلى المسلمين لأن منشأه بجزيرة صقلية ، وغالب أهلها مسلمون » ، أبو الفداء : كتاب المختصر في أخبار البشر ، القطعة المستخرجة في (المكتبة) ص ٨-٤١٩ . المعرب] .

الفصل الحادى عشر

- (١) سي . ه . هاسكينز (Haskins) : النورمان في التاريخ الأوروبي (بالإنجليزية) ص ٢٣٥ .
- (٢) هاسكينز (Haskins) : نهضة القرن الثاني عشر (بالإنجليزية) ص ٣٠١-٣٠٢ .
- (٣) الساندرو بوساني (Bausani) : « ملاحظات حول الدراسات العربية والإسلامية في إيطاليا في القرون الوسطى » ، مقال (بالإنجليزية) في (مجلة الجمعية التاريخية الباكستانية) ، ٣/٣ (١٩٥٥) ص ١٧٧ .
- (٤) هاسكينز (Haskins) : نهضة القرن الثاني عشر (بالإنجليزية) ص ٢-٣٢٣ .
- (٥) نفس المؤلف السابق ، العلوم في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٢٤٤ .

- (٦) نفس المصدر السابق ٢٥٣. جابرييل ، فصله في كتاب الشرق والغرب ص ٥٨ .
- (٧) دى ستيفانو (De Stefano) ، يُنظر كتابه في ثبوت المراجع ، ص ٢٨ . هاسكينز . (Haskins) : نهضة القرن الثاني عشر (بالإنجليزية) ص ٢٨٤ .
- (٨) ه. بريهول (Bréholles) ، يُنظر كتابه في ثبوت المراجع ، ١٥٨/٢ ، ٧٢٦/٥ .
- (٩) دى ستيفانو (De Stefano) ، يُنظر كتابه في ثبوت المراجع ، ص ٤٤-٤٥ .
- (١٠) نفس المصدر السابق ٦٢-٦٣ .
- (١١) ماسون (Masson) : فردريك الثاني من أسرة هوهنشتاوفن (بالإنجليزية) ص ٤-٢٢٥ .
- (١٢) دى ستيفانو (De Stefano) ، يُنظر كتابه في ثبوت المراجع ، ص ٢٠ ، ٢٧ .
- (١٣) هاسكينز (Haskins) : العلوم في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٦-٢٤٨ .
- أمارى ٢/٣-٦٩٥ . دى ستيفانو ، ينظر كتابه في ثبوت المراجع ٤١-٤٣ .
- (١٤) ج. سارتون (Sarton) : مدخل إلى تاريخ العلوم (بالإنجليزية) ، بليتمور ٢٧-١٩٤٨ ، ٥/٢-٥٦٦ .
- (١٥) ه. بريهول (Bréholles) ، يُنظر كتابه في ثبوت المراجع ، المقدمة ص ٢٧ .
- (١٦) جابرييل (Gabrieli) . تاريخ كمبردج الإسلامى (بالإنجليزية) ، الجزء الثاني ص ١-٨٦٢ .
- (١٧) أمارى : « مسائل فلسفية وجهها الأباطور فردريك الثاني لعلماء المسلمين » ، مقال في المجلة الآسيوية (Journal Asiatique) ، سلسلة ٥ ، ١ (١٨٥٣) ص ٤٠-٢٤٦ . ميهرين (Mehren) ، مقال عن أجوبة ابن سبعين ، يُنظر تحت اسم الكاتب ، ص ٣٤١-٤٥٤ . فور (Faure) ، نظر المادة في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية ، ١/٣-٩٢٢ . ماسون (Masson) ص ٢٣٧ . دى ستيفانو (De Stefano) ٩١-١٢٦ . ماسينيون (Massignon) : مقال في كتاب ذكرى هنرى باسيت ١٢٣/٢-١٣٠ ، ومقال في كتاب دراسات المستشرقين في ذكرى ليني بروفنسال ، ٦١/٢-٦٨٢ . وكتابه (مجموعة نصوص عن التصوف في بلاد المسلمين) ص ٢٣-١٣٤ . تُنظر تحت اسم الكاتب في ثبوت المراجع .
- (١٨) سارتون (Sarton) : مدخل إلى تاريخ العلوم (بالإنجليزية) ، ٥/٢-٥٦٦ .
- (١٩) مونتجومرى واط (Montgomery Watt) : تأثير الإسلام على أوروبا في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٦٧-٧٨ .
- (٢٠) أمارى ٣/٣-٩١٤ .
- (٢١) سيبولد (Seybold) ودى جريجاريو (de Gregario) : جامع المفردات الصقلية من أصل عربي يُنظر تحت اسم جريجاريو في ثبوت المراجع ، ص ٢٢٥-٢٥١ .
- (٢٢) [ومن بين الألفاظ العربية الكثيرة التي لا تزال متداولة على السن الصقليين : خزانة gasèna وفكرونة (وهي السلفحة عند المغاربة fucuruna وخنجر canciàru وفلان filano وحرارة carara وخسارة cassara والروطل rotolo والأطرية (المكرونه الدقيقة غير المثقوبة) etria والأسفنج (نوع من الحلوى في المغرب) sfenza و نارنج (البرتقال) naranzu وزهرته

- zagara. يُنظر مارتينو ماريو مورينو (Martino Mario Moreno) : المسلمون في صقلية ، بيروت ١٩٦٨ ص ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ . المغرب] .
- (٢٣) سالميني (Salimbeni) ، يُنظر كتابه في ثبوت المراجع ، ص ١٦٦ وقد ذكره أماري ٣/٣ ص ٧٢٩ .
- (٢٤) أماري ٣/٣ ص ٧٦٠-٧٦٥ .
- (٢٥) ميلاس (Millás) : « تأثير الشعر الشعبي الأندلسي على الشعر الإيطالي » ، يُنظر في ثبوت المراجع .
- (٢٦) سيساريو (Cesareo) : يُنظر كتابه في ثبوت المراجع ، ص ١٠١ .
- (٢٧) ه.أ.ر. جيب (Gibb) : الفصل الذي كتبه في (تراث الإسلام (Legacy of Islam) ، اكسفورد ١٩٣١ ص ١-١٩٢ .
- (٢٨) جابرييل (Gabrieli) : « فردريك الثاني والثقافة الإسلامية » ، فصل في كتاب (الشرق والغرب) ، بالإنجليزية ، ص ٦٠ .
- (٢٩) آسين بلاثيوس (Asín Palacios) : الكوميديا الإلهية والإسلام (ترجمة إنجليزية) ، ص ٤٥-٥٥ وتكرر مراراً .
- (٣٠) ي. شيرولي (Cerulli) : كتاب المعراج وقضية الأصل العربي الأندلسي للكوميديا الإلهية ، بالإيطالية ، مدينة الفاتيكان ١٩٤٩ ص ٥١٩ .
- (٣١) كتاب (Convito) ، ٦/٢ ، ١٤ ، ٢/٣ ، ٢١/٤ .
- (٣٢) نفس المصدر السابق ١٥/٢ .
- (٣٣) المطهر (Purgatorio) ، ٦٦-٦٢/٢٥ ، كتاب (Convito) ، ١٣/٤ ، (De Monarchia) ، ٤/١ الخ . . . يُنظر شيرولي (Cerulli) ص ٥١٣ .
- (٣٤) شيرولي (Carulli) ص ٥١٩-٥٢١ . م. ث. دالفري (d'Alverny) : « جولات الروح في العالم الآخر لمؤلف مجهول الاسم من أواخر القرن الثاني عشر » ، بحث نُشر في مجلة (مخطوطات تاريخ العقيدة والأدب في القرون الوسطى) ، يُنظر ثبوت المراجع تحت اسم الكاتب ، مجلد ١٣ (٤٠-١٩٤٢) ص ٢٣٩-٣٠٠ .
- (٣٥) شيرولي (Cerulli) ، ص ٥٢٤-٥٤٣ .
- (٣٦) نفس المصدر السابق ٣-٥٢٤ .
- (٣٧) نفس المصدر السابق ٣٣٥-٣٥٤ .
- (٣٨) نفس المصدر السابق ٣٧٤-٤٣٧ .
- (٣٩) جابرييل (Gabrieli) ، يُنظر الفصل الذي كتبه في (تاريخ كمبردج الإسلامي (CHI) ، ٧/٢-٨٧٨ .
- (٤٠) ب. فاليرجا (Valerga) : ديوان عمر بن الفارض . . . (بالإيطالية) ، فلورنسا ١٨٧٤ . تُنظر إشارة جابرييل في (تاريخ كمبردج الإسلامي) ٨٨١/٢ إلى رسالة بترارك (Espistole Senili) ، ٢/١٢ .

الفصل الثاني عشر

- (١) أماري ٣/٣ ص ٨-٨٤٩ .
- (٢) ج . مارسية (Marçais) . فن المعمار الإسلامي في المغرب (بالفرنسية) ، يُنظر في ثبث المراجع ، ص ١١٩ . حول قصر الفؤارة ينظر كذلك ١ . جولدشميدت في (Jahrbuch der K. Prauss. Kuustsamml.) ، مجلد ١٦ (١٨٩٥) . ف . دي جوفاني : « حصن وكنيسة القديس فليب بالفؤارة في البحر العذب ببلرم » ، مقال في (المحفوظات التاريخية الصقلية) ، بدون تاريخ ، مجلد ٢٢ (١٨٩٧) ص ٣٠١-٣٧٤ .
- (٣) ج . باتريكولو (Patricolo) : « الأثر العربي المكتشف في فبراير ١٨٨٢ بالقرب من كنيسة القديس يوحنا شفيع النسك في بلرم » ، مقال في (المحفوظات التاريخية الصقلية) بدون تاريخ ، مجلد ٧ (١٨٨٣) ص ١٧٠-١٨٣ .
- (٤) فون شاك (von Schack) ، يُنظر كتابه في ثبث المراجع ، الترجمة الأسبانية ، ص ٦-١٠٧ .
- (٥) الأدريسي : نزهة المشتاق ، قطعة مستخرجة في (المكتبة) ص ٢٨-٢٩ .
- (٦) نفس المصدر السابق ص ٢٨ .
- (٧) م . س . بريجز (Briggs) ، يُنظر كتاب (تراث الإسلام) ، بالإنجليزية ، ص ١٦٩ .
- (٨) نفس المصدر السابق ص ٤-١٧٦ .
- (٩) ف . فالنتي (Valenti) : « القصر الملكي ببلرم » ، مقال (بالإيطالية) ، يُنظر تحت اسم الكاتب في ثبث المراجع . مارسية (Marçais) ص ١٢٠ .
- (١٠) ج . بلارديني (Ballardini) ، يُنظر المرجع تحت اسمه في ثبث المراجع ص ٣٩١-٤٠٠ .
- (١١) دوكا دي سيراديفالكو (Serradifalco) ، يُنظر الكتاب تحت اسمه في ثبث المراجع ، ص ٤٣ .
- (١٢) أماري ٣/٣ ص ٥-٨٤٦ .
- (١٣) كيرتيس (Curtis) ، يُنظر كتابه تحت اسمه في ثبث المراجع ، ص ٣٩٧ .
- (١٤) تشالاندون (Chalandon) ، ٧٣٢/٢ .
- (١٥) نفس المصدر السابق ٧٢٦-٥/٢ . مارسية (Marçais) : المعمار الإسلامي في المغرب (بالفرنسية) ص ٤-١٢٥ .
- (١٦) مارسية ، المصدر السابق ص ٣-١٢٥ .
- (١٧) أماري ٣/٣ ص ٨٧٢ .
- (١٨) نفس المصدر السابق ٢/٣ ص ١-٤٧٢ .
- (١٩) مارسية (Marçais) : المعمار الإسلامي في المغرب (بالفرنسية) ص ٢-١٢٣ .
- (٢٠) نفس المصدر السابق ص ٢-١٢٣ .
- (٢١) ليناردو البرتي (Alberti) ، يُنظر الملحق لكتابه (صفة إيطاليا) ، بالإيطالية ، البندقية ١٥٦٧ ص ٥٣ . فون شاك (von Schack) ، يُنظر كتابه في ثبث المراجع ، الترجمة الأسبانية ، ص ١١٥-١١٨ .

- (٢٢) ب. ب. كوت (Cott) : الأشكال العاجية العربية الصقلية ، برنستون ١٩٣٩ ص ٤-٥ .
- (٢٣) مونوريه دو فيلار (Monneret de Villard) ، يُنظر كتابه في ثبوت المراجع ، ص ٢٤-٤٩ .
- (٢٤) أماري : الكتابات العربية في صقلية (بالإيطالية) ، بلرم ١٨٧٥ ص ٣٢-٤٢ . مونوريه دو فيلار ، يُنظر كتابه في ثبوت المراجع ، ص ٣٢ . ج. سورديل - تومين (Sourdel-Thomine) ، يُنظر مقاله في ثبوت المراجع تحت اسمه ، ص ٣٠٧-٣١٦ .
- (٢٥) ج. فيهرفاري (Fehervari) ، يُنظر الفصل في تاريخ كمبردج الإسلامي ٧١٥/٢ وفيه يشير إلى (خطوط) المقريري ، ٤٨٧-٦/١ ، ٣١٨/٢ .
- (٢٦) ر. إتنجهاوسن (Ettinghausen) ، يُنظر مقاله عن الفن في الفترة الفاطمية في مجلة الفنون الإسلامية (Ars Islamica) ، مجلد ٩ (١٩٤٢) ص ١١٢ . ه. بوكثال (Buchthal) ، يُنظر مقاله في نفس المجلة ، مجلد ٢ (١٩٤٠) ص ١٢٥-١٣٣ .
- (٢٧) مونوريه دو فيلار ، يُنظر كتابه في ثبوت المراجع ، ص ٣٥-٤٨ .
- (٢٨) نفس المصدر السابق ص ٤٩ .
- (٢٩) ت. أرنولد (Arnold) ، الفصل في كتاب (تراث الإسلام) ، بالإنجليزية ، الطبعة الأولى (١٩٣١) ص ٣-١٥٤ .
- (٣٠) مونوريه دو فيلار ، يُنظر مقاله في ثبوت المراجع تحت اسمه ، ٨٩-٤٦/٣ .
- (٣١) أماري ٣/٣ ص ١-٨٢٢ .
- (٣٢) [في خريف سنة ١١٤٧ م ، أُلقي الأسطول النورماني من جنوب إيطاليا ، بقيادة مقدم الأسطول جورج الأنطاكي ، قاصدا مهاجمة القسطنطينية العاصمة البيزنطية بادية الأمر ، ولكنه تحول عن ذلك إلى مهاجمة سواحل بلاد اليونان والجزر المجاورة . وقد أغارت جماعة من جنود الأسطول على مدينتي كورنث وثيبس (Thebes) ، وكانت الأخيرة مركز صناعة المنسوجات الحريرية البيزنطية ، وبعد نهب المدينة ، نقل النورمان عدداً كبيراً من النساء العاملات في صناعة الحرير (تربية دودة القز ، وصناعة المنسوجات) ، ومعظمهن من اليهوديات ، إلى بلرم ، وبذلك تسنى للنورمان إقامة صناعة ناجحة للمنسوجات الحريرية في عاصمتهم . يُنظر ج. ج. نوريتش (Norwich) : المملكة في الشمس (بالإنجليزية) ، لندن ١٩٧٦ ص ١٣٠-١٣١ . كذلك أ. شرف (Sharf) : اليهود في الامبراطورية البيزنطية (بالإنجليزية) ، لندن ١٩٧١ ص ١٤٤-١٤٥ . المغرب] .
- (٣٣) أ. ه. كريستي (Christie) ، يُنظر كتاب (تراث الإسلام) ، بالإنجليزية ، الطبعة الأولى ، (١٩٣١) ص ٤-١٣٥ .
- (٣٤) كوت (Cott) . الأشكال العاجية العربية الصقلية (بالإنجليزية) ص ١-٥ .
- (٣٥) نفس المصدر السابق ٩-١٥ .

الفصل الختامي

- (١) ماسون (Masson): فردريك الثاني من أسرة هوهنشتاوفن (بالإنجليزية) ص ١٧٩-٥.
- (٢) [نسبة إلى شارل كونت انجو، شقيق ملك فرنسا لويس التاسع، وتقع مقاطعة أنجو إلى الجنوب الغربي من باريس. وقد استعان به البابا ضد منفرد صاحب صقلية وجنوب إيطاليا فهزم منفرد وقتل بالقرب من بنفنت سنة ١٢٦٦، وبذلك أصبح شارل ملكا على صقلية وجنوب إيطاليا. إلا أنه في أعقاب ثورة الصقليين الشهيرة على الفرنسيين سنة ١٢٨٢ م، فقد شارل صقلية نهائيا وخلفه على ملك جنوب إيطاليا، دون صقلية، ابنه المسمى شارل الثاني سنة ١٢٨٥ م، وفي عهده وبأمر منه تم تنصير مسلمي لوشيرة عنوة سنة ٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ م. يُنظر ر. لودج (Lodge): نهاية القرون الوسطى (بالإنجليزية)، لندن ١٩٣٥ ص ٢٤-٢٦. المعرب [.
- (٣) قام ج. ه. بيرتز (Peretz)، يُنظر تحت اسمه في ثبث المراجع، بنشر الوثيقة سنة ١٨٢٤ م، وبعده بقرن من الزمن قام ج. ديلا فيدا (Della Vida) بدراسة تحليلية لها في مقال نشره في مجلة الدراسات الشرقية (RSO)، مجلد ١٠ (٣-١٩٢٥) ص ٢٨٤-٢٩٢.
- (٤) بيترو إيجيدي (Egidi): مجموعة مخطوطات دبلوماسية للمسلمين في لوشيرة (بالإيطالية)، يُنظر في ثبث المراجع، ص ٣١.
- (٥) ريمون لُل (Raymond Lull) مبشر أسباني متحمس من جزيرة ميورقة (١٢٣٥-١٣١٦ م) دعا إلى تنصير المسلمين سلميا عن طريق المبشرين، وذلك بعد فشل الحملات الصليبية العسكرية في تحقيق ذلك. واقترح على مؤتمر فيينا (١٣١١ م) إنشاء معاهد بالجامعات الأوروبية لتدريس اللغة العربية وغيرها من اللغات الشرقية، وذلك لتمكين المبشرين من القيام بمهمتهم في عملية التبشير بالدين المسيحي. وكان هو نفسه متمكنا من العربية، وجاب كثيرا من الاقطار الإسلامية، وقد لقي مصرعه رجما بالحجارة في مدينة بجاية سنة ١٣١٦ م. يُنظر إرنيسست باركر (Barker): الحروب الصليبية (بالإنجليزية) لندن ١٩٣٩ ص ١١. وكذلك هانس ابهرارد ماير (Mayer): الحروب الصليبية (بالإنجليزية)، اكسفورد ١٩٧٢ ص ٢٧٣. المعرب [.
- (٦) بيترو إيجيدي، تُنظر الحاشية السابقة رقم ٤، ص ٣٢.
- (٧) بيترو إيجيدي (Egidi): المستوطنة الإسلامية في لوشيرة والقضاء عليها (بالإيطالية) نابولي ١٩١٢ ص ٧٦-٧٧.

تعريف ببعض المراجع والمجلات التي وردت أسماؤها مختصرة

- أماري = تاريخ مسلمي صقلية (Storia dei Musulmani di Sicilia) ، الطبعة الثانية ، بعناية سي . أ . نلّينو (Nallino) ، قطانية ٣٣ — ١٩٣٩ .
- تاريخ كامبردج الإسلامي = (Cambridge History of Islam (CHI) ، جزء آن ، كامبردج ١٩٧٠ .
- تاريخ كامبردج للقرون الوسطى = (Cambridge Medieval History (CMH) ، الجزء الخامس ، كامبردج ١٩٣٩ .
- ذكرى أماري = ذكرى مرور مائة عام على مولد ميشيل أماري (بحوث لغوية وتاريخية)
- بلرم ١٩١٠ م (Centenario della nascita di Michele Amari (Centenario)
- مجلة الدراسات الإسلامية = (Studia Islamica (SI .
- مجلة الدراسات الشرقية = (Revisa degli Studi Orientali (RSO .
- المكتبة = المكتبة العربية الصقلية (نصوص عن صقلية الإسلامية استخرجها ميشيل أماري من المصادر العربية التاريخية والجغرافية والأدبية) ، ليسك ١٨٥٧ .

ثبت بالمصادر والمراجع

(أ) مصادر ومراجع عربية

- ابن أبي دينار [القيرواني] : المونس في أخبار إفريقية وتونس ، تونس ١٨٦٩ .
ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، تحقيق سي. ج. تورنبرج ، لندن ٦٧ — ١٨٧٤ .
ابن بشكوال : كتاب الصلة ، تحقيق كوديرا ، مدريد ١٨٨٣ .
ابن جبير : الرحلة ، بيروت ١٩٦٤ .
ابن حمديس : الديوان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٠ .
الديوان ، تحقيق سي. سكيابرلي ، رومة ١٨٩٧ .
ابن حوقل : صورة الأرض ، تحقيق دي خويه ، لندن ١٨٧٣ .
ابن خلدون ، عبد الرحمن : كتاب العبر ، ٧ أجزاء ، بولاق ١٢٨٤ هـ .
ابن خلّكان : وفيات الأعيان ، تحقيق م. عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٨ .
ابن سبعين : الكلام في المسائل الصقلية ، تحقيق س. يالتكايا ، باريس ١٩٤٣ .
رسائل ابن سبعين ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ١٩٦٥ .
ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، تحقيق سي. سي. توري ، نيوهافن ١٩٦٠ .
ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار المغرب ، تحقيق دوزي ، لندن ٤٨ — ١٨٥١ .
أبو العرب ، محمد بن أحمد بن تميم التميمي ، والخشني : طبقات [علماء] إفريقية ، الجزائر ١٥ — ١٩٢٠ .
أبو الفدا : تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠ .
أرسلان ، شكيب : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر

- المتوسط ، القاهرة ١٩٣٣ .
- أماري ، ميشيل : المكتبة العربية الصقلية (نصوص عن صقلية الإسلامية مستخرجة من المصادر العربية في التاريخ والجغرافيا والتراجم والأدب والمراجع) ، ليبسك ١٨٥٧ .
- البلاذري ، أحمد بن يحيى : فتوح البلدان ، تحقيق دي خويه ، ليدن ١٨٦٦ .
- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (كاتبي تشلي) : كشف الظنون ، تحقيق ج . فلوجل ، ليبسك ٣٥ — ١٨٥٢ .
- الحموي ، أبو الفضائل : التاريخ المنصوري ، تحقيق ب . أ . جريازنفيتش ، موسكو ١٩٦٠ .
- الخلوي ، أمين : « المدينة العربية في صقلية » ، مقال نُشر بمجلة (المقتطف) ، مجلد ٦٢ ، عدد فبراير ١٩٢٣ ص ٢ — ١٤٧ ، وعدد أبريل ١٩٢٣ ص ١ — ٣٢٦ .
- ريتسيتانو ، أومبرتو : « أخبار عن بعض مسلمي صقلية » ، مقال نُشر بمجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، العدد ٣ (١٩٥٥) ص ٤٩ — ١١٢ . العرب في صقلية ، القاهرة ١٩٥٩ .
- الزركشي ، [أبو عبد الله محمد بن إبراهيم] : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تونس ١٨٧٢ .
- السمعاني ، [عبد الكريم بن محمد] : كتاب الأنساب ، تحقيق د . س . مرجوليوث ، لندن — ليدن ١٩١٢ .
- السنوسي ، زين العابدين : في الأدب العربي وديوان ابن حمديس ، تونس ١٨٥٢ .
- الشعراني ، [أبو المواهب عبد الوهاب] : الطبقات الكبرى ، القاهرة ١٣٠٥ هـ .
- العماد الأصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، ١/٤ (الأندلس وصقلية) ، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ، القاهرة ، بدون تاريخ ، عباس ، إحسان : العرب في صقلية ، القاهرة ١٩٥٩ .
- عبد الوهاب ، حسن حسني : الإمام المازري ، تونس ١٩٥٥ .
- القشيري ، أبو القاسم : الرسالة ، للقاهرة ١٣١٩ هـ .

- المالكي ، [أبو بكر عبد الله] : رياض النفوس ، [الجزء الأول فقط] ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥١ .
- المدني ، أحمد توفيق : المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ، الجزائر ١٩٦٩ .
- المراكشي ، [عبد الواحد] : المُعْجَب في تلخيص أخبار المغرب ، القاهرة ١٩٤٩ .
- المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٦ .
- المنشأوي ، عبد الغني ومصطفى السقا : ترجمة ابن حمديس الصقلي ، القاهرة ١٩٢٩ .
- [مؤلف مجهول الاسم : تاريخ جزيرة صقلية ، المعروف بتاريخ كمبردج (Cambridge Chronicle) في (المكتبة العربية الصقلية) ، ليسك ١٨٥٧ ص ١٦٥ — ١٧٦] .
- النعمان ، القاضي : دعائم الإسلام ، تحقيق أ. أ. فيضي ، القاهرة ١٩٥١ .
- النويري ، [شهاب الدين أحمد] : نهاية الأرب في فنون الأدب ، القاهرة ٢٣ — ١٩٣٥ .
- ياقوت الحموي ، أبو عبد الله : معجم البلدان ، تحقيق ف. وستنفيلد ، ليسك ٦٦ — ١٨٧٠ .

- Medieval History*, vol. v: *Contest of Empire and Papacy*, Cambridge 1964.
- Tardia, F.: *Opuscoli di autori siciliani*, Palermo 1764.
- Ullmann, M.: *Die Medizin im Islam*, Leiden 1970.
- Valenti, F.: 'Il Palazzo Reale di Palermo', *Bollettino d'arte del ministero dell'educazione nazionale*, anno IV (1924-25), 512-28.
- Valerga, P.: *Il Divano di Omar ben al-Fared tradotto e paragonato al canzoniere del Petrarca*, Florence 1874.
- Vasiliev, A. A.: *Vizantij i Arabi*, St. Petersburg 1900-2; Fr. tr. M. Canard, *et al. (Byzance et les Arabes)*, Brussels 1935.
- della Vida, G. Levi: 'La sotto-scrizione araba di Riccardo di Lucera', *RSO*, 10 (1293-5), 284-92.
- Villard, U. Monneret de: *Le pitture musulmane al soffitto della Cappella Palatina in Palermo*, Rome 1950.
- *Monumenti dell'arte musulmana in Italia*, Rome 1938.
- *La cassetta incrostata della Palatina*, Rome 1938.
- 'La tessitura palermitana sotto i Normanni e i suoi rapporti con l'arte bizantina', *Miscellanea Giovanni Mercati*, 3 (1946), Vatican City, 46-89.
- *Lo studio dell'Islām in Europa nel XII e XIII secole*, Vatican City 1944.
- Wagner, E.: *Die arabische Rangstreitdichtung und ihre Einordnung in die allgemeine Literaturgeschichte*, Akademie der Wissenschaften und Literatur, Abhandlungen der Geistes und Sozialwissenschaftlichen Klasse, (1962), Nr. 8.
- Watt, W. Montgomery: *The Influence of Islam on Medieval Europe*, Edinburgh 1972.
- Wood, A. and Fyfe, F. M.: *The Art of Falconry, being the De Arte Venandi cum Avibus of Frederick II of Hohenstaufen*, London 1956.
- Ziegler, H.de: *Vie de l'Empereur Frédéric II de Hohenstaufen*, Paris 1935.

- Sarre, Fr.: 'L'arte musulmana nel sud d'Italia e in Sicilia', *Archivio Storico per la Calabria e la Lucania*, iii, fasc. 4.
- Sarton, G.: *Introduction to the History of Science*, Baltimore 1927-48.
- Savagnone, F. G.: 'Il diploma di fondazione della Cappella Palatina di Palermo (1140)', *Archivio Storico Siciliano*, n.s., xxvi (1901), 65-77.
- von Schack, A. F.: *Poesie und Kunst der Araber in Spanien und Sicilien*, Berlin 1887; Spanish tr. J. Valera, *Poesía y arte de los Arabes en España y Sicilia*, Seville 1881.
- Geschichte der Normannen in Sicilien*, Stuttgart 1889.
- Scherillo, Michele: 'Un' iscrizione araba scavata in Napoli', *Napoli Nobilissima*, xiii, fasc. 9 (September 1904).
- Schiaparelli, C.: *Il canzoniere di Ibn Ḥamdīs, poeta arabo di Siracusa*, Roma 1897.
- Schipa, M.: *Sicilia e Italia sotto Federico II*, Naples 1928.
- Schipperges, H.: *Die Assimilation der arabischen Medizin durch das lateinische Mittelalter*, Wiesbaden 1964.
- Seippel, A.: *Rerum Normannicarum fontes Arabici*, Oslo 1896-1928.
- Serradifalco, Duca di: *Del Duomo di Monreale e di altre chiese normanne*, Palermo 1838.
- Setton, K. M. (gen. ed.): *A History of the Crusades*, Milwaukee 1969.
- Sharar, 'Abd-al-Ḥal-Ḥalīm: *Ṣiqillīyya meñ Islām*, Lucknow 1919.
- Siragusa, G. B.: *Il regno di Guglielmo I in Sicilia*, Palermo 1885-6, 1929.
- Smith, Denis Mack: *A History of Sicily: Medieval Sicily 800-1713*, London 1968.
- Sourdel-Thomine, J.: 'Le style des inscriptions arabo-sicilienne à l'époque des rois normands', *Études d'Orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal*, Paris 1962, i. 307-17.
- de Stefano, A.: *La Cultura alla Corte di Federico II, Imperatore*, Palermo, 1938.
- La Cultura nel periodo normanno*, Bologna 1954.
- Federico e le correnti spirituali del suo Tempo*, Rome 1922.
- L'Idea imperiale di Federico II*, Bologna 1952.
- Steiger, A.: *Contribucion a la fonética del hispano-arabe y de los arabismos en el ibero-romanico y el siciliano*, 1932.
- Steinschneider, M.: 'Die europäischen Übersetzungen aus dem Arabischen bis Mitte des 17. Jahrhunderts', *Sitzungsberichte d. Kais. Akad. d. Wissenschaften in Wien*, cxlix (1904-05); reprinted Graz, 1956.
- Die arabischen Übersetzungen aus dem Griechischen* (reprint), Graz, 1960.
- 'Occidentalische Übersetzungen aus dem Arabischen im Mittelalter', *ZDMG*, xxviii (1874).
- Sternfeld, O.: *Kreuzzug Ludwigs des Heiligen nach Tunis und die Politik Karls I von Sizilien*, Berlin 1896.
- Talbi, M.: *L'émirat aghlabide 184-296/800-909: Histoire politique*, Paris 1966.
- Tanner, J. R., Prévité-Orton, C. W. and Brook, Z. N. (eds.): *The Cambridge*

- Noth, A.: *Heiliger Krieg und Heiliger Kampf in Islam und Christentum*, Bonn 1966.
- Orsi, P.: 'Ceramiche arabe di Sicilia', *Bollettino d'arte*, ix (1915).
- Ottendorf, H.: *Die Regierung der beiden letzten Normannenkönige Tancreds und Wilhelm III Von Sicilien und ihre Kämpfe gegen Heinrich VI*, Bonn 1899.
- Patricolo, G.: 'Il monumento arabo scoperto in febbrajo 1882 e la contigua chiesa di S. Giovanni degli Eremiti in Palermo', *Archivio Storico Siciliano*, Nuova Serie, vii (1883).
- Pardi, G.: 'Quando fu composta la Geografia di Edrisi?', *Rivista Geographica Italiana*, xxiv (1917), 380-2.
- Petroni, G.: *Storia della città di Bari*, Naples 1857.
- Pietro, R. J. di, and Selim, G. D.: 'The Language Situation in Arab Sicily', *Linguistic Studies in Memory of R. S. Barrell*, 1967, 19-35.
- Pirenne, H.: *Mahomet et Charlemagne*, Paris 1937; Eng. tr. London 1939.
- Pirro, R.: *Sicilia sacra*, Palermo 1733.
- Pontieri, E. et al.: *Il Regno Normanno*, Messina/Milan 1932.
- Rashdall, H.: *The Universities of Europe in the Middle Ages*, Oxford 1936.
- Reinaud, J. T.: *Invasions des Sarrazins en France et de France en Savoie, en Piémont et dans la Suisse*, Amsterdam 1964; Eng. tr. by H. K. Sherwani, *Muslim Colonies in France, Northern Italy and Switzerland*, Lahore 1964.
- 'Un commento di Ibn Qaṭṭā' "il Siciliano" ad alcuni versi di al-Mutanabbi', *RSO*, xxx (1955), 207-27.
- 'Un compendio dell' Antologia di poeti arabo-siciliani intitolata ad-Durrah al-khaṭīrah min šu'arā' al-Ġazīrah di Ibn al-Qaṭṭā' "il siciliano"', *Atti Acc. Nz. dei Lincei, Memorie*, viii (1958), 335-78.
- 'Il contributo del mondo arabo agli studi arabo-siculi', *Rivista degli studi Orientali*, 34 (1961), 71-93.
- *La cultura araba nella Sicilia saracena*, Palermo 1961.
- 'Ibn Faḥḥām muqri' siciliano', *Studi Orientalistici in onore di G. Levi Della Vida*, Rome 1956, 403-24.
- 'Notizie bio-bibliografiche su Ibn Qaṭṭā' "il siciliano"', *Atti dell' Accademia Nazionale dei Lincei*, ix, fasc. 5-6, May-June, 1954, 260-94.
- 'Nuove fonti arabe per la storia sei musulmani di Sicilia', *RSO*, 32 (1957), 531-55.
- *Ta'rikh al-adab al-ʿ Arabi fi-Šiqillīyya*, 1965.
- 'Il *tatqīf al-lisān wa-talqīh al-ganān* di Abu Ḥaṣṣ ʿUmar b. Makki aṣ-Šiqqillī', *Studia Orientalia*, i (1956), 194-207.
- Roberto, F.de.: *Catania*, Bergamo 1907.
- Rose, V.: 'Ptolemaeus und die Schule von Toledo', *Hermes*, viii, (1874), 327 et seq.
- Salimbeni: *Chronica*, Parma 1857.
- Salinas, A.: 'Escursioni archeologiche in Sicilia', *Archivio Storico Siciliano*, Nuovo serie, vii (1883),

- Malvezzi, A.: *L'islamismo e la cultura europea*, Florence 1956.
- Marçais, Georges: *L'architecture musulmane d'Occident: Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile*, Paris 1956.
- *La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen-Âge*, Paris 1946.
- *Manuel d'art musulman*, Paris 1926.
- Maria, P. G. and Calvaruso, G. M.: *Fonti arabiche nel dialetto siciliano*, 1910.
- Mas-Latrie, Comte de: *Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge*, Paris 1868-72.
- *Relations et commerce de l'Afrique septentrionale, ou Magreb, avec les nations chrétiens au moyen âge*, Paris 1886.
- Massignon, L.: 'Ibn Sab'in et la "conspiration hallagienne" en Andalousie et en Orient au XIII^e siècle', *Études d'Orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal*, Paris 1962, ii. 661-82.
- 'Ibn Sab'in et la critique psychologique dans l'histoire de la philosophie musulmane', *Mémorial Henri Basset*, Paris 1928, ii. 123-30.
- Massignon, L. et Arnaldez, R.: 'La science arabe' in R. Taton, *Histoire Générale des Sciences*, Paris 1957, i. 430-71.
- Masson, G.: *Frederick II of Hohenstaufen*, London 1957.
- Di Matteo, I.: 'Antologia di poeti arabi siciliani, estratta da quella di Ibn al-Qaṭṭā', *Archivio Storico per la Sicilia*, I (1935), 85-133.
- Mehren, M. A. F.: 'Correspondence du Philosophe soufi Ibn Sab'in Abdoul-Haqq avec l'Empereur Frédéric II de Hohenstaufen', *Journal Asiatique*, 7^e série, xiv (1879), 341-454.
- Menéndez Pidal, R.: *Poesía árabe e europea*, Madrid 1941.
- Millás, J. M.: 'Influencia de la poesía popular hispano-musulmana en la poesía italiana', *Revista de Archivos*, (1920-21).
- Miller, K.: *Mappae Arabicae*, Stuttgart 1926-7.
- Momigliano, E.: *Federico II di Svevia*, Milan 1948.
- Monroe, James T.: *Hispano-Arabic Poetry*, Berkeley 1973.
- Monumenta Germaniae Historica*, ed. G. H. Pertz, T. Mommsen et al. 1826-1890.
- Muratori, L. A.: *Rerum Italicarum scriptores*, Milan 1723-51.
- Musca, G.: *L'Emirato di Bari*, Bari 1964.
- Nadwī, Sayyid Riyāsat 'Alī: *Ta'rikh-i Šiqilliyā*, A'zamgarh 1933-6.
- Nakhli, M.: 'La géographie et le géographe Idrissi', *IBLA*, 1942, 153-7.
- Nallino, C. A.: 'Di alcune epigrafi sepolcrali arabe trovate nell'Italia meridionale', *Miscellanea Salinas*, Palermo 1907, 428-38.
- 'La nuova edizione della Storia dei Musulmani di Sicilia di Amari', *Atti del XIX Congresso Internazionale degli Orientalisti*, 1935, Rome 1938.
- Narducci, E.: *Saggio di voci italiane derivate dall'arabo*, Rome 1858.
- Naṣīr Aḥmad Jāmī'ī: *Musulmān Sīst' mēñ*, Lahore 1964.
- Niese, H.: *Die Gesetzgebung der normannischen Dynastie im Regnum Siciliae*, Halle 1910.

- Huici Miranda, A.: *Historia política del imperio almohade*, Tetuan 1956-7.
- Hunke, S.: *Allahs Sonne über dem Abendland; unser arabisches Erbe*, Stuttgart 1960.
- Idris, H. R.: *La Berbérie orientale sous les Zirides, X^e-XII^e siècle*, Paris 1962.
- 'L'école mālikite de Mahdiya: L'Imām Al-Mazārī (v. 536H/1141)', *Études d'Orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal*, Paris 1962, i. 153-64.
- al-Idrīsī, Abū-'Abd-Allāh Muḥammad b. Muḥammad, ash-Sharīf: *Kitāb Nuz'hat al-mushtāq fī-khtirāq al-āfāq*, Fr. tr. by P. A. Jaubert, *Géographie d'Edrisi*, 2 vols, Paris 1836-40.
- Ivanow, W.: *Ismaili Tradition concerning the Rise of the Fatimids*, London 1942.
- Jamyson, E.: *The Life and Work of Admiral Eugenius*, Oxford 1957.
- Julien, Ch.-André: *Histoire de l'Afrique du Nord de la conquête arabe à 1830*, ii, Paris 1961.
- Kantorowicz, E.: *Kaiser Friedrich der Zweite*, Berlin 1931.
- Kehr, K. A.: *Die Urkunden der normannisch-sicilischen Könige*, Innsbruck 1902.
- Kington, T. L.: *Frederick II, Emperor of the Romans*, London 1802.
- Kritzeck, J.: *Peter the Venerable and Islam*, Princeton 1964.
- Kruse, H.: 'A note on the badges for Sicilian Christians under the Muslim rule', *Journal of Pakistan Historical Society*, 1 (1953), 263-4.
- Kühnel, E.: 'Sizilien und die islamische Elfenbeinmalerei', *Zeitschrift für bildende Kunst*, 49 (1913-14), 25, 162-70.
- Lagumina, Bartolomeo: *Catalogo delle monete arabe esistente nella Biblioteca comunale di Palermo*, 1892.
- *La Cronaca siculo-saracena di Cambridge*, 1892.
- *Il falso codice Arabo-Siculo della Bibliotheca Nazionale di Palermo*, Palermo 1882.
- *Documenti per servire alla storia di Sicilia*, Palermo 1890.
- 'Nota sulle iscrizioni quadrilingue esistente nel Museo Nazionale di Palermo', *Archivio Storico Siciliano*, n.s. xv (1890), 108-10.
- *Studi sulla numismatica arabo-normanna*, Rome (?) 1891.
- Lasinio, F.: *Delle voci italiane di origine orientale*, Florence 1877, 1886.
- Lavagnini, B.: 'Siracusa occupata degli Arabi e l'epistola di Teodosio Monaco', *Byzantion*, 29-30 (1959-60), 267-79.
- Lello, G. L. and Del Giudice, M.: *Descrizione del real tempio e monasterio di S. Maria Nuova di Monreale*, Palermo 1702.
- Lévi-Provençal, E.: 'Une héroïne de la résistance musulmane en Sicile au début du XIII^e siècle', *Oriente Moderno*, 34 (1954), 283-8.
- Lewis, Bernard: 'Assassins of Syria and Ismā'īlīs of Persia', *Atti del convegno internazionale sul tema La Persia nel medioevo*, Accademia nazionale dei Lincei, Rome 1971, 573-80.
- Longo, N.: *Ricerche su i diplomi normanni della chiesa di Troina*, Catania 1899.
- Lumia, I. La: *Storia della Sicilia sotto Guglielmo il Buono*, Florence 1867.
- Mach Smith, see Smith, Denis Mack.
- Malaterra, see Gaufridus.

- mande', Académie Roumaine. *Bulletin de la section historique*, II (1924), 127-35.
- Gibb, H. A. R.: 'The Influence of Islamic Culture on Medieval Europe', *Bulletin of John Rylands Library*, 38 (1955), 82-98.
- Giffen, Lois Anita: *Theory of Profane Love among the Arabs: The Development of the Genre*, New York 1971.
- Giovanni, V. di: 'Il castello e la chiesa della Favara di S. Filippo a Mare Dolce in Palermo', *Archivio Storico Siciliano*, n.s. xxii (1897), 301-74.
- 'Divisione etnografica della popolazione di Palermo nei secoli XI, XII, XIII', *Archivio Storico Siciliano*, n.s. xiii (1888), 1-51.
- La topografia antica di Palermo dal sec X al XV*, Palermo 1889-90.
- Golvin, L.: *Le Magrib central à l'époque des Zirides*, Paris 1957.
- Gottschalk, H. L.: 'Al-anbarātūr/Imperator', *Der Islam*, 33 (1957), 30-6.
- al-Malik al-Kāmil*, Wiesbaden 1958.
- De Gregario, G. and Seybold, C.: 'Glossario delle voci siciliane di origine araba', *Studi Glottologici Italiani*, 1902, iii. 225-51.
- Gregario, R.: *Considerazioni sopra la storia di Sicilia*, Palermo 1831.
- Rerum Arabicarum quae ad historiam siculam spectant ampla collectio*, Palermo 1790.
- Hare, A.: *Cities of Southern Italy and Sicily*, London 1893.
- Haskins, C. H.: 'England and Sicily in the twelfth century', *English Historical Review*, xxv (1901), 433-47, 641-55.
- The Normans in European History*, Boston 1915.
- The Renaissance of the Twelfth Century*, London 1927.
- Studies in the History of Medieval Sciences*, Cambridge, Mass. 1924.
- 'Science at the Court of Frederick II', in *Studies in the History of Medieval Science*, Cambridge 1927.
- Heinemann, L.: *Geschichte der Normannen in Unter-Italien und Sizilien bis zum Aussterben des Normannischen Königshauses*, Leipzig 1894.
- Herzfeld, E.: *Der Wandschmuck der Bauten von Samarra und seine Ornamentik*, Berlin 1923.
- Heskel, A.: *Die Historia sicula des Anonymus Vaticanus und des Gaufridus Malaterra*, Kiel 1881.
- Hillger, F.: *Das Verhältniss des Hugo Falcandus zu Romuald von Salerno*, Halle 1888.
- Hoag, John D.: *Western Islamic Architecture*, London 1963.
- Hoenerbach, W.: *Dichterische Vergleiche der Andalus-Araber*, Bonn 1973.
- 'La navegación omeya en el Mediterráneo y sus consecuencias político-culturales', *Miscelánea de Estudios árabes y hebraicos*, University of Granada, 2 (1953), 77-98.
- Holt, P. M., Lambton, A. K. S. and Lewis, B.: *The Cambridge History of Islam (CHI)*, Cambridge 1970.
- Holzach, F.: *Die auswärtige Politik des Königreichs Sicilien vom Tode Rogers II bis zum Frieden von Venedig*, Basle 1892.

- Famin, C.: *Histoire des invasions des Sarrazins en Italie du VII^e au XI^e siècle*, Paris 1843.
- Franceschini, E.: 'I due assalti dei Saraceni a S. Damiano e ad Assisi', *Aevum*, 27 (1953), 289-306.
- Freeman, E. A.: 'The Normans at Palermo', *Historical Essays*, 3rd series, 437-76.
- Gabotto, F.: *Eufemio e il movimento separatista nell' Italia bizantina*, Turin 1890.
- Gabrieli, F.: 'L' Antologia di Ibn as-Šairafi sui poeti arabo-siciliani', *Bollettino del Centro di studi filologici e linguistici siciliani*, 2 (1954), Palermo 39-51.
- 'Arabi di Sicilia e Arabi di Spagna', *Al-Andalus*, 15 (1950), 27-45.
- Aspetti della civiltà arabo-islamica*, Turin 1956.
- 'Federico II e la cultura musulmana', *Rivista Storica Italiana*, 64 (1952), 5-18.
- 'Frédéric II et la culture musulmane', *Diogenes*, 24 (1958), 3-20.
- 'Frederick II and Moslem culture', *East and West* (1958), 53-61.
- Ibn Ḥamdīs*, Mazara 1948.
- 'Il Palazzo ḥammādita di Biḡāya descritto da Ibn Ḥamdīs', *Aus der Welt der islamischen Kunst, Festschrift für Ernst Kühnek*, Berlin 1959, 54-8.
- 'La politique arabe des Normands de Sicile', *Studia Islamica*, 9 (1958), 83-96.
- 'Un secolo di studi arabo-siculi', *Studia Islamica*, 2 (1954), 89-102.
- 'Sicilia e Spagna nella vita e nella poesia di Ibn Ḥamdīs', *Miscellanea Galbati*, Milan 1951 (iii, 323-33); *Dal mondo dell' Islam*, Milan/Naples 1954, 109-26.
- 'Storia e cultura della Sicilia araba', *Libia*, i/4 (1953), 3-15.
- Storici arabi delle Crociate*, Turin 1957.
- Garufi, C. A.: (I diplomi purpurei della cancelleria normanna ed Elvira prima moglie di re Ruggiero', *Atti della R. Accademia di Scienze lettere ed arti*, serie 3, vii (1904).
- I Documenti inediti dell' epoca normanna in Sicilia*. Documenti per servire alla storia di Sicilia, Serie I, Diplomatica, xviii, Palermo 1899.
- 'Ruggiero II e la fondazione della Monarchia in Sicilia', *Archivio Storico Siciliano*, n.s. lii (1932), 1-33.
- 'Sull' ordinamento amministrativo Normanno in Sicilia, Exchiquier o diwan', *Archivio Storico Italiano*, serie 5, xxvii (1901), 225-63.
- Gateau, A.: 'Quelques observations sur l'intérêt du voyage d'Ibn Jubair pour l'histoire de la navigation en Méditerranée au XII^e siècle', *Hespéris*, xxxvi (1949), 289-312.
- Gaufridus, a Malaterra: *De rebus gestis Rogerii Calabriae et Siciliae Comitis et Roberti Guiscardi Ducis*, Bologna 1927.
- Gay, Jules: *L'Italie méridionale et l'empire byzantin, depuis l'avènement de Basile I^{er} jusqu'à la prise de Bari par les Normands*, 867-1071, New York 1960.
- 'Notes sur l'hellénisme sicilien de l'occupation arabe à la conquête nor-

- Cerone, F.: *L'opera politicae militare di Ruggiero II in Africa e in Oriente*, Naples 1933.
- Cesareo, G. A.: *Le Origine della Poesia Lirica e la Poesia Siciliana sotto gli Svevi*, Palermo 1924.
- Chalandon, F.: 'La Diplomatie des Normands de Sicile et de l'Italie méridionale', *Mélanges d'archéologie et d'histoire*, Ecole Française de Rome, xx, Rome 1900.
- *Histoire de la domination normande en Italie et en Sicile*, Paris 1907.
- Cobb, S.: *Islamic Contributions to Civilization*, Washington 1963.
- Cohn, W.: *Die Geschichte der Sizilischen Flotte unter der Regierung Friedrichs II*, Breslau 1928.
- *Die Geschichte der sizilischen Flotte unter der Regierung Rogers I und Rogers II (1060-1154)*, Breslau 1910.
- *Die Zeitalter der Normannen in Sizilien*, Bonn/Leipzig 1920.
- Columba, G. M.: 'Questioni di topografia palermitana dell' età normanna', *Rendiconti dell' Accademia dei Lincei*, serie 5 xxii, (1913).
- Collura, P.: *La produzione arabo-greca della Cancelleria di Fédérico II*, Palermo 1951.
- Cott, P. B.: *Siculo-Arabic Ivories*, Princeton 1939.
- Curtis, E.: *Roger of Sicily and the Normans in Lower Italy, 1016-1154*, New York/London 1912.
- Cusa, S.: *I Diplomi greci e arabi di Sicilia*, Palermo 1860, 1882.
- Cutrerà, A.: 'Il palazzo degli emiri di Sicilia in Palermo', *Bollettino d'arte*, serie 3, xxv (1931), 198-205.
- Dachraoui, F.: 'Contribution à l'histoire des Fātimides en Ifriqiyya', *Arabica*, viii/2 (1961).
- Delarc, O.: *Les Normands en Italie*, Paris 1883.
- Diehl, C.: *Palermo et Syracuse*, Paris 1907.
- Dolley, R. H.: 'The Lord High Admiral Eustathios Argyros and the betrayal of Taormina to the African Arabs in 902', *Atti VIII. Cong. int. studi bizantini I* (1953), 340-53.
- Dunlop, D. M.: *Arabic Science in the West*, Karachi, n.d.
- Egidi, Pietro: *La colonia saracena di Lucera e la sua distruzione*, Naples 1912.
- *Codice diplomatico dei Saraceni di Lucera (1285-1343)*, Naples 1917.
- d'Emilia, A.: 'Diplomi arabi siciliani di compravendita del secolo vi Egira e loro raffronto con documenti egiziani dei secoli III-IV Egira', *Annali*, n.s. 14 (1964), 83-109.
- Encyclopaedia of Islam*, Second edition, ed. by B. Lewis, Ch. Pellat, Joseph Schacht etc., Leiden/London 1960-.
- Ettinghausen, R.: 'Painting in the Fātimid Period: a Reconstruction', *Ars Islamica*, ix (1942).
- Falcandus, Hugo: *La Historia o regno Sicilie e la Epistola ad Petrum Panormitane Ecclesie thesaurarium ...*, Rome 1904.

- Avolio, Corrado: *Introduzione allo studio del dialetto siciliano*, Noto 1882.
- Ballardini, G.: 'Bacini orientali a Ravello', *Bollettino d'arte*, (March 1934), 391-400.
- Battaglia, G.: *Diplomi inediti relativi all' ordinamento della proprietà fondiaria in Sicilia sotto i Normanni e gli svevi*, Documenti per servire alla storia di Sicilia. Serie I, Diplomatica, xvi, Palermo 1898.
- Bausani, A.: 'Notes on the history of Arabic and Islamic Studies in Italy during the Middle Ages', *Journal of Pakistan Historical Society*, iii/3 (1955), 177.
- Behring, W.: *Sicilianische Studien, II. Regesten des normannischen Königshauses (1130-97)*, Elbing 1882.
- Benjamin ben Jonah of Tudela: *Travels of Rabbi Benjamin, son of Jonah, of Tudela through Europe, Asia and Africa*, (translated into Eng. from Hebrew by B. Gerrans), London 1783.
- Bertoni, G.: *Poeti e Poesie del Medio Evo e della Rinascenza*, Modena 1922.
- *Il duecento*, Milan 1930.
- Bloch, R.: 'Les relations diplomatiques de Hohenstaufen avec les sultans d'Égypte', *Revue Historique*, lxxx (1902), 51-64.
- Bréholles, A. Huillard: *Historia Diplomatica Frederici II*, Paris 1859.
- Brockelmann, C.: *Geschichte der Arabischen Literatur*, Leiden 1943-9.
- Brion, M.: *Frédéric de Hohenstaufen*, Paris 1948.
- Di Brolo, Lancia: *Storia della Chiesa in Sicilia nei primi dieci secoli del Christianesimo*, Palermo 1884.
- Brooks, E. W.: 'The Sicilian expedition of Constantine IV', *Byzantinische Zeitschrift*, 17 (1908-09), 455-9.
- Browne, E. G.: *Arab Medicine*, Cambridge 1921.
- Brun, M.: *Les Byzantins dans l'Italie méridionale aux IX^e et X^e siècles*, Zapiski Imperatorskago Novorossijskago Universiteta, Odessa 1883.
- Brunschvig, R.: 'Note sur un traité entre Tunis et l'Empereur Frédéric II', *Revue Tunisienne*, 10 (1932), 153-60.
- Caetani, L.: *Chronographica Islamica*, Paris 1913-18.
- Canard, M.: 'Une lettre du calife fātimite al-Ḥāfiẓ à Roger II', *Atti del Convegno internazionale di studi ruggeriani*, Palermo 1955, i, 125-46.
- Caspar, E.: *Die Legatengewalt der normannisch-sicilischen Herrscher im 12 Jahrhundert*, Rome 1904.
- *Roger II und die Gründung der normannisch-sicilischen Monarchie*, Innsbruck 1904.
- Centenario della nascita di Michele Amari. Scritti di filologia e storia araba*, Palermo.
- Centro italiano di Studi sull' Alto Medioevo: *L'occidente e l'Islam nell'Alto Medioevo*, Spoleto 1965.
- Cerulli, E.: *Il Libro della Scala e la questione delle fonti arabo-spagnole della Divina Commedia*, Vatican City 1949.
- Cerbella, G.: 'Toponomastica araba in Sicilia', *Libia*, ii (1954).

BIBLIOGRAPHY

- 'Abd-al-Wahhāb, H. H.:
 —'Le régime foncier en Sicile au Moyen Age (IX^e et X siècles). Edition (texte arabe) et traduction d'un chapitre du "Kitāb al-Amwāl" d'al-Dawūdī', *Études d'Orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal*, Paris 1962, ii, 401-4.
- Agnello, G.: *L'Architettura Sveva in Sicilia*, 1935.
 —*L'Architettura civile e religiosa in Sicilia nell'età sveva*, Roma 1961.
- Aimé: *Ystoire de li Normani*, Rome 1892.
- Alberti, Leonardo: *Descrizione di tutta Italia*, Venice 1567.
- Alexandre de Teleso: *De rebus gestis Rogerii Siciliae regis*, Naples 1845.
- d'Alverny, M. Th.: 'Les pérégrinations de l'âme dans l'autre monde d'après un anonyme de la fin du XII^e siècle', *Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen Age*, xiii (1940-1942), 239-300.
- Amari, M.:
 —*Le Epigrafi arabiche di Sicilia*, Palermo 1875-1885.
 —*Frammenti dell'iscrizione arabica della Cuba*, Palermo 1877.
 —'Il libro di Re Ruggiero ossia la Geografia di Edrisi', *Boll. della Società Geografica Italiana*, 1st series, vii (1872), 1-24.
 —'Questions philosophiques adressées aux savants musulmans par l'Empereur Frédéric II', *Journal Asiatique*, 5^e série, i (1853), 240-74.
 —*Storia dei Musulmani di Sicilia*, 2 ediz. a cura di C. A. Nallino, Catania 1933-9.
 —'Su le iscrizioni arabiche del palazzo regio di Messina', *Memoire della classe di scienze morale storiche e filologiche, della R. Accademia dei Lincei*, serie 3, vii (1881).
- Amari, M. and Schiaparelli, C. (tr. and ed.): 'L'Italia descritta nel "Libro del re Ruggiero" compilato da Edrisi', *Memoire dei Lincei*, serie 2, viii (1883).
- Amico, V.: *Dizionario topografico della Sicilia*, It. tr., G. Dimarzo, Palermo 1855.
- Arata, G.: *L'Architettura arabo-normanna e il Rinascimento in Sicilia*, Milan 1925.
- Arnold, T. W. and Guillaume, A. (ed.): *The Legacy of Islam*, Oxford 1931.
- Asín Palacios, Miguel: *La escatologia musulmana en la Divina Comedia*, Madrid 1919; Eng. tr. *Islam and the Divine Comedy*, London 1926.
- Atti del Convegno Internazionale di Studi Ruggeriani*, Palermo 1955, 2 vols.

كشاف عام

— أ —

- ابن أبي خنزير ٣٢
ابن الباجي ٨٨
ابن البر ٥٤ ، ٩٠
ابن البرون ٩٣
ابن بشرون ٩٠
ابن التثنة ٤٤ ، ٥٨ ، ٥٩
ابن جبير ٧٥ ، ٨٢ — ٨٣
ابن الجوزي ١٠٣
ابن حمديس ٩١ — ٩٢
ابن حوقل ٤٧ — ٤٨
ابن الحواس ٤٣ — ٤٤ ، ٥٩ ، ٦٠
ابن الحياط ٥٤
ابن رشيق ٥٣ — ٥٤
ابن سبعين ١٠٥
ابن السوسي ٥٥
ابن الطازي ٥٥
ابن الطويي ٥٥
ابن ظفر ٨٧ — ٨٨
ابن عباد ٦٢
ابن الفحام ٨٧
ابن الفراء ٥٠
ابن قرهب ٣٢ — ٣٣
ابن القطاع ٤٩ ، ٥٤ ، ٨٩ — ٩٠

ابن قلافس ٩٢
 ابن المعلم (علي بن ابراهيم) ٩٠
 ابن مكّي ٨٨
 ابن مكلاتي ٤٣
 ابن منكود (منكوت) ٤٣
 ابن المؤدب ٥٣
 ابن يونس ٥١
 ابراهيم بن الأغلب ١١ — ١٢
 ابراهيم (الثاني) بن احمد ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤
 ابو الأغلب ابراهيم بن عبد الله ١٨ ، ١٩ — ٢٠
 ابو بكر الصقلي ٥٣
 ابو بكر بن محمد ، محدث ٨٨
 ابو بكر بن محمد بن ابراهيم التيمي ٥٠
 ابو بكر محمد بن حسن الرباعي ٨٨
 ابو جعفر المروزي ٥١
 ابو الحسن علي ٨٨
 ابو حفص عمر بن حسن ٩٠ ، ٩٢
 ابو سعيد بن ابراهيم ٥٢
 ابو سعيد عثمان بن عتيق ٩١
 ابو الصلت أمية ٦٨
 ابو طاهر الصقلي ٨٨
 ابو العباس ، محدث ٥٠
 ابو العباس عبد الله ٨ ، ١٢
 ابو عبد الله محمد ٨٧
 ابو عبد الله محمد الكتاني ٥٣
 ابو علي الحسين بن عبد الله ٤٩
 ابو الفتح ، متولي طرابلس ٣٦
 ابو الفتوح يوسف ٣٩ ، ٥٣
 ابو الفضل العباس بن عمرو ٥٠
 ابو الفضل مشرف بن راشد ٥٥

- أبو فهر محمد بن عبد الله ١٧ — ١٨
 أبو القاسم علي بن حسن ٣٨ ، ٣٩
 أبو القاسم هاشم بن يونس ٥٥
 أبو محمد حسن بن علي ٥١
 أبو محمد عمار ٥٠
 أبو مسعود سليمان ٥٠
 أبو يزيد مخلد بن كيداد ٣٤ ، ٣٦
 أتو الثاني ٤٢
 الأحاديث النبوية ، دراستها ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٧ ، ٨٨
 أحمد بن الحسن ٣٧ ، ٣٨ ، ٥٤
 الإدارة: الأغلبية ٣٠ — ٣١ ، النظم العربية في الإدارة النورمانية ٧٣ — ٧٧ ، الفاطمية
 ٣٣ — ٣٤ ، ٣٦ ، المالية ٧٦ . الكلبية ٣٩ . النورمانية ٦٨ ، ٧٣ — ٧٧
 الأدب: ادب صقلية العربية ٤٩ ، ٥٤ . اثره في كتابة القصة الإيطالية ١١٠ — ١١١ . رعاة
 الأدب ٤٩ ، ٥٤ (انظر كذلك الشعر) .
 الأديباتيكسي ، البحر: الغزوات العربية في حوضه ٢٥ ، ٢٧ .
 الأديسي ، الشريف: وصف بلرم ١١٣ . مكاتنه في بلاط رجار الثاني ٦٨ ، ٨٧ ، ٨٩ .
 مصنفاته ٨٩
 أدليد ، الكونتيس ٦٤
 ادليكيس ، أمير ٢٨
 إربان الثاني ، بابا ٨٠
 الأرثوذكسية ، الكنيسة ٧٩ ، ٨٠
 الأرض: نظام إقطاعها ٣١ ، ٤٥ . ملكيتها في عهد الأغلبة ٣١ . في عهد الكلبين ٤٥ . في
 عهد النورمان ٦٣ — ٦٤ . انواع الأراضي ٣١
 أسد بن الفرات ١٤ — ١٥ ، ٥٠ — ٥١
 أسطول: العرب ٨ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٧ . أسطول البيزنطيين ٨ ، ٩ ، ١١ — ١٣ ،
 ١٩ — ٢١ ، ٢٥ ، ٣٨ — ٣٩ ، ٤١ . فردريك الثاني ٩٦ — ٩٧ . ابن قرهب
 ٣٣ . اسطول الكلبين ٣٨ — ٤٠ . النورمان ٦٠ — ٦٢ . شمال افريقيا
 ٤٢ — ٤٣ ، ٦٠ — ٦١ . رجار الثاني ٦٥ — ٦٦ . وليام الثاني ٧٠ — ٧١ .
 بيش (بيزا) ٤٢ ، ٧٢ . الشام ٩ ، ١٠ . البندقية ١٥ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٣٥ . أسطول
 الزيريين (بني زيري) ٦٢ ، ٦٥

اسكندر الثاني ، بابا ٨٤

اسماعيل بن خلف ٤٩

أصبع بن وكيل ١٦ ، ١٧

اصطربلاب ٨٩

اعتناق الإسلام: اعتناق النصارى في إقليم مازر الإسلام ٣٠ . اعتناق الرقيق الإسلام ٣٠ .

سياسة الكليين تجاه اعتناق الأسلام ٤٥

الأغلبية: حكومتهم ٣٠ — ٣١ . ولاتهم ١٧ ، ٣٠ . سياستهم في جنوب إيطاليا ٢٥ — ٢٩ .

المجتمع في عهدهم ٢٩ — ٣٠

افريقية: غارات البيزنطيين عليها ٨ — ٩ . الهجرة منها إلى صقلية ٤٤ . احتلال المسلمين لها ٩ .

حملات النورمان ضدها ٦٥ — ٦٧ ، ٦٩ . قربها من صقلية ٨ . شن غزوات منها

١٠

الإقطاع: دخول نظام الإقطاع ٣١ . في عهد النورمان ٦٣ — ٦٤ ، ٧٩ ، ٨٠ — ٨١ ، ٨٦

إقليم دمنش: افتتاح العرب له ٢٤ . النصارى فيه ٨ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٤٤ . ثورات

النصارى فيه ٢٣ ، ٣٢ . مقاومة المسلمين فيه ٦١ . مسلمو الإقليم ٧٩

إقليم مازر: بربر الإقليم ٢٩ . الحصون فيه ١١٣ . السيطرة الإسلامية عليه ٨ ، ١٩ ، ٢٠ ،

٢٤ . انتشار الإسلام فيه ٢٩ . الرقيق فيه ٣٠ . في عهد الفاطميين ٣٦ . في عهد

الكليين ٤٤ . في عهد النورمان ٧٩ ، ٨٦ .

إقليم نوطس: غزوات العرب فيه ١٩ . إخضاع العرب له ٢٤ . النصارى فيه ٢٩ . الحصون فيه

١١٤ . انتشار الإسلام فيه ٤٤ . المسلمون فيه ٨ ، ٤٤ ، ٧٩

الأكحل ، أحمد ٣٩ — ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٥

إلبديوس ١١

الأندلس: الشعر العربي الأندلسي ٥٥ — ٥٦ . حملات أندلسية في صقلية ١٦ — ١٧ . غارة

كلبية على الأندلس ٣٧ . غزوات اسلامية في شمال إيطاليا ٣٥ ، ٤٢ . حرب

«الاسترداد» والغزو النورماني ٧٨ . انتقال الثقافة العربية عن طريق الأندلس

١٠١ ، ١٠٢

إنوسنت الثالث ، بابا ٨٦ ، ٩٤

أوفاميل ، ولتر ٧٠

أولبيوس ٩

إيطاليا: النشاط الحربي العربي فيها ٢٤ — ٢٩ . غزوات العرب فيها ٢٣ . سياسة العرب تجاهها

٢٩ . العرب يقيمون فيها ٤٣ . مراكز الغزو البحري فيها ٢٧ . الفتوحات في جنوبها

٢٦ — ٢٨ . نشاط دفاعي ٢٨ . غزوات الفاطميين ضدها ٣٥ — ٣٦ . ادارة
الممتلكات العربية فيها ٢٨ . حملة ابن قرقب ٣٣ . الهجرة منها ٧٩ ، ٨٠ . غارات
الكلبيين ضدها ٣٧ ، ٤٠ — ٤٣ . النورمان فيها ٥٧ — ٥٨ . قيام النهضة فيها
١٠١ . غارات الأندلسيين على شمالها ٣٥ . انتقال التراث الفكري العربي عبرها
١٠١ — ١١١

أيوب بن تميم ٦٠

— ب —

باريه ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٦١ ، ٦٨
باسيل الثاني ٣٩
البصري ، علي بن حمزة ٤٩
بترارك ١١١

البربر: البربر في صقلية ١٤ ، ٢٩ . كُتامة ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٨ . في بلزم ٧٩ . ثوراتهم ١١٠ ،
١٣ ، ٣٢ . تأييدهم للفاطميين ٣٢ ، ٣٣ . في عهد الكلبيين ٣٨
البلاط: النظم العربية في البلاط النورماني ٧٣ — ٧٧ . حياة البلاط ٧٣ — ٧٤ . موظفو
البلاط ٧٤ . بلاط فردريك الثاني ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣ — ١٠٤ . بلاط وليام
الأول ٧٤ — ٧٥ . بلاط وليام الثاني ٧٥ ، ٨٢ — ٨٣

بلاطة ١٣ ، ١٤
بلرم: ثورات ضد الفاطميين فيها ٣٢ ، ٣٤ . النخبة العربية فيها ٧٩ . مقرر حكومة النورمان
٦٤ . استيلاء العرب عليها ١٧ . قصر القوّارة فيها ٩٢ ، ١١٢ . تحصيناتها ٤٧ .
وصف ابن حوقل لها ٤٧ — ٤٨ . وصف الأدرسي لها ١١٣ . مذبحة المسلمين فيها
٨٥ . استيلاء النورمان عليها ٦١ . منزهات النورمان فيها ٧٤ . حكم أليغاري فيها
٤٣ . هجوم البيشيين عليها ٤٣ . سكانها ٤٧ . كنيسة القديس يوحنا شفيع النساء
فيها ١١٤

بنافرت / بنافرت (ابن عباد) ٦١ — ٦٢
البندقية ١٥ ، ١٦ ، ٢٥
بولية: دوقية بولية ٥٨ ، ٦٤ . المسلمون فيها ٢٧ ، ٢٩ ، ٤١ ، ٤٢ . النورمان فيها ٥٧ ، ٥٨
البيزرة (الصيد بالبيزان) ٩٧ ، ١٠٦
البيزنطيون: والكلبيون ٣٩ — ٤٠ . والنورمان ٥٧ — ٥٨ . غاراتهم على شمال افريقيا ١١ .
قواتهم البحرية ٨ — ١٢ ، ١٩ — ٢١ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٨ — ٤١ . السكان

البيزنطيون في صقلية ٢٢ . قوة البيزنطيين في جنوب ايطاليا ٢٥ — ٢٦ ، ٢٩ .
سيادتهم على صقلية ٨ . اتخاذهم صقلية قاعدة لهجاتهم ٩ — ١٠ .
البيشيون ٤٢ — ٤٣ ، ٥٨

— ت —

التاريخ: تاريخ الجزيرة قبل الإسلام ٨ — ٩ . المؤرخون ٥٢
نانكريد ٧٢ ، ٨٥
التجارة: العربية البيزنطية في القرن الثامن ١١ — ١٢ . في عهد الكليين ٤٦ . في عهد النورمان
٦٧ ، ٧١ . تأمين التجارة العربية ١٢
التسامح الديني: لدى المسلمين ٤٥ . لدى النورمان ٧٨ . في عهد رجار الثاني ٨١
التعدين ٤٦
التنجيم ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣
التنصير ٧٨ ، ٨١ ، ٨٤ ، ١٢١ — ١٢٢

— ث —

نودط ١٦
نيردور الأطاكي ١٠٣ — ١٠٤
نيوبيل ١٦ ، ١٩ ، ٢٥

— ج —

حاتر (بن علي بن الحسن) ٣٨ — ٣٩
حل النار (إنة) : التعدين فيه ٤٦
الحرائد المسلمون كحرائد ٦٤ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٥
حرحس: بربر المدينة ٢٩ ، ٣٢ — ٣٣ . فتحها ٩ . النورمان فيها ٥٩ ، ٦٢ . في عهد
الفاطميين ٣٣ ، ٣٤
الحربة ٣٧ ، ٤٥ ، ٧٨
جعفر بن محمد ، والي اعلي ٢٢
جعفر بن محمد ، والي كلي ٣٩
الجغرافيا : روايات الجغرافيين الصقليين ٤٧ — ٤٨ . جغرافية صقلية ٨ . كتاب الجغرافيا ٨٩

جفلوذي: الحمامات فيها ١١٢. كاتدرائيتها ٦٨ ، ١١٥. المسلمون فيها ٨٣ الجماعة ٣١
الجماعة الإسلامية: في عهد النورمان ، التنصير ٨٤. نهايتها ٨٥ — ٨٦. المحلات ٧٩.
اضطهادها ٨١. ثورتها (١١٨٩ — ١١٩٠ م) ٨٥. في الأرياف ٧٨ ، ٧٩ ،
٨٢ ، ٨٣. التعصب الاجتماعي ٨١ — ٨٢. في عهد وليام الثاني ٨٢ — ٨٣. في
المدن ٧٨ — ٧٩ ، ٨٢

الجند ٣١ ، ٤٥ ، ٧٨
جورج الأنطاكي ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧
جوفاني البلرمي ١٠٣
جون الثامن ، بابا ٢٨
جوهر (الصقلي) ٣٦
جيرارد الكريغوني ١٠١

— ح —

حبيب بن أبي عبيدة ١٠
حروب أهلية: في البداية ٢٣ ، ٢٤. في فترة الكليبين ٤٣ — ٤٤ ، ٥٨. في عهد فردريك
الثاني ٩٤ — ٩٥

الحسن بن علي ٥٠
الحسن بن علي الكلبي ٣٤ — ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠
حكومة: الأغالبة ١٧ ، ٢١ ، ٣٠ — ٣١. النورمان ٧٥ — ٧٧
الحمامات ١١٢ ، ١١٣

— خ —

الخالصة: تأسيسها ٣٤
الخراج ٢٩ ، ٣١ ، ٤٥
خطبة الجمعة: في عهد الأغالبة ٣١. في عهد الفاطميين ٣٢. في عهد الكليبين ٤٤. في عهد
النورمان ٨٣
خفاجة بن سفيان ٢١
خليل بن اسحاق ٣٤
الخوارج: ثورتهم ٣٤ ، ٣٦

— د —

دانتي: مد قضية التأثير الإسلامي ١٠٨ — ١١٠
دروجه ٥٧
ديوان التحقيق ٧٦

— د —

الذميون / أهل الذمة ٣٠
رتشارد (قلب الأسد) ٧٢
رجار الأول: هجومه على صقلية ٦١ . افتتاح صقلية ٥٨ — ٦٣ . تسميته كونت (قومنس)
صقلية ٦١ . وفاته ٦٤ . علاقاته الدبلوماسية ٦٣ . في جنوب إيطاليا ٥٨ ، ٦٣ .
سياسته الدينية ٧٩ — ٨٠ . معاملة المسلمين ٧٨ ، ٧٩ — ٨٠
رجار الثاني: توليه الحكم ٦٤ . انجازاته ٦٨ . حملاته في شمال افريقيا ٦٥ — ٦٧ . بلاطه
٧٣ — ٧٤ . وفاته ٦٨ . علاقاته الدبلوماسية ٦٤ — ٦٥ . إهتمامه باللغة العربية
٧٣ — ٧٤ . عيادته ٧٣ . علاقاته بالفاطميين في مصر ٦٧ . علاقاته بالمسلمين
٦٨ ، ٧٣ — ٧٤ ، ٨١ . سياسته الدينية ٨١ . استخدامه للمهندسين العرب ٧٧
رغوس (دلاشيا) ٢٧
رغوس (صقلية) ١٩ ، ٢١
الرقيق: كعمال في المزارع ٢٠ ، ٢٤ . النصرى كأرقاء ٢٩ . في إقليم مازر ٢٤ ، ٣٠ . في عهد
الكلبيين ٣٧ . المسلمون منهم ٨٠
رمطة ٣٧ — ٣٨ ، ٤٠
روبرت جيسكارد ٥٧ — ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ — ٦١
رومة ٢٦
الري ٤٥
الرياضيات ١٠٣
ريو: العرب فيها ٣٩ — ٤٠ ، ٤٣ ، ٦٢ . المسجد فيها ٤١ . استيلاء النورمان عليها ٥٨

— ز —

الزجل ٥٦ ، ٩٢ ، ١٠٧ ، ١٠٨
الزراعة: في عهد الأغالة ٣١ . ما استحدثه العرب ٤٦ . الري ٤٥ . في عهد الكلبيين
٤٥ — ٤٦ . في عهد النورمان ٧٨ ، ٨٠ . في إقليم نوطس ٢٤ . الرقيق يستخدمون

في الزراعة ٢٠ ، ٢٤ . الضريبة على الأرض (الخراج) ٣١

زهير بن الغوث ١٦

زيادة الله الأول ١٢ ، ١٣ — ١٤ ، ١٦ — ١٩

زيادة الله الثاني ٢١

الزيريون / بنو زيري ٣٨ ، ٣٩ — ٤٠ ، ٦٥ — ٦٧

— س —

سالرنة : طراز المعار فيها ١١٤ . مدرستها الطيبة ١٠١ — ١٠٣

سالم بن راشد ٣٣ ، ٣٤

سردانية ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ٤٢

سرقوسة : استيلاء العرب عليها ٢٢ . تحصيناتها ١٥ . مسلمو سرقوسة ٨٣ . استيلاء النورمان

عليها ٦٢ . إمارة فيها ٤٤ . حصار العرب لها ١٥

سعيد بن الحسن ٥٣

سعيد بن سلام ٥٢

سعيد بن فتحون ٥٣

السكان : السكان النصاري في عهد الأغالية ٢٩ — ٣٠ . هجرة المسلمين إلى الجزيرة ٤٤ .

ازدياد عدد المسلمين ٣٠ . سكان بلرم ٤٧ . تعدد الأديان ٢٩ . في عهد الفاطميين

٣٦ . في عهد الكلبيين ٤٤ . في عهد النورمان ٧٩

السنين / اهل السنة : لجؤهم إلى صقلية ٣٢ . مصنفاتهم الفقهية ٤٥ . قيامهم على الفاطميين

٣٣

— ش —

شارلمان ١١

شارل صاحب أنجو ١٠٠ ، ١٠٥

شارل الثاني صاحب أنجو ١٠٥ ، ١٢١ — ١٢٢

الشعر : دواوينه ٨٩ — ٩٠ . شعراء صقلية العرب ٥٤ — ٥٥ ، ٩٠ — ٩٣ . التقليد العربي

الصقلي في الشعر ٤٩ ، ٥٥ — ٥٦ . نزوح الشعراء العرب ٨٧ ، ٨٩ — ٩١ .

التأثير على الشعر الايطالي ١٠٧ . قضية تأثر دانتى به ١٠٨ — ١١٠ . الشعر الصقلي

التقليدي ١٠٧ ، ١٠٨ . مقطوعات شعرية من فترة إمارة الكلبيين ٤٣ . أغراضه

٩٢ ، ٩١ ، ٥٥

الشيعة الإسماعيليون: الفاطميون شيعة إسماعيليين ٣٢ . في صقلية ٣٢ . نزوحهم إلى صقلية ٤٤

— ص —

الصلبيّة ، الحملة الثالثة ٧٠ ، ٧٢
الصمصام بن يوسف ، الحسين ٤٠ ، ٤٣
الصفوية ٥٢

— ض —

الضرائب: في عهد الأغالة ٣١ . على الأراضي ٣١ . في عهد الكلبيين ٤٥ . في عهد النورمان

٧٨

— ط —

طارنت ٢٥ ، ٢٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٨
طاهر بن محمد الرقباني ٥٣
الطب ٥٢ ، ١٠١ — ١٠٣
طبرمين: الهجمات عليها ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ . الاستيلاء عليها ٢٤ . استيلاء الكلبيين عليها ٣٧ .
المقاومة الإسلامية فيها ٦١ . استيلاء النورمان عليها ٦٢ . إعادة تسميتها ٣٧ .
الطراز ، دور ٤٦ ، ١١٩
طروينة ٦٠

— ع —

العاجيات ١٢٠
العباس بن الفضل ٢٠ — ٢١
عبد الله ، مترجم ٥٢
عبد الحق بن محمد القرشي ٥١
عبد الرحمن الأطراشني ٧٣
عبد الرحمن بن محمد بكر ٥٠

عبد العزيز بن حسين ٩٣
 عبد الله بن سعد ٨
 عبد الله بن قيس ٩
 عبد الله بن محمد ٣٩
 عبد الكريم بن يحيى ٨٨
 عبيدة بن عبد الرحمن ١٠
 عبيد الله بن الحبحاب ١٠
 عتيق بن علي السمنطاري ٥١ ، ٥٢
 عتيق بن محمد ٥٢
 عثمان بن حجاج ٨٨
 عثمان بن عفان ٨
 العربية ، اللغة : لغة رسمية ٧٣ ، ٧٦ . لغة العلم ١٠١ . معرفة فردريك الثاني بها ٨٦ ، ٩٤ ،
 ١٠٢ — ١٠٣ . اثرها على الإيطالية ١٠٦ . اثرها على اللهجة الصقلية
 ١٠٦ — ١٠٧ . تمكن ملوك النورمان منها ٧٤ . ألقاب ملوك النورمان بالعربية ٧٣
 عمر بن الحسين الفرياني ٦٩
 العزيزة (قصر) ١١٥ — ١١٦
 علم الدين الحنفي ١٠٢
 العلوم الدينية : علماء الدين الصقليون ٤٩ — ٥٢ ، ٨٧ — ٨٨
 علي بن احمد أبي الفوارس ٣٢
 علي بن تميم ٦٠
 عمر بن الخطاب ٨
 العملات : الأغلبية ١٦ ، ٣٠ . النورمانية ٧٣ ، ٧٦

— غ —

الغابات ٤٦
 الغزوات : في القرن السابع الميلادي ٨ — ٩ . في القرن الثامن الميلادي ١٠ — ١١

— ف —

الفاطميون : إدارتهم الأولى ٣٣ — ٣٤ ، ٣٦ . الغارات على إيطاليا ٣٥ — ٣٦ . في مصر

٦٧ . الثورات ضدهم ٣٢ — ٣٣ ، ٣٤ . توطيد حكمهم في صقلية ٣٢ ، ٣٣ .
مسلمو صقلية في عهد الفاطميين ٣٦ . صقلية الفاطمية ٣٢ — ٣٦

فراكسنتيوم ٣٥

فردريك الثاني : ارتقاؤه العرش ٩٤ — ٩٥ . والمسلمون ٩٤ — ٩٩ . تقدير ٩٩ . تحالفه مع
الأيوبيين ٩٧ ، ١٠٢ . بلاطه ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ — ١٠٤ . تنويجه امبراطورا
٩٥ . حملته الصليبية ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ — ٩٨ . سياسته الداخلية ٩٨ — ٩٩ .
صدور قرار الحرمان ضده ٩٦ — ٩٧ . ترحيله للمسلمين ٩٦ ، ٩٩ . معرفته للعربية
٨٦ ، ٩٤ ، ١٠٢ — ١٠٣ . فترة صباه ٩٤ — ٩٥ . ثورات المسلمين في عهده
٩٤ ، ٩٥ — ٩٦ ، ٩٩ . رعايته للثقافة العربية ١٠٢ — ١٠٣ . العلماء في بلاطه
١٠٣ — ١٠٤ . « المسائل الصقلية » ١٠٤ — ١٠٥

الفضل بن جعفر الهمداني ١٩ ، ٢٠

الفضل بن يعقوب ١٨

الفقه ٤٩ ، ٥٠ — ٥١ ، ٨٨

الفكر : النشاط الفكري خلال الفترة الإسلامية ٤٩ — ٥٦ . خلال فترة حكم النورمان
٨٧ — ٩٣ . العوامل المساعدة على النشاط الفكري ٤٩ . نزوح الطبقة المثقفة ٨٤ ،
٨٩ — ٩١ ، ٩٢ . انتقال التراث العربي ١٠١ — ١١١

الفلك ، علم ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣

الفنون الجميلة ١١٢ — ١٢٠

الفوارة ، قصر ٩٢ ، ١١٢

فيحي ١٣ — ١٤ ، ١٥ ، ١٦

— ق —

القبة ٧١ ، ١١٥ — ١١٦

القيبية ١١٦

قرطاجنة ٩

قُسطنس الثاني ٩ ، ١٣

قسطنطين الخامس ١١

قصر يانة : هجمات العرب واستيلاؤهم عليها ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ . استيلاء النورمان عليها

٦٢ ، ٥٩

القلاع: تصميمها المعاري ١١٢ ، ١١٣ . في صقلية الكلية ٤٦ — ٤٧
قلورية: دوقية بها ٥٨ ، ٦٥ . المسلمون فيها ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٥ — ٣٦ ، ٤٠ — ٤٢ ، ٦٢ .
النورمان فيها ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٤

— ك —

كرت (إقريطش) ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ٨٤
الكليون: نشاطهم الحربي في إيطاليا ٤٠ — ٤٣ . الزراعة في عهدهم ٤٥ . الفن في عهدهم
٤٣ — ٤٥ ، ٤٦ . الثقافة في عهدهم ٥٣ — ٥٦ . أسرهم ٣٧ — ٣٨ .
الصناعات في عهدهم ٤٦ . انتشار الإسلام في عهدهم ٣٠ ، ٣٧ . الحملات
البحرية ٣٨ . صقلية في عهدهم ٣٧ — ٤٨ . تحالفهم مع الزيريين ٣٩ — ٤٠
كنيسة القصر الملكي ٦٨ ، ١١٦ — ١١٨

— ل —

لقمان بن يوسف ٥١
لُلّ ، ريمون ١٢٢
المبارد: في صقلية ٣٠ ، ٧٩ ، ٨٠ . غزوات الكليين ضدهم ٤١ . لمبارد بُنّفت ٢٥ ،
٥٧ ، ٢٨
لوشيرة: المستوطنة فيها ١٢١ — ١٢٢ . ترحيل المسلمين اليها ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٢١
لويس الثاني ، الأمبراطور ٢٧
ليو الثالث ١٣
ليو التاسع ، البابا ٥٧ — ٥٨

— م —

مازر ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٦١
المازري ، الإمام ٥٢
مالطة: استيلاء العرب عليها ٢٢
مايكل سكوت ١٠٢ — ١٠٤
مايو/مايوني ٦٩ ، ٧٦
مجر بن ابراهيم ٢٩ ، ٥٤

المجتمع : العربي ٢٩ . النصراني ٢٩ — ٣٠
 محمد بن أبي الجوارى ١٥ — ١٦
 محمد بن أبي الفرج ٨٨
 محمد بن أبي الفرج الكتاني ٩٠
 محمد بن خراسان ٤٩ ، ٥٤
 محمد بن علي التميمي المازري ٨٨
 محمد بن عيسى بن عبد المؤمن ٨٩
 المساجد : مراكز للعلم ٤٩ . تصميمها المعماري ١١٣ . في صقلية ٤٧ ، ٨٣ — ٨٤ . في بلرم
 ٤٧ ، ٨٣ . المدارس الملحقة بها ٤٩ ، ٨٣
 مسينة : استيلاء البيزنطيين عليها ٤٠ . استيلاء المسلمين عليها ١٩ . استيلاء النورمان عليها
 ٥٨ — ٥٩ . تجارتها ٤٨ . في عهد الكلبيين ٤٠ ، ٤١
 مصعب بن محمد القرشي ٩١
 معاجم اللغة ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٩٠
 معاوية بن أبي سفيان ٨ ، ٩
 المعزبة ٣٧
 المقدسي ٤٧
 المنسوجات ٣٩ ، ١٠٣ — ١٠٤
 منفرد ٩٩ ، ١٠٥
 موسى بن أصبغ ٥٣
 موسى بن الحسن ٥٠
 موسى بن نصير ١٠
 ميخائيل الثاني ١٣ ، ١٤ — ١٥ ، ١٦
 ميخائيل الثالث ٢٠
 ميخائيل الرابع ٤٣
 ميمون بن عمر الإفريقي ٥١
 ميناو ١٦ ، ١٧

— ن —

نابولي (نابل) : تحالفها مع العرب ١٩ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٥ . جامعها ١٠٣

النحو وعلماؤه ٤٩ ، ٥٣ ، ٨٧ ، ٩٠
 النصرى: فثاتهم ٢٩ — ٣٠ . معاملة الفاطميين لهم ٣٤ . تعصّبهم ضد المسلمين ٨٤ .
 اعتناقهم الإسلام ٣٠ . في إقليم دمنش ٨ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٤٤ . ثورتهم على
 العرب ٢٣ . ثورتهم على النورمان ٦٠
 النورمان: هجومهم مع البيزنطيين على صقلية ٤٠ . حملاتهم في شمال افريقيا ٦٥ — ٦٧
 قدومهم ٥٧ — ٥٨ . اول اشتباك للعرب معهم ٤٢ . حملاتهم في البحر المتوسط
 ٧٠ — ٧١ . فقدانهم لممتلكاتهم في شمال افريقيا ٦٩ . صراعهم مع البيزنطيين
 ٥٧ — ٥٨ ، ٦٥ ، ٦٩ . صراعهم مع الأباطورية الألمانية ٦٥
 النورمان في صقلية: النظم العربية في عهدهم ٧٣ — ٧٧ . مقاومة بنفارت / ابن
 عباد ٦١ — ٦٢ . استيلاؤهم على مسينة ٥٩ . استيلاؤهم على بلرم ٦١ . ثورة
 النصرى ضدهم ٦٠ . مقارنة فتحهم لصقلية بحرب « الاسترداد » الأسبانية ٧٨ .
 إتمامهم لافتتاح صقلية ٦٣ . غاراتهم الأولى ٥٨ — ٥٩ . إدخالهم لنظام الإقطاع
 ٦٣ — ٦٤ . صمود المسلمين في وجههم ٧٢ ، ٨٥ . معاملتهم للمسلمين ٦٤ ،
 ٦٨ . النتائج الاقتصادية للفتح النورمانى ٧٨ — ٧٩
 النورمان في جنوب ايطاليا . . : استقرارهم ٥٧ — ٥٨ . حكومتهم ٦٣
 نوطس ٢١ ، ٦٢
 نيكولاوس الثاني ، البابا ٥٨
 نيكيتاس ٣٨ ، ٤١

— ٥ —

هادريان الرابع ، بابا ٦٩
 هارولد هاردرادا ٤٠
 هارون الرشيد ١١
 الهجرة: من ايطاليا ٧٩ . من نورماندي ٧٩ . هجرة اللمبارد ٧٩ ، ٨٠ . هجرة علماء المسلمين
 من الجزيرة ٨٤ . هجرة المسلمين من صقلية ٧٨ ، ٥٣
 هنري السادس ، الأباطور ٧٢ ، ٩٤
 هنوريوس الثاني ، البابا ٦٤

— و —

وليام الأول: شخصية ٦٩ — ٧٠ . بلاطة ٧٣ — ٧٤ . وفاة ٧٠ . الجماعة الإسلامية في
عهدة ٨١ — ٨٢ . حكمة ٦٨ — ٦٩
وليام الثاني: بلاطة ٧٥ . وفاة ٧١ . حملات في البحر المتوسط ٧٠ — ٧١ . الجماعة الإسلامية
في عهدة ٨٢ — ٨٤ . توليه الحكم ٧٠

— ي —

ياقوت ٤٨
يحيى بن عمر ٥١
يعيش (مولى الحسن بن علي) ٣٨
اليهود: الجزية عليهم ٧٨ . في صفلية ٢٩ — ٣٠ ، ٤٧ . دورهم في نقل الثقافة ١٠٤ . في عهد
فردريك الثاني ٩٤

